الزهاد والمتصوفة

في بلاد المغرب والأندلس
حتى القرن الخامس الهجري

دكتور

محمد بركات البيلي

كلية الآداب جامعة القاهرة

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

مطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعي
١٩٩٣

مقـــدمة

الاسلام دين الاعتدال ، يدعو أهله الى البعد عن الافراط والتفريط وأن ينتهجوا نهجا وسطا فى سلوكهم الحياتى فلا يجعلوا أيديهم مغلولة الى أعناقهم ولا يبسطوها كل البسط وأن يوازنوا بين دنياهم وآخرتهم فيعملون لأولاهم كأنهم يعيشون أبدا ويعملون لأخراهم كأنهم يموتون غـــدا .

لكن تغير ظروف المجتمع الاسلامى وأحواله أدت الى ابتعاد بعض المسلمين عن الاعتدال المشروع والى تكالبهم على عرض الدنيا فاستدعى التوازن ظهور نزعة مقابلة روحية تحث على الزهد فى عرض الدنيـــا طلبا لتعيم الآخرة ، ونتيجة لعوامل عديدة سياسية واقتصادية واجتماعية تصاعدت النزعة الزهدية مؤدية الى التصوف .

حدث ذلك فى الجناح الشرقى للعالم الاسلامى ، لكن الجناح الغربى منه لم يكن بمعزل عما يجرى على ساحة المشرق الاسلامى من أحداث وما يهب عليها من تيارات بل كان لتلك الأحداث والتيارات صـــداها فى المغرب الاسلامى وهكذا عرف الزهد والتصوف طريقهما الى بلاد المغرب والأندلس .

لم يفت الدارسون أن يهتموا بدراسة النزعة الروحية ـــ خاصـــة التصوف ـــ فى بلاد المغرب والأندلس لكن الملاحظ أن اهتمام هؤلاء الدارسين انصب بالدرجة الأولى على الفترة المتأخرة بدءا من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وهى الفترة التى علا فيها شأن التصوف فى بلاد المغرب والأندلس فأصبحت معينا لا ينضب يمد عالم الاســـلام شرقه وغربه ـــ بمشاهير الصوفية واعلامهم ممن شهروا وذاع صيتهم كمحى الدين بن عربى وغيره .

لكن الفترة السابقة على ذلك فى بلاد المغرب والأندلس منذ ظهور الزهـــد حتى القرن الخامس الهجرى لم تحظ بكبير اهتمام من قبـــل الدارسين فيما عدا اهتمام البعض منهم ببعض الجوانب اللافتة للنظر

بين ثنايا الموضوع كالنزعة المسرية التى أوجدها فى الأندلس محمد بن عبد الله بن مسرة .

ونظرا لما تقدم فقد وجدت من الضرورى أن أتناول بالدراسة موضوع الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى . ولما كان ظهور الزهد والتصوف فى الجناح الغربى للعالم الاسلامى امتدادا أو صدى لظهورهما فى الجناح الشرقى منه ، فقد أفردت فصلا من فصول هذه الدراسة لتتبع تاريخ النزعة الروحية من الزهد الى التصوف فى المشرق الاسلامى ثم أتبعت ذلك بفصل عن الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب الاسلامى وفصل آخر عن الزهاد والمتصوفة فى بلاد الأندلس حتى القرن الخامس الهجرى .

وبعد ، فاننى آمل أن يسد هذا الاسهام المتواضع فراغا فى المكتبة العربية أو أن يملأحيزا فيها ، كما آمل أن يحوز هذا الجهد رضى القارىء وأن يتجاوز عما يعن له فى البحث من هفوات .

والله تعالى من وراء القصد ، وبالله التوفيق .

محمد بركات البيلى

من الزهد الى التصوف

وبما لم تتفاوت آراء المسلمين فى مذهب من مذاهبهم ولا فى نزعة من نزعاتهم قدر تفاوتها فى الزهد والتصوف ، فلا يقتصر تباين الآراء فيهـا على ما بين الفرق الاسلامية بعضها وبعض من تفاوت بصددهما ، وانما قد تتباين آراء أهل الفرقة الواحدة وتتعدد وجهات نظر أتباعها فى شأن الزهد والتصوف ويتفاوتون فيما بينهم بين مادح وقادح أو بين مقر ومنكر . بل ان الزهاد والمتصوفة أنفسـهم قد تختلف آراؤهم حـول الموضوع الواحد منهما مثل اختلافهم فى الزهد وكثرة أقوالهم فى التصوف وتباينها حتى أنها تزيد — على حد تقدير الغزالى — على ألف قول (١) ولقد أصاب ابن تيمية اذ قال : « لأجل ما وقع فى كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه ، تنازع الناس فى طريقهم فطائفة ذمت التصوف والصوفية وأخرى مدحتهم » (٢) .

وليس من الصواب أن نخلط بين الزهد والتصوف أو نقرن بينهما على أنهما شيء واحد ، فالزهد غير التصوف (٣) واذا كان ثمة ارتباط بينهما فهو كون أولهما — الزهد — مقدمة للآخر — التصوف — وبابا للدخول فيه (٤) وكلاهما زيادة على العبادة المشروعة وان كان الزهد من قبيل الزيادة الكمية بينما التصوف زيادة كيفية أو اضافات نوعية الى العبادة المشروعة . ولا يعدو الزهد فى رأى المتصوفة كونه مقاما من مقامات الطريق — أو السبيل — الذى لابد للمتصوف من سلوكه قبل أن يعد فى زمرة الصوفية . غير ان التصوف ليس خاتمة المطاف بالنسبة للزاهد التى لابد من بلوغه اياها ووصوله اليها ، اذ يمكن للزاهد أن يقف عند

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٥ ، ص ٨٨ .

(٢) مجموع فتاوى ، مجلد ١١ ص ١٩ .

(٣) السهروردى ، مجموع من كلام السهروردى . مصورة بجامعة الملك عبد العزيز برقم ١٢٢٥ ص ٨ .

(٤) كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشـيع ، ص ٢٣٩ ومحمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية ، ص ٧٢ .

حد الزهد دون المضي قدما الى آخر السبيل الصوفي ودون الانخراط في عداد المتصوفة ، فالتصوف اسم جامع لمعانى الزهد مع مزيد أوصاف واضافات كثيرة لا يكون الرجل بدونها صوفيا وان كان زاهدا (١) .

والزهد غير الفقر (٢) على الرغم من خلط البعض بينهما أحيانا وتشابه الاشارات اليهما أحيانا أخرى ، فلأنهما من جنس واحد — على حد تعبير ابن تيمية — صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد (٣) حتى أن كاتبا مثل ابن فضل الله العمرى أطلق مسمى الفقراء على كافة الزهاد والمتصوفة الذين ترجم لهم في جزء بأكمله من كتابه الضخم المسمى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » الذى أفرد منه السفر الثامن للحديث عن طوائف الفقراء في الشرق والغرب (٤) . لكن ابن قدامة المقدسى يوضح الفرق بين الزهد والفقر فيرى أن الفقر هو انزواء الدنيا عن العبد أما الزهد فهو انزواء العبد عن الدنيا (٥) . ويرى الصوفية أن كلا من الفقر والزهد مقام قائم بذاته على الطريق الصوفي ينبغى المرور بأولهما — الفقر — لولوج الآخر (٦) .

والزهد في اللغة بمعناه العام خلاف الرغبة ، يقال زهد في الشيء وزهد عن الشيء ، والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه (٧) أما الزهد بمعناه اللغوى الخاص فله مدلول دينى بمعنى عدم الرغبة في الدنيا وعدم الحرص عليها (٨) وهو بذلك سلوك تعبدى اذ يقال فلان يتزهد بمعنى يتعبد (٩) .

لكن الزهد في مفهومه الاصطلاحى لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذى تشير اليه معاجم اللغة ، وانما هو مفهوم معقد جدا الى الدرجة

---

(١) الغزالى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٨ .

(٢) السهروردى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) مجموع فتاوى ، مجلد ١١ ، ص ١٩ .

(٤) صور مخطوط هذا الكتاب بعناية فؤاد سزكين في فرانكفورت سنة ١٩٨٨ عن خطية أحمد الثالث ٢٧٩٧ / استانبول .

(٥) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٩٣ .

(٦) السراج الطوسى : اللمع في التصوف ، ص‌ص ٤٦ — ٤٧ .

(٧) الجوهرى : مختار الصحاح ، مادة زهد .

(٨) ابن منظور : لسان العرب ، مادة زهد .

(٩) الجوهرى : المصدر السابق ، مادة زهد .

التى لا تمكن كثيرا من الباحثين من القول فيه بقول فصل فى مسماه ولا فى معناه ولا فى نشأته وتطوره ولا فى ماهيته وأبعاده فكثرت فى ذلك الأقوال وتعددت ، متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى .

قيلت فى معنى الزهد وماهيته أقوال كثيرة ينسب بعضها الى الزهاد والمتصوفة وينسب بعضها الآخر الى آخرين لم ينخرطوا فى عدادهم ولم يكن الزهد عنوانا لهم ، فكان ممن نسبت اليهم أقوال فى الزهد على بن أبى طالب — رضى الله عنه — اذ نسب اليه قول : الزهد هو أن لاتبالى بمن أكل الدنيا من مؤمن أو كافر (١) . وقال سفيان الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء ، وقال أحمد بن حنبل : الزهد عدم الفرح باقبال الدنيا ولا الحزن على ادبارها ، وقال ابن تيمية : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة (٢) .

أما الزهاد والمتصوفة فقد عجت صفحات الكتب بأقوالهم فى الزهد نذكر منهما — على سبيل المثال — قول الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله وقول عبد الواحد بن زيد : الزهد فى الدنيا والدرهم وقول الجنيد : الزهد هو خلو القلب عما خلت منه اليد وقول عبد الله بن الجلاء : الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينك فيسهل عليك الأعراض عنها ، وقول الشبلى : لازهد فى الحقيقة فليس الا ظلف النفس وأعراضها (٣) وغير ذلك من أقوال كثيرة تبين عن تفاوت كبير فى نظرات المتصوفة الى معنى الزهد وماهيته ، وقد فطن القشيرى الى ذلك التفاوت فحاول تبريره بقوله : ان كلا منهم نطق عن وقته وأشار الى حده (٤) ومن ثم يرى كامل الشيبى أن أقوال المتصوفة فى الزهد تعكس المراحل التى مر بها (٥) . لقد كانت هذه الاقوال المتفاوتة فى معنى الزهد وماهيته

---

(١) الكلاباذى : التعرف لمذهب اهل التصوف ، ص ٩٣ .
(٢) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، ج ٢ ، صص ١٠ — ١٢ .
(٣) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، ج ٢ ، صص ٣٥٦ — ٣٥٧ .
والقشيرى : الرسالة ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .
والطوسى : المصدر السابق ، ص ٤٧ .
والكلاباذى : المصدر السابق ، صص ٩٤ — ٩٥ .
(٤) الرسالة القشيرية ، ج ٢ ، ص ٩٢٣ .
(٥) الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٢٣٩ .

أساسا لتصنيفات عديدة ثم تصنيف الزهد فيها ، حينا تحت اسم المر
وحينما آخر تحت اسم الدرجات أو غير ذلك من تصنيفات يروق للدار
عادة أن يصنفوا الزهد فيها ويدرجوه تحت عناوينها كل حسب اجـ
أو ما يحلو له من تصنيفات •

فالزهد فى رأى البعض درجات ، يرى أحمد بن حنبل — على سـ
المثال — أن الزهد على ثلاثة أوجه : الأول ترك الحرام وهو زهد العو
والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث
ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين (١) • ويرى ابن قدامة المقدسى
درجات الزهد ثلاثة : أولها من يزهد فى الدنيا وهو لها مشته لكنه يجـ
نفسه ويقال لهذا المتزهد وهو مبتدأ الزهد ، والثانية من يزهد فى الـ
طوعا لا يكلف نفسه ذلك لكنه يرى زهده ويعجب به ، ثم الدرجـ
الثالثة — وهى العليا — وهى أن يزهد فى الدنيا طوعا ويزهد فى ز
فلا يرى أنه ترك شيئا لأنه عرف أن الدنيا ليست بشىء (٢) ويضـ
ابن قدامة المقدسى نفسه تصنيفا آخر على ثلاث درجات أيضا : أ
الزهد للنجاة من العذاب وهو زهد الخائفين ، وثانيتها الزهد للر
فى الثواب وهو زهد الراجين ، وثالثتها — وهى العليا — الزهد طلبا لـ
الله تعالى وهو زهد المحسنين العارفين (٣) • وهناك تصنيفات أخـ
عديدة قال بها الزهاد والمتصوفة وغيرهم تجعل الزهد درجات والز
طبقات يعلو بعضها فوق بعض مما يتبين منه أن الزهد لم يكن ع
وتيرة واحدة وأن الزهاد كانوا يتفاوتون فى المكانة والتقدير •

ويختلف الدارسون — القدامى منهم والمحدثون — حول أصل الز
ونشأته فى الاسلام فمن القدامى من يرى أن الزهد أصيل فى جو
الاسلام غير محدث فيه كالسراج الطوسى (٤) ومنهم من يرى أن الز
مستحدث فى الاسلام غير أصيل فى جوهره مثل القشيرى المتصوف وا
الجوزى السنى غير المتصوف ، فالقشيرى يرى أن الصدر الأول مـ
الاسلام لم يعرف الا مسميات الصحابة ثم التابعين فتابعى التابعين

---

(١) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، ص ١٢ •
(٢) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٠٤ •
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ •
(٤) اللمع فى التصوف ، ص ٢٢ •

اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شـــدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد (١) بينما يرى ابن الجوزى أن « النسبة فى زمن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الايمان والاسلام فيقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد » (٢) .

أما الدارسون المحدثون فلا يختلف موقفهم من ذلك كثيرا عن موقف القدامى وينقسمون مثلهم الى فريقين : أحدهما يرى أن الزهد محدث غير أصيل فى الاسلام ، والآخير يرى أنه منبثق عن جوهر الاسلام أصيل فيه . ويعد جولد تسيهر — على سبيل المثال — من أبرز من يرون أن الزهد منبثق عن جوهر الاسلام ، يقول من ذلك « كان الاسلام فى أول أمره تسوده فكرة اطراح العالم والزهد فيه وذلك فى نفس الوقت الذى غلبت عليه فيه فكرة التوكل والشعور بالخضوع المطلق » (٣) ويضيف جولد تسيهر قائلا : « تصور هلاك العالم والحساب الأخير يوم القيامة ... بعث فى نفوس اولئك الذين اتبعوه — أى النبى صلى الله عليه وسلم — ميولا واستعدادا للزهد والتقشف فأصبح من شعار المسلمين ازدراء حطام الدنيا والتهوين من شأنها » (٤) .

ويبدو أن القائلين بأن الزهد أصيل فى جوهر الاسلام غير مستحدث فيه قد فطنوا الى أن اسم الزهد لم يعرف فى صدر الاسلام وأن النسبة فى الصدر الأول منه كانت الى الاسلام والايمان ، فرأى هؤلاء أن يقسموا نشأة الزهد الى مرحلتين ، مرحلة ما قبل ظهور اسم الزهد وهى المرحلة الأولى من تاريخه وكان الزهد فيها سلوكا لا اسما ، دعا اليه القرآن — فى رأيهم — وانتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه واتخذ منه عموم السلف الأول مسلكا لهم فى الحياة . أما المرحلة الثانية فقد كانت بعد ظهور اسم الزهد وفيها أصبح الزهد منظما ومقعدا ظهرت بوادره فى البصرة والكوفة (٥) ثم من البصرة والكوفة امتد الزهد الى سائر اجزاء العالم الاسلامى (٦) .

---

(١) الرسالة القشيرية ، جـ ١ ص ٦١ .
(٢) تلبيس ابليس ، ص ١٦١ .
(٣) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ١١٩ .
(٤) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(٥) كامل الشيبى : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .
وعرفان عبد الحميد فتاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ص ٣٥ .
(٦) A.J. Arbery; Sufism, London, 1950, p. 45.

يبدو أن أصحاب هذا الرأى يخلطون بين ما يدعونه المرحلة الأولى من الزهد — أو الزهد الأول — الذى يرجعونه الى جوهر الاسلام وبين ما جاء به الاسلام حقيقة وهو الاعتدال الذى هو واحد من أهم المبادىء التى نادى بها الاسلام وحث عليها ، فهذا الاعتدال — وان شئت التوسط — نطقت به آيات بينات من كتاب الله وحثت عليه السنة النبوية المطهرة . ففى كتاب الله نقرأ قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (١) وقوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٢) وقوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٣) وقوله تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٥) . وفى السنة المطهرة أدلة على هذا الاعتدال — أو التوسط — جلية لا لبس فيها ، منها ما جاء عن أنس بن مالك (رضه) عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى — صلى الله عليه وسلم — يسألون عن عبادته فلما أخبروا قالوا — وكأنهم تقالوها — وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أنظر ، وقال الثالث : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (٦) . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص — رضهما — بعد أن زوجه أبوه امرأة من أشراف العرب فلم يطأ لها فراشا لخمس عشرة ليلة : بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقال عبد الله بن عمرو : نعم يا رسول الله ، فقال له الرسول (ص) : صم صيام أخى داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى (٧) . وفى هذا دليل واضح على أن منهج

---

(١) سورة الحديد / آية ٢٣ .

(٢) سورة الاسراء / آية ٢٩ .

(٣) سورة القصص / آية ٧٧ .

(٤) سورة الاسراء / آية ١٠ .

(٥) سورة الفرقان / آية ٦٧ .

(٦) رواه كل من البخارى ومسلم والنسائى والدارمى فى باب النكاح.

(٧) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن حنبل .

الاسلام هو الاعتدال بين حاجات الانسان (١) .

يعترف جولد تسيهر — وهو ممن يقولون بانبثاق الزهد عن جوهر الاسلام وانه أصيل فيه غير مستحدث — بأن التوسط موجود فى وثائق الفكر الدينى الاسلامى مشيرا فى هذا الصدد الى حديث النبى — صلى الله عليه وسلم — « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » . لكن جولد تسيهر بدلا من أن يلاحظ التوافق بين هذا الحديث النبوى الشريف وقول الله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » فانه يشير الى توافق هذا الحديث الشريف مع ما يسميه نظرية أرسطو عن التوسط فى الأمور .

لا يخفى على حصيف ما يلمز اليه جولد تسيهر لا سيما وأنه حاول اخفاء مراميه وراء قضية الوضع فى الحديث واحتمال أن يكون الحديث المشار اليه موضوعا ، الا أنه بذلك تجاوز حد الخطأ فى الحكم على صحة حديث أو وضعه الى الانزلاق الى خطيئة التشكيك واللمز . ولعل هذا يدعونا — بل يلزمنا — بتمحيص رأى جولد تسيهر عن نشأة الزهد فى الاسلام (٢) .

يرى جولد تسيهر أن الزهد منبثق عن جوهر الاسلام ، اذ كان الاسلام فى أول أمره — وبالتحديد فى السنوات العشر الأولى من البعثة — تسوده — على حد رأيه — فكرة اطراح العالم والزهد فيه ، وهذا رأى يمكن تقبله أو رفضه دون خطورة أو ضرر ، لكن الخطورة حقا فيما يضيفه جولد تسيهر بعد ذلك فهو يضيف أن النزعة الزهدية التى جاء بها الاسلام فى السنوات العشر الأولى من البعثة لم تلبث — على حد زعمه — أن تلاشت وحلت محلها وجهة نظر دينوية تحرص على متاع الدنيا ، ومكمن الخطورة هنا — أو بالأحرى السوء — أنه يرجع هذا التلاشى الذى أصاب نزعة الزهد هذه الى عدة أمور منها :

١ — أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — اذا كان قد أعلن حتى النهاية أن السعادة الاخروية هى الغاية من حياة المؤمن فان من المحتم مع

---

(١) زينب محمد الحربى : الزهد والتصوف بين المؤيدين والمعارضين ، ص ١٧٣ .

(٢) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ١١٩ ومابعدها .

ذلك أن تمتزج بمحيط مشاغله وجهة النظر الدنيوية وأن تتصل به اتصالا قويا مباشرا وذلك على الرغم من ارادته ورغبته •

٢ — كانت غالبية العرب الذين انضووا تحت لواء النبى يعقدون الآمال — فى الغالب — على كسب الفوائد الميسورة التى عرضت لهم وعلى السعى للاحتفاظ بها ، فترقب الغنائم — فى زعمه — كان باعثا ذا أهمية فى نشر الاسلام وهذا ما فطن اليه النبى حينما جد فى اثارة حماس جنوده بواسطة المغانم الكثيرة التى وعد الله بها المجاهدين (١) •

٣ — وقبل أن يغمض النبى — صلى الله عليه وسلم — عينيه ، وعلى الأخص بعد وفاته مباشرة ، تحول المبدأ السائد اذن الى مبدأ آخر ، ففكرة الزهد فى العالم حلت محلها فكرة فتح العالم التى يقود الدين المؤمنين اليها •

هكذا يكشف جولد يشهر عن عداء دفين للأسلام ويتعمد الاساءة الى نبيه اذ يلمز الى آن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد خضع لضغوط أصحاب المطامع الدينوية فتخلى عمليا عن فكرة الزهد التى نزع اليها فى السنوات العشر الأولى من البعثة وان ظل يردد نغمة الزهد كفكرة مذهبية اعتقادية نظرية بينما كانت الحقائق الواقعية المادية قد شغلت أذهان الجماعة الاسلامية ودفعتها الى مسالك أخرى غير تلك التى كان الرسول يسير فيها فى بدء دعوته •

لا أعتقد أن أى مسلم يمكنه تقبل ما يلمز اليه جولدتسيهر ، فلم يكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يأتى بشىء من عنده حتى يرضخ فيه لضغوط الدنيويين أو يسايرهم ، وانما كان الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا يوحى ، يبلغ عن ربه ما أوحى اليه به وحاشاه أن ينصاع فى ذلك لوجهة نظر دنيوية كما يزعم جولدتسيهر •

ولم يكن ترقب الغنائم سببا فى انتشار الاسلام كما يزعم جولدتسيهر ، فلا يترقب الغنائم الا من أيقن بالنصر ولا يستيقن من النصر الا من آمن وصدق ايمانه ومعنى ذلك أن الايمان سابق على الاستيقان من

---

(١) يشير جولد تسيهر الى قول الله تعالى « ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما » صدق الله العظيم

النصر ومن باب أولى سابق على ترقب الغنائم التى لا يحرزها الا المنتصرين ومعنى هذا أن ترقب الغنائم لم يكن سببا فى انتشار الاسلام كما زعم جولدتسيهر .

أما وعد الله المؤمنين بمغانم كثيرة — وهو الذى يلمز اليه جولدتسيهر ، فانه اما يكون من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيرا » (١) . والآية الكريمة واضح فيها أنها خطاب موجه من الله تعالى الى المؤمنين الذين آمنوا وصدقوا قبل أدنى وعد بالغنائم تحثهم على مسلك حميد يجب عليهم سلوكه . وهى اذ تعدهم بالمغانم ثوابا على هذا المسلك الحميد الذى تأمرهم بسلوكه فانها توضح بجلاء أن هذه المغانم الموعودة ليست من عرض الدنيا ، فهى اذن مغانم أخروية ومن ثم تسقط حجة جولدتسيهر فى الاستشهاد بها على ما يزعمه من حلول النزعة الدنيوية محل الزهد .

وقد يكون الوعد بالمغانم — الذى يشير اليه جولدتسيهر — فى قول الله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما » (٢) . لكن هذه الآيات الكريمة توضح بجلاء أن الوعد بالمغانم الذى تتضمنه كان مثوية على البيعة المعروفة تاريخيا ببيعة الرضوان ، وهى بيعة جدد فيها المسلمون عهدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأكدوا ثباتهم على الاسلام واستعدادهم للاستشهاد فى سبيل نصرته أى أن الاسلام فيها سابق على الوعد بالمغانم ، ومن ثم تسقط أيضا حجة جولدتسيهر فى الاستدلال بهـا على النزعة الدنيوية التى يزعمها .

ولا يفوت جولدتسيهر أن يلمز بعض اللمز فى الفتوحات الاسلامية التى لا يزال ذكرها يؤرق الأوربيين فيزعم أن الفتوح الاسلامية كان يحركها الطمع فى خيرات العالم والرغبة فى السيطرة عليه متجاهلا أن

---

(١) سورة النساء / آية ٩٤ .

(٢) سورة الفتح / آية ١٨ — ١٩ .

الاسلام جاء عالميا منذ أول نزوله وأن الدافع الأول للفتوح الاسلامية كان هو تمهيد الطريق أمام الدعوة الاسلامية وابلاغها للعالمين ٠

وفضلا عن هذا ، يرى جولدتسيهر أن ضعف حركة الزهد وتراجعها — بعد السنوات العشر الأولى من البعثة — ظل يتزايد دون توقف حتى الدولة الأموية التى دأبت بعد ظهورها فى التضييق على الروح الدينية لأسباب سياسية من جهة ، ولأن الطبقات التى أثرت من خلال الفتوح اندفعت الى الاستمتاع بملاذ الدنيا من جهة أخرى ٠ لكن الاغراق فى الملاذ الدينوية استهجنته فئة من الذين نشدوا المثل العليا فأظهرت الميل الى الزهد — من جديد — استهجانا للنزعة الدينوية واحتجاجا على السلطة وتأثرا بالرهبنة المسيحية ٠ وهكذا يتبلور تصور جولد تسيهر لمنشأ الزهد فى الاسلام فى ثلاث خطوات :

١ — بداية أولى مع بداية الاسلام نفسه انبثاقا عن جوهره ٠

٢ — ثم تلاشت نزعة الزهد منذ أواخر العصر النبوى وحتى الدولة الأموية نتيجة ظهور نزعة دينوية ٠

٣ — وأخيرا ميلاد جديد لنزعة الزهد فى العصر الأموى ظهرت بوادره فى العراق والشام ومصر (١) ٠

وليس جولد تسيهر وحده الذى يخلط بين بداية الزهد وبين الاعتدال الذى جاء به الاسلام ، وانما يخلط آخرون غيره ممن يرون أن الزهد منبثق عن جوهر الاسلام ، أصيل فيه غير مستحدث ، يظهر ذلك — على سبيل المثال — فى قول الشيبى « ان الاسلام جاء ليحارب الارستقراطية القرشية ويرتفع بمستوى الأجراء والفقراء بالاضافة الى الدعوة الدينية والروحية ، وقد كان صبغ الاسلام دعوته بالزهد والتقشف العلامة المميزة له عن النظام القرشى فى مكة والشعار الذى يلتف بمقتضاه الضعفاء والمحرومون العبيد حول النبى ويدخلون فى دين الله أفواجا » (٢) ٠

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، صص ١١٩ — ١٣١ ٠
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٢٤٠ ٠

لا شك أن عبارة الشيبى — مع تقديرنا له — تفتقر الى كثير من الدقة التاريخية ، فالاسلام لم يأت لمحاربة الأرستقراطية القرشية وانما لهديها واخراجها من الظلمات الى النور ، ولكنها هى التى حاربته واعترضت سبيله • وفضلا عن أن الارتفاع بمستوى الأجراء والفقراء لم يكن يتقدم الدعوة الدينية الروحية — مثلما رتب الشيبى — فان الزهد والتقشف لم يكونا هما الشعار الذى رفعه الاسلام فى وجه الأرستقراطية القرشية اجتذابا للضعفاء والمحرومين العبيد ليلتفوا حول الاسلام • فأغلب الظن أن شعار الزهد والتقشف هذا لم يكن هو الشعار المناسب لاغراء الضعفاء والمحرومين العبيد أو لا خافة الارستقراطية القرشية التى كانت ركيزتها الأساسية عرقية قبل أن تكون اقتصادية اذ لم يكن الغنى والترف يعم كل أفراد هذه الأرستقراطية وانما كان فيها الغنى والفقير ، فكان محمد نفسه — صلى الله عليه وسلم — ينتمى عرقيا الى هذه الأرستقراطية ، من أكثر بيوتاتها نبلا وشرفا ، خيار من خيار كما حدث عن نفسه صلى الله عليه وسلم ، ولكنه مع ذلك لم يرث عن أبيه الا أقل القليل الذى لم يتعد بضع عنزات وناقة واحدة وجارية كانت هى حاصنته أم أيمن • وكان عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، شيخ مكة فى وقته وابن شيخها ، فقيرا ترهقه كثرة العيال ، ولابد أن آخرين غيرهما من أفراد هذه الأرستقراطية كانت حالهم كحالهما ، ومن ثم لم يكن الزهد هو الشعار الذى يزلزل هذه الارستقراطية المكية أو يخيفها وانما كان الشعار الذى يزلزلها حقا هو شعار المساواة الذى يسوى بالاسلام بين السادة والعبيد ، وقد أعلن الاسلام فى مكة عن هذا الشعار فنزل قول الله تعالى « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » (١) •

ولم يكن الزهد أو التقشف شعارا يجتذب المحرومين الذين كانوا متقشفين بطبيعتهم ليس لهم أصلا ما يزهدون فيه ولا يحقق لهم الزهد أملا يصبون اليه ولا يفيدهم تقشف سادتهم فى شىء بل لعله يضربهم ، وانما كانت آمال هؤلاء العبيد الضعفاء معلقة بالمساواة التى تمحو عنهم ذل العبودية وترفع من شأنهم •

والمساواة فى بعض جوانبها — اذا أمعنا فيها النظر — نوع من التوسط أو الاعتدال الذى جاء به الاسلام اذ تضيق الشقة بين الناس وتزيل التباعد

---

(١) سورة الزمر ، آية ٦ •

بينهم ومن ثم فهى نوع من الاعتدال الذى يسد الفجوات ويقصر المسافات ، والاعتدال — كما أشرنا من قبل — هو الذى جاء به الاسلام ونصت عليه أصوله فى الكتاب والسنة وانتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم وتأسى به فيه أصحابه رضوان الله عليهم ثم قفا على آثارهم التابعون الذين كانوا ينسبون الى الاسلام والايمان ولم ينسبوا الى الزهد أو التقشف .

ولكن الاعتدال الذى جاء به الاسلام ما لبث أن تصاعد مؤديا الى الزهد ، وحدث ذلك كرد فعل لكثير من العوامل والظروف التى جعلت بعض المسلمين يحيدون عن الاعتدال الذى كان قائما فى الصدر الأول من الاسلام ويغالون فى النزوع الى الدنيا والانكباب عليها فقابلهم بعض آخر ممن أفزعتهم تلك النزعة الدينوية بالأعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة ، فمما لا شك فيه أن الزهد كنزعة روحية نشأ كرد فعل للنزعة المادية التى انغمس فيها بعض المسلمين منذ العصر الأموى ، لكن هذه النزعة الروحية لم تكن احياء لزهد جاء به الاسلام الأول وتلاشى منذ أواخر العصر النبوى — كما زعم جولد تسيهر — وانما نشأت هذه النزعة الروحية تعميقا للاعتدال وتصعيدا له بلوغا الى الزهد فى مواجهة النزعة المادية التى نزع اليها بعض المسلمين نكوصا عن الاعتدال وانحرافا عنه ، ولعل هذا يفسر لنا كون التعريفات المبكرة للزهد تنم عن الاعتدال أكثر مما تعبر عن الزهد بمفهومه الاصطلاحى ، فقد سئل الزهرى عن الزاهد فقال : « هو أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره » (١) . ولا تتوارى هذه النظرة للزهد حتى بعد ظهور الزهد المنظم الذى أصبح حركة روحية مقعدة ينخرط فيها الزهاد الذين أصبح الزهد نسبة لهم ، فلقد أراد السرى السقطى المتصوف، المعروف أن يصل الزهد بالقرآن الكريم فذكر أن الزهد مستمد من قول الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » كما أنه وصف الزاهد بأنه لا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود (٢) ، ولعله مما يزيد الأمر وضوحا قول أحدهم فى الزهد : « أنظروا أقواما اذا ذكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم وقوما اذا ذكروا بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء » (٣) .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زهد .
(٢) القشيرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٩٣ .
(٣) ابن قتيبة : المصدر السابق ، مجلد ٢ ص ٣٥٨ .

وقول آخر : « ليس الزهد بترك الدنيا ولكن الزهد التهاون بها وأخذ البلاغ منها ، قال الله تعالى « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » فأخبر أنهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا (١) ويعرف بعضهم الزهد بأنه « ترك الأسف على معدم ونفى الفرح بمعلوم » (٢) .

ومن الدارسين من يرى أن الاسلام الذى يشرع للانسانية جمعاء انما يضبط سير الحياة على ما يحتمله أوساط الناس من جهد فيها كما يتضح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — « سيروا بسير ضعفائكم » وقوله أيضا « الضعيف آمير الركب » أى الذى تسير الجماعة على قدر جهده ومن ثم جاء الاسلام برخص وعزائم ، رخص لمن هم أضعف من احتمال التوسط الاسلامى وغرائم لمن هم آقوى وأقدر على تخطى التوسط وكل من الفريقين مقبول منه ما يقدر على عمله اذ قال رسول الله —صلى الله عليه وسلم — « ان الله يحب أن تؤتى رخصة كما تؤتى عزائمه » . وقد راعى التشريع الاسلامى الحالات الفردية بالتخفيف حينا أو رفع التكليف مؤقتا أو دائما حينا آخر كما ندب الى التطوع من يقدر علديه . وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى كل ذلك الأسوة الحسنة اذ كان يراعى طاقات أصحابه وقدراتهم على التهجد والتعبد فكان يسمح لمن يرى فيه القوة والقدرة أن يصوم نهاره ويتهجد ليلة بينما يدعو — صلى الله عليه وسلم — آخرين الى أن يترفقوا بأنفسهم ويذكرهم بأن الأبدانهم عليهم حقا . وفى القرآن الكريم دليل واضح على مراعاة الحالات الفردية فى التكاليف الشرعية من ذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ... » .

---

(١) ابن قتيبة : المصدر السابق ، مجلد ، ص ٣٥٧ .

(٢) القشيرى : اربع رسائل فى التصوف . تحقيق قاسم السامرائى مجلة المجمع العلمى العراقى — المجلد ١٩٦٩/١ ص ص ٢٥٩ — ٢٨٤ .
عبد الكريم الخطيب ، نشأة المتصوف ، سلسلة الثقافة الاسلامية (٢٢) القاهرة / اكتوبر ١٩٦٠ صص ٢٤ — ٢٨ .

وبناء على ما سبق ، يتضح لنا أن الاسلام جاء بالاعتدال لكن هذا الاعتدال لم يلبث أن طرأت عليه عوامل جعلت أعدادا من أهل التقى والايمان يرون أنه لم يعد كاف لمواجهة النزعة الدنيوية التى استحكمت فى المجتمع الاسلامى ففروا بأنفسهم الى الآخرة مستزيدين كميا فى العبادات المشروعة ومتصاعدين بذلك الى نزعة الزهد عزوفا عن عرض الدنيا الفانية واقبالا على الآخرة الباقية .

تتجمع آراء الدارسين — رغم مابينها من تفاوت فى العبارة — حول عدد من الأسباب والدوافع يرجعون اليها ظهور نزعة الزهد فى الاسلام ، فيرى جولد تسيهر أن الميل الى الزهد كان مرتبطا بالثورة على السلطة القائمة ، وهكذا لجأ كثير من المسلمين الى حياة الاعتكاف احتجاجا على ما ينكرونه من حكومة » (١) .

ويرى نيكلسون أنه قد انفرد القرن الأول فى الاسلام بالعوامل الكثيرة التى شجعت على ظهور الزهد وانتشاره ، فالحرب الأهلية الطويلة الدامية التى وقعت فى عهد الصحابة وبنى أمية والتطرف العنيف فى الأحزاب السياسية وازدياد التراخى والاستهانة فى المسائل الخلقية ، وما عاناه المسلمون من عسف الحكام والمستبدين الذين يملون اراداتهم وآراءهم الدينية على غيرهم ممن أخلصوا فى اسلامهم ورفض هؤلاء الحكام علانية كل فكرة تتصل بالخلافة الدينية Theocracy التى حاول المسلمون ارجاعها . كل اولئك عوامل حركت فى نفوس الناس الزهد فى الدنيا ومتاعها وحولت أنظارهم نحو الآخرة ووضعت آمالهم فيها ومن هنا ظهرت حركة الزهد قوية عنيفة وانتشرت على مر الأيام فكانت زهدا دينيا خالصا فى بادىء الأمر ثم دخل اليها بالتدريج بعض العناصر الصوفية حتى تحولت فى النهاية الى أقدم صورة نعرفها للتصوف الاسلامى » (٢) . ويضيف نيكلسون : « وترجع العوامل الرئيسية فى ظهور نزعة الزهد

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ١٣٠ .

(٢) نيكلون : الزهد فى الاسلام ، من كتاب « فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ص ص ٤٢ — ٦٥ .

ــ كما يقول جولد تسيهر ــ الى عاملين هامين : الأول المبالغة فى الشعور بالخطيئة والثانى الرعب الذى استولى على قلوب المسلمين من عقاب الله وعذاب الآخرة » (١) .

ويرى ألفرد بل أنه « قام دائما نفر من دعاة الفرار من الدنيا ضد ما كان ينعم فيه بعض المسلمين من ترف وثراء فاحش بلون من رد الفعل ضد هذه الحال ، ولم يكف عدد الزهاد عن التزايد وكانوا خصوصا من الأتقياء الذين صدمهم الترف والحياة الباذخة فى بلاط الخلفاء وكبار العصر » (٢) . بينما يرى أو ليرى أن ظهور الزهد فى الاسلام يرجع الى التمسك الدقيق بحياة السلف التقليدية البسيطة ورفض الترف على على أنه بدعة وأن الاسلام فى شكله الأول خلق استجابة قوية لباعث الخوف الذى لم يكن مرده الى جبروت الله بقدر ما كان مرده الى العدالة الالهية والى وعى الانسان بخطيئته وتفاهته ومروره العابر فى هذه الحياة الدنيوية والتأكيد الشديد على يوم الحساب وما يلقاه المذنبون فيه من ويلات » (٣) .

ويذهب كامل الشيبى الى أن الزهد فى الاسلام أدى اليه عاملان : عامل اجتماعى ينعكس من محاربة الأرستقراطية باشاعة المظهر الزهدى فى الاسلام ، وعامل نفسى استشفه المسلمون من رسالة الاسلام ومما ورد ذكره فى القرآن الكريم عن عذاب الآخرة وزاد ذلك وضوحا عاطفة المسلمين الأوائل الذين كانوا فى عامتهم فقراء مستضعفين أو عبيدا ، ولو لم يكن الزهد جوهريا فى الاسلام ــ على حد قوله ــ لرأينا مظهر المسلمين يتبدل بعد الفتوح التى تحققت أيام عمر بن الخطاب (٤) .

لقد ناقشنا من قبل ما يدعوه الشيبى بالعامل الاجتماعى وأوضحنا أن الزهد لم يكن السبيل الأنسب لمحاربة الأرستقراطية وانما كانت المساواة التى جاء بها الاسلام هى الأكثر فعالية فى هذا الصدد . أما عن قول الشيبى

---

(١) نيكلون : نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطوره « من كتاب » فى التصوف الاسلامى وتاريخة ، ترجمة أبى العلا عفيفى ، القاهرة /١٩٤٧ ص‌ص ١ ــ ٤٢ .

(٢) الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ٣٦٩ .

(٣) الفكر العربى ، ص‌ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٢٤٣ .

بأن مظهر المسلمين لم يتبدل بعد الفتوح التى تحققت أيام عمر بن الخطاب فهو قول تتكفل الوقائع التاريخية بنقضه . فمن المؤكد أن أحوال المسلمين قد طرأ عليها بعد تلك الفتوح كثير من التغيير السياسى والاجتماعى ، ورفل الحجاز نفسه فى رفه لم يتسن له من قبل وصل الى درجة اللهو الذى يطل من أشعار عمرو بن أبى ربيعة من ناحية وذيوع صيت المغنيات المدنيات واشتهارهن بالاجادة التامة للغناء حتى ضرب بهن المثل فى ذلك من ناحية أخرى .

ومهما يكن من أمر ، فلا ضير فى ارجاع نشأة الزهد فى الاسلام الى كثير من تلك العوامل التى اجتمع حولها الدارسون ، ولا ضير أيضا فى تصنيف تلك العوامل الى سياسية واجتماعية ونفسية ، غير أننا لا نميل الى القول بأن الزهد جوهرى فى الاسلام غير مستحدث فيه ، بل يغلب على الظن أن الزهد مستحدث فى الاسلام طرأ عليه كتصعيد للاعتدال الذى اتسم به الاسلام الأول والتزم به السلف الصالح من الصحابة والتابعين لكن التكالب على عرض الدنيا من قبل بعض ذوى النفوس الضعيفة أفزع المتقين الذين يرون أن الآخرة خير وأبقى فاستهجنوا تلك النزعة الدينوية الطارئة ونزعوا الى الزهد ، فكانت هذه هى البداية الحقيقية للزهد فى الاسلام (١) .

كان الزهد فى أوله معتدلا « وظلت هذه الحركة تحمل طابع مذهب أهل السنة الدقيق طيلة حكم بنى أمية أى نحو قرن من الزمان ، وكان القائمون عليها من أشهر أتقياء المسلمين ، بل كان كثير منهم من القراء وأهل الحديث وعلماء الدين » (٢) . لكن نزعة الزهد أخذت فى التزايد والتنامى والانتشار كرد فعل لتزايد وتصاعد العوامل المسببة لها حتى أصبح الزهد حركة منظمة لها سمات واضحة وملامح بارزة وأصبح لهذا الزهد أهله الذين ينسبون اليه وتطلق عليهم مسميات الزهاد أو العباد أو ما الى ذلك من مسميات .

---

(١) ابراهيم بسيونى : نشأة التصوف الاسلامى ، ص ٩٧ .

(٢) نيكلون : الزهد فى الاسلام ، من كتاب « فى التصوف الاسلامى وتاريخه » ترجمة أبى العلا عفيفى ، القاهرة / ١٩٤٧ ، ص‌ص ٤٢ — ٦٥ .

واتسعت ماهية الزهد تدريجيا منذ أوائله فى عهد الحسن البصرى الى عهد الدارانى (١) فلم تعد تقتصر على « خلو اليد من ملك الدنيا وخلق القلب من الطمع » وهو النوع من الزهد الذى كان يمارسه الزهاد الأوائل ، وانما تطور الزهد الى أن شمل الأحاسيس والمشاعر النفسية وامتد الى « ترك حظوظ النفس من كل ما فى الدنيا » وهو الزهد الذى أصبح يمارسه المتحققون فى الزهد وعلت طبقتهم فيه على طبقة المبتدئين (٢).

ولقد وصف المتحققون فى الزهد بأوصاف عديدة ، فقد قيل ان المرء لا يستحق اسم الزهد الا اذا تحققت فيه عدة أشياء هى : الزهد فى المال والصور والرياسة والناس وكل ما دون الله تعالى (٣) . وقيل ان من علامات الزاهد ثلاثة : أولها أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود ، وثانيها أن يستوى عنده ذامه ومادحه وثالثها أن يكون أنسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة (٤) .

ويمدنا ابن الجوزى ببعض الصفات التى كان يعيبها على بعض الزهاد منها . الأعراض عن العلم شغلا بالزهد ، وترك المباحات حتى كان منهم من لا يزيد على خبز الشعير ومن لا يذوق الفاكهة ومن يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد ومنهم من ينقطع فى مسجد أو رباط أو جبل ومنهم من يلزم الصمت الدائم وينعزل عن مخالطة أهله (٥) ومنهم من تركوا الدنيا جملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع ثم جاء أقوام منهم فتكلموا فى الجوع والخطرات (٦) . لكن عبارة ابن الجوزى تنطبق على متصوفة عصره حتى وان أسماهم زهاد .

ويرى الفرد بل أن الزاهد كان « يقوم بمجاهدات وألوان من الحرمان المادى من الصوم الكثير والآلام الجسمانية التى تتحمل دون سعى لتخفيفها والتواضع فى الملبس والزهد فى كل ترف حتى فى الأمور

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة زهد .
(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف الاسلامى ، ص ٣٨١ .
(٣) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٥) تلبيس ابليس ، ص‌ص ١٥٠ — ١٥٦ .
(٦) نفس المصدر ، ص ١٦٤ .

الضرورية ... فالزاهد كان اذن منذ ذلك العصر فقيرا زرى الملبس يتألم من الجوع ويحسب أنه بمثل هذه المجاهدات يستحق الجنة فى الآخرة . وكان الزاهد يمارس مذهب التوكل على الله أى يرى مصيره فى الدنيا كله بيد الله ولا يبذل مجهودا شخصيا ، وتلاوة القرآن باستمرار كان يعد دائما من الورع والتقوى الشديدة ... وتكرار اسم الله فيما يسمى الذكر » (١) .

بينما يرى التفتازانى أن خصائص الزهد فى القرنين الأول والثانى تتلخص فى أنه يقوم على أساس فكرة مجانبة الدنيا من أجل الظفر بثواب الآخرة متأثرا فى ذلك بتعاليم الكتاب والسنة وبالظروف السياسية والاجتماعية السائدة فى المجتمع الاسلامى آنذاك ، كما يرى أن هذا الزهد كان ذو طابع عملى وأنه كان يتخذ الخوف من الله دافعا له وأنه عند بعض المتأخرين من الزهاد يعد مرحلة تمهيدية للتصوف (٢) .

على هذا النحو تعددت سمات الزهاد وتنوعت ، واتسعت ماهية الزهد وتشعبت ، وتنامت وتصاعدت مؤدية — فى النهاية — الى التصوف ، ولقد كان هذا التصاعد من الزهد الى التصوف تدريجيا ، لم يلفت الأنظار فى أول الأمر ، وأدى وجود كثير من أوجه الشبه بين الزهد المنظم والتصوف الأول الى الخلط بينهما ، فكثير من صفات الزهاد كانت هى نفسها صفات المتصوفة الأوائل مع مزيد أوصاف واضافات تميز التصوف عن الزهد على حد قول الغزالى (٣) . ولقد سبق أن أشرنا الى أن كلا من الزهد والتصوف زيادة على العبادة المشروعة وان كان الزهد من قبيل الزيادة الكمية بينما التصوف من قبيل الزيادة الكيفية أو الاضافات النوعية .

ويرى جولد تسيهر أن الزهد الاسلامى عرف المبالغة فى ناحيتين الأولى تعبدية والأخرى أخلاقية . أما الناحية التعبدية فتتمثل فى الذكر الذى كانت له مكانة كبيرة من الزهد الى التصوف وتنامت مكانة الأذكار حتى أصبحت لها مرتبة الفرائض الحتمية التى تتضاءل دونها الفرائض الأساسية حتى أصبحت بالنسبة لها واجبا ثانويا سيان أداؤه أو اغفاله

---

(١) الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ٣٧٠ .
(٢) مدخل الى التصوف ، ص ١٠٩ .
(٣) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ص ٨٨ .

وهذه هى الأذكار الصوفية التى دخلت فى بناء الهيكل الأساسى للطرق الصوفية . أما الناحية الأخلاقية فهى المبالغة فى التوكل أو الثقة فى الله الى درجة اهمال الدنيا وعدم المبالاة بها تاركين أنفسهم لعناية الله وقضائه ويجعلونها بين يديه لا ارادة لها ولا حركة كالميت بين يدى الغاسل فازدروا العمل والسعى لكسب القوت وسد حاجات العيش لأنهم يرون فى الكد والسعى فقدانا للتوكل ونقصا فى الثقة بالله (١) .

وقريبا من ذلك رأى نيكلسون ، اذ يرى أن الحركة الزهدية سارت « وفقا لقواعد الدين أول الأمر غير أنه لم يكن مفر من المبالغة فى التزام بعض الأمور الواردة فى تعاليم النبى محمد عليه السلام وفى سيرته استتبعت من الناحية الأخرى اهمالا لبعض مسائل الدين التى قد لا تقل فى نظر أخيار المسلمين عن غيرها من المسائل من حيث قيمتها الدينية ، وسرعان ما تحول الزهد الى التصوف » (٢) .

هكذا كان الزهد يتصاعد حتى وصل الى التصوف . لكن التداخل الشديد بين نهايات الزهد وبدايات التصوف يجعل من الصعوبة بمكان تحديد بداية قاطعة للتصوف ، وقد اختلف فى ذلك القدامى والمحدثون على حد سواء ، فبينما يرى القشيرى أن اسم التصوف اشتهر قبل المئتين من الهجرة (٣) فان ابن الجوزى يرى أن اسم التصوف ظهر — دون اشتهار — فى نحو ذلك الوقت (٤) لكن ابن تيمية يرى أن اسم التصوف لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة وانما اشتهر بعد ذلك (٥) .

أما الدارسون المحدثون فانهم يحومون حول فترة متقاربة ، فمنهم من يرى أن كلمة التصوف لم تكن معروفة فى اللغة الى نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثانى (٦) ومنهم من يرى أن اسم الصوفى الذى اشتق من كلمة الصوف العربية ظهر لأول مرة حينما أطلق على أبى هاشم الكوفى المتوفى حوالى سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ثم أصبح هذا الاسم معتادا

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ١٣٣ .

(٢) نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطوره ، من كتاب « فى التصوف الاسلامى وتاريخية » ، صص ١ — ٤١ .

(٣) الرسالة القشيرية ، جـ ١ ص ١ ٦

(٤) تلبيس ابليس ، ص ١٦٢ .

(٥) مجموع فتاوى ، مجلد ١١ ص ١٥

(٦) عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق صص ٣٥ — ٣٧ .

منذ أواسط القرن الثالث هـ / التاسع م (١) ويرى نيكلسون أنه « من المحتمل جدا أن هذه الصفة التى تشير الى استعمال لباس الصوف الذى كان يلبسه زهاد المسلمين — كما يقول ابن خلدون — ليميزوا أنفسهم عن غيرهم ممن كانوا يلبسون فاخر الثياب قد وضعت حدا فاصلا بين الزهاد من رجال التصوف وبين غيرهم ممن ساروا سيرة السلف، وأنها أطلقت أول ما أطلقت على أبى هاشم الكوفى المتوفى سنة ١٥٠ هـ ؟! * والذى يقول فيه جامى انه تقدمه رجال كان لهم قدم فى الزهد والورع وحسن التوكل وفى طريق المحبة ولكنه كان أول من تسمى بالصوفى »(٢).

وأغلب الظن أن ما ذهب اليه القشيرى عن اشتهار — وليس مجرد ابتداء — اسم التصوف قبل سنة ٢٠٠ هـ لا يجانبه الصواب فأقدم نعت لأحد الأشخاص بصوفى ورد عند الجاحظ نعت به أبو هاشم الكوفى الصوفى (٣) ولذلك يذهب عن الرحمن بدوى الى أن كلمة صوفى كانت معروفة منذ أوائل القرن الثانى للهجرة (٤) وهو رأى يمكن قبوله اذ أنها الفترة التى عاش فيها أبو هاشم الكوفى . وعلى ذلك فانه اذا كانت كلمة صوفى قد عرفت منذ ذلك الوقت فلا يبعد أن تشتهر فى غضون السنوات التالية وقبل المائتين مصداقا لرأى القشيرى .

أما عن موضع حدوث التحول من الزهد الى التصوف فقد كان هو نفسه موضع ظهور الزهد المنظم فى البصرة والكوفة ، فقد كان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر الأمصار وكان أول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد الذى كان من أصحاب الحسن البصرى (٥) .

---

(١) A.J. Arberry; Sufism, p. 35.

(٢) نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطور (من كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه) ص‌ص ١ — ٤١ .

(٣) البيان والتبيين ، جـ ١ ص ٣٦٥ .
وأحمد الشرباصى : الغزالى والتصوف الاسلامى ص ١٤٦ .

(٤) تاريخ التصوف الاسلامى ، ص ٧ .

(٥) ابن تيمية : المصدر السابق ، مجلد ١١ ص ١٥ .
وجاسم صلبان على : النصرانية ونشأة التصوف الاسلامى ، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة (١٩٧٧) ، ص‌ص ١٦٣ — ١٧٧ .

* تاريخ وفاة أبى هاشم غير محدد تحديدا يقينيا .

أما الكوفة فقد كان منها أبو هاشم أول من حمل اسم صوفى (١) بل كان أوائل من تلوه فى حمل هذا الاسم أيضا من الكوفيين مثل جابر بن حيان الكيميائى المشهور المتوفى سنة ٢٠٨ هـ وعبدك الصوفى المتوفى سنة ٢١٠ هـ (٢) .

غير أن أول ذكر لجماعة صوفية فى التاريخ الاسلامى كان عن جماعة من أهل الاسكندرية ذكر المؤرخ الكندى المصرى أنهم عرفوا بالصوفية وأنهم كانوا يدعون الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان لهم دور فى الأحداث التى عرفت بثورة الجروى والسرى بن الحكم والتى استمرت منذ سنة ١٩٩ هـ حتى سنة ٢١١ هـ ، ففى هذه الثورة تمكن زعيم هذه الجماعة الصوفية والذى كان يسمى أبو عبد الرحمن الصوفى من بسط ولايته على الاسكندرية سنة ٢١٠ هـ بمساعدة طائفة من الأندلسيين وفدوا على الاسكندرية ، كما ساعدتهم قبائل لخم التى كانت تحيط بالاسكندرية وقتذاك . لكن سرعان ما عزل الأندلسيون أبا عبد الرحمن الصوفى وولوا أحدهم على الاسكندرية (٣) . وجماعة أخرى سموا أيضا بالصوفية ظهروا فى ولاية عيسى بن المتكدر على قضاء مصر (رجب ٢١٢ — رمضان ٢١٤ هـ) وكانوا يحيطون بعيسى بن المتكدر ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وكان عيسى يصحبهم وكتب بايحاء منهم كتابا الى المأمون العباسى يخبره فيه بعدم رضاه عن تولية أبى اسحاق بن الرشيد على مصر (٤) فوجدت فى مصر بذلك أقدم الجماعات التى عرفت بالصوفية فى التاريخ الاسلامى (٥) .

---

(١) عبد الرحمن الجامى ، نفحات الأنفس ، ص ٣٤ ، اوليرى : المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف ، هنرى كوربان تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٧٢ .

(٣) مدخل الى التصوف الاسلامى ص ٣٠ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٦٢ والمقريزى ، خطط ج ١ ص ١٧٣ ومحمد كامل حسين « بين التشيع وأدب الصوفية بمصر فى عصر الأيوبيين والمماليك » مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٦ / ١٩٥٤ ج ٢ ص‌ص ٤٥ — ٧٢ .

وتوفيق بن عامر « الصوفية والعقيدة الجبرية » حوليات الجامعة التونسية عدد ٨ / ١٩٨٠ ص‌ص٧٥ — ٨٨ .

(٥) الكندى : المصدر السابق ص ٤٤٠ وابراهيم بسيونى : المرجع السابق ص ١١٣ .

كان لهذا التحول من الزهد الى التصوف أسبابه ودوافعه ، وعلى الرغم من اعتقاد التفتازانى أن الصوفية شيء معقد ليس فى الطوق تقديم جواب بسيط لمن يسأل عن أصلها (١) فان ابن الجوزى يرى أن التصوف — ببساطة — قد نشأ عن أن أقواما « تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ... تسموا بالصوفية » (٢) . وقريبا من ذلك رأى ابن تيمية اذ يقول : « كان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن فى سائر الأمصار » (٣) . ويرى القشيرى (٤) وابن خلدون (٥) أن التصوف جاء كرد فعل لتطرف آفة البدع فى المعتقدات وحصول التداعى بين الفرق فانفرد أهل السنة بينهم باسم التصوف .

ليس يخاف أن القشيرى المتصوف كان يريد تجميل صورة التصوف وتحسينه بابراز الصلة بين التصوف والسنة والقول بأن التصوف نشأ فى أحضان السنة دون غيرها من الفرق الاسلامية ، واذا كان ذلك متوقعا من القشيرى المتصوف فانه من المستغرب أن يذهب ابن خلدون الى مثل هذا الرأى وهو الذى أشار فى مقدمته المشهورة الى صلة التصوف بالتشيع وعاب على المتصوفة تأثرهم بآراء الرافضة الاسماعيلية — على حد قوله — فى الحلول وألوهية الأئمة (٦) . ولعلنا لانجد تبريرا لهذا التناقض بين رأى ابن خلدون فى شفاء السائل « ورأيه فى المقدمة » الا أنه ربما كان يقصد برأيه فى أولهما أوائل الصوفية الذين كانوا أقرب الى الزهاد أما انتقاداته التى وجهها فى ثانيهما الى الصوفية فكان يقصد بها المتأخرين منهم مثل الهروى وابن عربى وابن سبعين وغيرهم (٧) .

يتضح مما سبق أن الدارسين القدامى كادوا أن يجمعوا على أن المبالغة فى الزهد كانت سببا فى تحوله الى التصوف لكنهم لم يعيروا انتباههم

---

(١) محمد كامل حسين : المرجع السابق صص ٤٥ — ٧٢ .
(٢) تلبيس ابليس ص ١٦١ .
(٣) مجموع فتاوى مجلد ١١ ص ١٥ .
(٤) الرسالة القشيرية ، ج ١ صص ٦١ — ٦٢ .
(٥) شفاء السائل لتهذيب المسائل صص ٢٦ — ٢٧ .
(٦) مقدمة ابن خلدون ، فصل فى علم التصوف .
(٧) نفس المصدر ، نفس الفصل .

لأسباب هذه المبالغة التي نعتقد أنها كانت رد فعل لعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية .

ومن المحدثين ، يرى جولد تسيهر أن ظهور التصوف يرجع الى تغلغل المؤثرات الأجنبية — لا سيما الافلاطونية الحديثة والمؤثرات الهندية — الى الحركة الزهدية وتأثر الزهاد بها (١) بينما يرى نيكلسون أن التصوف كان وليد لحركة الاسلام ذاته وأنه كان نتيجة لازمة لفكرة الاسلام عن الله (٢) ونكاد ندهش لرأى نيكلسون هذا وهو الذى يذهب الى أن الزهد مستحدث فى الاسلام غير جوهرى فيه فاذا به يجعل التصوف وليد حركة الاسلام ونتيجة لازمة لفكرة الاسلام عن الله ، لكن نيكلسون يستدرك على نفسه فينص على أنه « فى القرن الثالث فقد ظهر التصوف فى صورة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها وهى صورة لا يمكن تفسيرها بأنها نتيجة تطور لعوامل روحية من صميم الاسلام نفسه » (٣) . ويذهب أو ليرى الى أن التصوف ساهمت فى ايجاده مثل دينية مغايرة لتلك التى كانت سائدة فى عهد الاسلام الأول (٤) ، أما بروكلمان فيرى أن الصراع الحربى بين الحكام والصراع المذهبى بين الفرق الدينية وما ساد علاقاتها من توتر دفع أصحاب النفوس الأكثر صفاء وعمقا الى الفرار بأنفسهم من صخب المنازعات حول المسائل الدينية والقضايا المذهبية الى طمأنينة المشاهدة فنزعوا الى التصوف متأثرين فى ذلك بالرهبنة النصرانية (٥) ، الا أن ما سينيون يرى أن منشأ النزوع الى التصوف هو ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر على ما يصدر عن الآخرين وانما تنصب أولا وقبل كل شىء على ظلم الانسان نفسه ، وتقترن هذه الثورة برغبة فى الكشف عن الله بأى وسيلة يقويها تصفية القلب من كل شاغل (٦) . وبذلك يرجع ما سينيون ظهور التصوف

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) نظرة تاريخية فى أصل التصوف ، من كتاب « فى التصوف الاسلامى وتاريخه » ص ص ١ — ٤١ .

(٣) نظرة تاريخية فى اصل التصوف وتطوره ، ص ص ١ — ٤١ .

(٤) الفكر العربى ، ص ١٦٠ .

(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٣٦ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة التصوف .

الى عوامل نفسية أو وجدانية غير أن هذه العوامل النفسية لابد لها — فى رأينا — من مثيرات ترتبط بحركة المجتمع وما يكتنفه من ظروف متنوعة .

ومن الباحثين من يرجع ظهور التصوف فى الكوفة الى عامل سياسى — اقتصادى يتمثل فى أن الفقر والضعف الذى حل بالكوفة نتيجة معارضة أهلها لبنى أمية وتضييق الأمويين عليهم بسبب موقفهم الفدائى منهم جعل من الكوفة مركزا لاتخاذ الصوف لباسا لضيق ذات اليد من ناحية ولمعارضة السياسة الأموية من ناحية أخرى ، فقد كان الأمويون يشجعون لبس الحرير خاصة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك الذى كان يلبس الثياب الرقاق والوشى وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس ، وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله وأصحابه ، وكذلك كانت سياسة هشام بن عبد الملك فسلك الناس جميعا فى أيامه مذهبه لكن أهل الكوفة الذين اندفعوا مع موجه الزهد لبسوا الصوف معارضة للأمويين(١) . ومع طرافة هذا الرأى الا أنه لا يمكن التعويل عليه فى تعليل ظهور التصوف اذ أن الدولة الأموية كلها كانت قد انقضت قبل ظهور اسم التصوف الذى كان أول من نعت به أبو هاشم الكوفى المتوفى بين سنة ١٥٠ — ١٦٠ هـ ابان الدولة العباسية وشتان بين لبس الصوف الذى كان يلبسه الزهاد وغيرهم وبين ظهور التصوف كمذهب أو نزعة روحية .

وعلى أى حال ، ففى اعتقادنا أن التصوف ظهر كنتيجة طبيعية لتصاعد حركة الزهد فى المجتمع الاسلامى وكرد فعل للتصاعد الذى ألم بالظروف والملابسات التى أفرزت نزعة الزهد من قبل فى عالم الاسلام ، فمما لا شك فيه أن الترف كان يتزايد حتى بلغ أوجه فى العصر العباسى ورفل فيه الخلفاء وكبار رجالات الدولة والمياسير ممن أصابوا ثروات طائلة ، كما تزايد نفور المسلمين من جور الحكام واستبدادهم فاتهموهم بالخروج على الاسلام واندلعت الثورات هنا وهناك رافعة شعارات اصلاحية ومطالبة بالعمل بالكتاب والسنة ، ولم تشذ الثورة العباسية نفسها فى ذلك عن غيرها من الثورات التى اندلعت فى وجه الأمويين . لكن وصول العباسيين

---

(١) جاسم صلبان على : النصرانية ونشأة التصوف الاسلامى — مجلة كلية الآداب جامعة البصرة / ١٩٧٧ ص ص ١٦٣ — ١٧٧ .

الى الحكم واستيلائهم على السلطة فى الدولة الاسلامية لم يمنع اندلاع مزيد من الثورات وظهور نزعات متطرفة كالغلاة والشعوبية والراوندية والباطنية والزنادقة وغيرها مما زاد الزهاد عزوفا عن الدنيا وتوغلا فى الزهد متصاعدين به متزيدين فيه زيادات نوعية بعد أن كانوا يقتصرون على الزيادة الكمية ، فأدى بهم هذا التصاعد الى ولوج باب التصوف والدخول فيه .

قيلت فى اسم التصوف أقوال كثيرة ، وبينما يذهب القشيرى الى أنه اسم على غير قياس ولا اشتقاق فى اللغة العربية (١) فان الأمر يبدو غير ذلك ، ففى معاجم اللغة توجد مادة صوف (٢) وعلى الرغم من أن المعنى الذى تشير اليه المعاجم قد لا يدل على المعنى المقصود فى التصوف الا أنه ينفى القول بعدم وجود أصل لغوى لاسم التصوف كما زعم القشيرى . وفضلا عن هذا فاننا نجد فى معاجم اللغة اشتقاقا ذا مغزى من مادة صوف هو صاف يصوف صوفا بمعنى عدل أو حاد عن بجادة السبيل ، وصاف السهم عن الهدف بمعنى عدل عنه ، ومنه قولهم صاف عنى شر فلان وأصاف الله عنى شره (٣) ومع ما لهذا الاشتقاق من مغزى الا أنه من الملاحظ أن أعداء التصوف ممن وسموا أهله بالمروق عن الدين لم يلتفتوا الى هذا الاشتقاق ولم يستخدموه للتعريض بالتصوف بمعنى العدول عن الدين !

وقد فسر الدارسون اسم التصوف على أكثر من وجه ، فقيل ان التصوف قد يكون نسبة الى صوفة وهو الغوث بن مر الذى كان قد انقطع فى الجاهلية لخدمة بيت الله وخدمة حجيجة وأعقبه أولاده فى ذلك وكانت لهم اجازة الحجيج من عرفة الى منى ومن منى الى مكة ، وظل الأمر فيهم حتى أخذته منهم فى الجاهلية عدوان ثم أخذته قريش من عدوان (٤) . ويرى كامل الشيبى أن هذا هو الوجه الصحيح فى تفسير اسم التصوف مع أن المتصوفة من أمثال السراج الطوسى والكلاباذى

---

(١) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) مختار الصحاح (مادة صوف) ولسان العرب مادة صوف .

(٣) نفس المصدران ، نفس المادة .

(٤) ابن الجوزى : المصدر السابق ص ١٦١ وزكى مبارك : التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق ص ٤١ .

والقشيرى تجاهلوا هذا التفسير ولم يشيروا اليه ، ولعلهم أرادوا الا يرتبط التصوف فى أذهان الناس بأصل جاهلى (١) ، لكن ابن تيمية يرى أن أغلب الصوفية لا يعرفون بنى صوفة ولا يرضون بالانتساب الى قبيلة جاهلية (٢) . وهكذا كان هذا التفسير لاسم التصوف مثار خلاف بين الدارسين فمنهم من لا يستبعده (٣) ومنهم من يشكك فى صحته لقلة اكتراث الجاهليين بالدين (٤) .

وقيل أن التصوف من الصفاء (٥) . وعلى الرغم من أن القشيرى المتصوف يرى أن اشتقاق اسم الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة (٦) الا أن هذا التفسير يروق لكثير من المتصوفة (٧) فيقدمه الكلاباذى على غيره من التفاسير ، ويذكر آن طائفة قالت : انما سميت الصوفية لصفاء أسرارها ، ويعتد الكلاباذى فى هذا الصدد بقول بشر الحافى : الصوفى من صفا قلبه لله (٨) . أما السراج الطوسى فيذكر قول أبى الحسن القناد : الصوفى مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل فى كل وقت بشرط الوفاء (٩) . وقال شاعرهم فى هذا المعنى :

---

(١) كامل الشيبى : رى فى اشتقاق كلمة صوفى — مجلة كلية الآداب ببغداد / ١٩٦٢ .

(٢) رسالة الصوفية والفقراء ، ص ١٢ .

(٣) زكى مبارك : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤) عرفان عبد الحميد فتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٥) مجهول : رسالة فى آداب الصوفية ، مخطوط بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز برقم ٧٦٥ (بدون ترقيم للصفحات) .

والسيوطى : الجزء الاخير من كتاب النقابة ، مخطوط بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز تحت رقم ٧٣٩ / ٦ (بدون ترقيم للصفحات) .

(٦) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ ص ٥٥٠ .

(٧) Nickolson, Encylopaedia Religio and Ethics art. sufis.

(٨) التعرف لمذهب اهل التصوف ، ص ٢١ ، ٢٩ اللمع فى التصوف ص ٢٦ .

وليس يشهر بالصوفى غير فتى/صافى فصوفى حتى سمى الصوفى (١) •
وأشار أبو العلاء المعرى الى هذا المعنى على سبيل التعريض به فقال :

صوفية مارضوا للصوف نسبتهم/حتى ادعوا أنهم من طاعة صوفوا (٢) •
ــ وقيل أن التصوف نسبة الى الصفة ــ وهى موضع من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وذلك لقرب أوصاف الصوفية من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) • وعلى الرغم من اعتراف القشيرى بأن اشتقاق الصوفى من الصفة بعيد فى مقتضى اللغة (٤) فان هذا التفسير يروق أيضا لكثير من الصوفية (٥) بينما لا يقر ابن الجوزى بهذا التفسير ليس فقط لأن النسبة الى الصفة تكون صفى وليست صوفى وانما أيضا لما بين الصوفية وأهل الصفة من مفارقات ، فقد كان أهل الصفة أصلا فقراء يقعدون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرارا حتى اذا فتح الله عز وجل على المسلمين وأصابوا الغنائم استغنوا عن تلك الحال وخرجوا من الصفة (٦) •

ويفيض عبد الرحمن بدوى فى الحديث عن أهل الصفة (٧) غير أنه يتصور الصفة على أنها مقعد مغطى خارج المسجد النبوى وهو تصور غير صحيح يشبهه تصور نيكلسون أن الصفة كانت مجلسا مسقوفا بناه النبى صلى الله عليه وسلم خارج مسجده (٨) كما يشبهه تصور ماسينيون للصفة حين وصف أهلها بأنهم فرقة من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة لعهد النبى صلى الله عليه وسلم (٩) •

---

(١) السيوطى : المصدر السابق ، مخطوط بدون ترقيم •
(٢) زكى مبارك : المرجع السابق ، ص ٥١ •
(٣) الكلاباذى : المصدر السابق ، ص ٢١ •
(٤) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ ، ص ٥٥٠ •
(٥) الكلاباذى : المصدر السابق ، ص ٢٢ •
(٦) تلبيس ابليس ، ص ١٦٢ •
(٧) تاريخ التصوف الاسلامى ، ص ١٢٧ ومابعدها •
(٨) Nickolson; op. cit. art. sufis
(٩) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف •

وحقيقة الصفة أنها لم تكن مقعدا مغطى خارج المسجد ولم تكن مجلسا مسقوفا بناه النبى صلى الله عليه وسلم خارج مسجده كما أنها لم تكن دكة وانما كانت الصفة فى أصلها السقيفة الأولى التى سقفت من المسجد النبوى فى الجهة الشمالية منه وقت أن كان المسلمون يتجهون فى قبلتهم الأولى شطر المسجد الأقصى فسقف لهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السقيفة لتقيهم وهج الشمس حين صلاة وقت الظهيرة ، فلما أذن الله عز وجل بتحويل القبلة شطر المسجد الحرام ونزل قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (١) فسقف المسلمون سقيفة أخرى فى الجهة المقابلة شطر المسجد الحرام وقل استخدامهم للسقيفة الأولى التى كانت تواجه بيت المقدس ، فأوى اليها فقراء المسلمين ممن لا مأوى لهم فعرفوا بأهل الصفة . وهكذا كانت نشأة الصفة فى المسجد النبوى لا يقصد منها ايواء من نسبوا اليها وانما كان لجوئهم اليها اضطراريا بعد أن قل استخدامها فى الصلاة وذلك على خلاف المتصوفة الذين قد يتخذون الفقر سلوكا اختياريا دون اضطرار .

وقيل أيضا ان التصوف من الصف لأن الصوفية فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل (٢) . ويثبت القشيرى صحة المعنى وان كانت اللغة لا تقتضى نسبة التصوف هذه الى الصف (٣) لكن ابن تيمية يؤكد أن هذا القول غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى (بفتح الصاد) (٤) . وقد قيلت فى تفسير اسم التصوف أقوال كثيرة أخرى .

لكن التفسير الذى يعتد به كثيرا هو أن التصوف نسبة الى الصوف وعلى الرغم من اعتراض القشيرى على صحة تلك النسبة بدعوى أن

---

(١) سورة البقرة / آية ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) الكلاباذى : المصدر السابق ، ص ٢١ ، ومحمد غلاب : التنسك الاسلامى ، ص ٤٣ . ودائرة المعارف الاسلامية . مادة تصوف .

(٣) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ ص ٥٥١ .

(٤) رسالة الصوفية والفقراء ، ص ١٢ .

القوم لم يختصوا وحدهم بلبس الصوف دون غيرهم (١) فان كلا من الطوسى (٢) والكلاباذى (٣) يذكران هذه النسبة ولا يعترضان عليها ؛ ويذكر الغزالى أنه لتعذر تقييدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم نسبوا الى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين فى الاشارة اليهم وأدعى الى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم (٤) • كما يرى ابن خلدون أن نسبتهم الى لبس الصوف هى القول الأظهر (٥) ويقاربه ابن تيمية اذ يرى أن هذه النسبة هى القول المعروف (٦) •

ومن المحدثين ، يرى زكى مبارك أن النسبة الى الصوف هى أصح الفروض (٧) ويرى كوربان أن كلمة صوفى العربية مشتقة بحسب الاشتقاق المتعارف عليه من الصوف (٨) فى حين يرى أوليرى أنه مما يؤكد اشتقاق كلمة صوفى من الصوف أن اللغة الفارسية تستعمل مقابل هذه الكلمة اصطلاح « باشمينابوش » الذى يعنى أيضا لابس الصوف (٩) ، وأكثر من هذا فان ماسينيون يرفض كل ماعدا ذلك من تفسيرات مؤكدا على أن التصوف دلالة على لبس الصوف (١٠) • وهو أيضا التفسير الوحيد الذى يأخذ به ترمنجهام (١١) •

وأخيرا قيل ان التصوف مأخوذ عن الكلمة اليونانية سوفوس Sophos التى تعنى « حكمة » فى اليونانية ، وكان أول من قال بهذا التفسير المستشرق فوق هامر وتحمس له بعض المستشرقين لاسيما الذين يؤكدون على الأثر المسيحى فى التصوف الاسلامى حتى أن كوربان يرى أن هذا التفسير أكثر قبولا للوهلة الأولى على الرغم من أنه لا يلقى رواجا ، ويدعم

---

(١) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ ص ٥٥٠ •

(٢) اللمع فى التصوف ، ص ٢٧ •

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٢١ •

(٤) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٩١ •

(٥) مقدمة ابن خلدون ، فصل فى علم التصوف •

(٦) رسالة الصوفية والفقراء ، ص ١٢ •

(٧) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق ص ٤٢ •

(٨) تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٨٢ •

(٩) الفكر العربى ومركزه فى التاريخ ، ص ١٥٠ •

(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف •

(١١) Trimingham; The Sufi Orders in Islam, Oxford, 1971, p. I.

كوربان رأيه بالاشارة الى أن البيرونى قد ألمح الى هذا التفسير (١) . لكن المستشرق نولدكه نفى تماما وجود أى صلة بين كلمة صوفى العربية وكلمة سوفوس Sophos اليونانية مبرهنا على ذلك بأن حرف السين فى اليونانية يكتب دائما سينا فى العربية لاصادا ، وأنه لا يوجد فى اللغة الآرامية كلمة انتقالية بين سوفوس اليونانية وصوفى العربية (٢) . وقد أخذ برأى نولدكة عدد من المستشرقين خاصة نيكلسون وماسينيون اللذان يعدان من أبرز المستشرقين اهتماما بدراسة التصوف الاسلامى وخرجا من دراسته بنتائج يعتد بها . وفضلا عن هذا ، يرى زكى مبارك أن العرب كانوا مولعين بحفظ ما يدخل فى لغتهم من الالفاظ الاجنبية ، فلو كان التصوف من سوفوس اليونانية لنصوا عليه فى كثير من المؤلفات ، لكن انعدام الاشارة الى ذلك فى كافة النصوص يقطع بأن ورودها عند البيرونى باب من الاغراب (٣) . وفضلا عن هذا فان القول بوجود صلة بين صوفى العربية وسوفوس اليونانية يحمل فى داخله سبب رده ورفضه لأنه من المستبعد أن تنسب طائفة الصوفية التى تعتبر الانسان عدما الى طائفة السوفسطائية التى تعتبر الانسان كل شىء وتجعله مقياسا للحقائق (٤) .

وعلى أى حال ، فقد قام المتصوفة — من قبيل الدعاية لنزعتهم وتحسينها — بالجمع بين أفضل ما فى المعانى كلها حتى كان لبعض مشايخهم فى التصوف نحو ثلاثة أجوبة (٥) ، كما أن الكلاباذى — الذى يدل اسم كتابه على أنه هدف الى التعريف بالتصوف — قام باستعراض الأقوال التى تروق له فى تفسير اسم التصوف وجمع بينها مضفيا اياها جميعا على التصوف ، يقول « اجتمعت هذه الأوصاف كلها ومعانى هذه الأسماء كلها فى أسامى القوم وألقابهم وصحت هذه العبارات ، وان كانت هذه الألفاظ

---

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٨٢ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف .
(٣) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق ، ص ٥١ — ٥٢ .
(٤) محمد غلاب : التنسك الاسلامى ، ص ٤٣ ..
(٥) الطوسى : اللمع فى التصوف ، ص ٢٧ — ٢٨ ، يقول :
« جواب بشرط العلم وهو تصفية القلوب من الاكدار واستعمال الخلق مع الخليقة واتباع الرسول فى الشريعة ، وجواب بلسان الحقيقة وهو عدم الأملاك والخروج من رق الصفات والاستغناء بخالق السموات وجواب بلسان الحق أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم فسموا بالصوفية » .

متغيرة فى الظاهر فان المعانى متفقة لأنها ان أخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية وان أضيفت الى الصفة أو الصفة كانت صفية أو صفية . ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء فى لفظ الصوفية وزيادتها فى لفظ الصفية أو الصفية انما كان من تداول الألسن ، وان جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة ، وجميع المعانى كلها من التخلى عن الدنيا وعزوف النفس عنها » (١) .

أما عن ماهية التصوف ، فالغزالى يذكر آن أقوال المشايخ فيها ــ الصوفية ــ تزيد على ألف قول (٢) ولقد وصلت الينا بعض هذه الاقوال مما قاله بعض مشاهير الصوفية (٣) لكن بعضها الآخر لم يصل

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٢٤ ــ ٢٥ .

(٢) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٩٠ .

(٣) منها قول معروف الكرخى (ت ٢٠٠ هـ) « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق » (احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٨٧) ، وقول ذى النون المصرى (ت ٢٤٥ هـ) « الصوفى الذى لايتعبه طلب ولا يزعجه سلب » (اللمع ، ص ٢٥ ــ ٢٦) ، وقول سهل بن عبدالله التسترى (ت ٢٨٣ هـ) « الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر » (السلمى : طبقات ، ط ص ٣٣٧) وقول أبى الحسين النورى (ت ٢٩٥) : « ليس التصوف رسوما ولا علوما ولكنها أخلاق » (اللمع ، ص ٢٦ وطبقات السلمى جـ ١ ص ١٦٦ ــ ١٦٧) وقول الجنيد البغدادى (ت ٢٩٧ هـ)، « التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أدل على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة » (الكلاباذى : التعرف ، ص ٢٥) وقول أبى محمد الجريرى (ت ٣١١ هـ) : « التصوف الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق سىء » (طبقات السلمى ، ط ص ٣٣٧) ، وقول أبى بكر الشبلى (ت ٣٣٤ هـ) « التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك » (طبقات السلمى ، ط ص ٣٣٧) .

الينا ، ولم يستنفع علامة مثل نيكلسون — رغم مكانته الكبيرة فى الدراسات الصوفية وسعه اطلاعه ومثابرته ووفرة مصادرة — أن يستقصى — على حد قوله — جميع هذه الاقوال (١) • وقد يكون اختلاف أقوال المشايخ فى التصوف « لاختلاف الأحوال فكل أجاب على قدر حاله وقدر ما يحتمل السائل فيه فان كان مريدا أجيب على ظاهر المذهب فى المعاملات وان كان متوسطا أجيب من حيث الأحوال وان كان عارفا أجيب من حيث الاحوال » (٢) وقد يكون السبب أيضا أن كل من أراد تعريف التصوف نظر الى جانب من جوانبه أو خلق من أخلاقه أو مبدأ من مبادئه (٣) •

ولكثرة تلك الأقوال حاول أبوحامد الغزالى أن يقول فى ماهيــة التصوف قولا جامعا فوصف الصوفى بأنه « الذى يكون دائم التصفية ، لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلوب عن شوب النفوس ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه ، فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره ، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه » (٤) •

لكن ابن خلدون يرى صعوبة وضع تعريف شامل للتصوف وذلك بسبب :

١ — ان هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية تعريف التصوف تعريفا شاملا يستوعب كل صورة وجزئياته بل قصدوا بها التعبير عن أحوالهم الخاصة فى لحظة معينة فهى تعبير عن مواجدهم وأحوالهم ومقاماتهم التى يتدرجون فيها فعبر كل منهم عما وجد ونطق بحسب مقامه •

---

(١) نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطوره وثبت بتعريفات كلمتى صوفى وتصوف مرتبة ترتيبا زمنيا من كتاب (فى التصــوف الاســلامى وتاريخه) ص ١ — ٤١ •

(٢) آداب المريدين ، مصورة بمكتبة جامعة الملك عبــد العــزيز برقم ١٢٧١ عن خطية مكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقم ١٨٦٦ •
ومجموع من كلام السهروردى ، مخطــوط بمكتبــة جــامعة الملك عبد العزيز رقم ١٢٢٥ •

(٣) أحمد الشرباصى : التصوف عند المستشرقين ، سلسلة الثقافة الاسلامية عدد ٢٧ القاهرة ١٩٦٥ ص ١٢ •

(٤) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٩٠ •

٢ ــ التطور السريع الذى شمل كل مرافق الحياة الاسلامية نتيجة لاتساع الدولة الاسلامية واشتمالها على بلاد ذات ثقافات دينية سابقة على الاسلام ، ونتيجة لما كان يدخل من هذه الثقافات على المجتمع الاسلامى من معان وأفكار كانت تطور كل شىء فى الحياة الاسلامية يوما بعد يوم فتبتعد به قليلا أو كثيرا عن معناه الأصلى البسيط الذى عرف به فى صدر الاسلام ، وقد تعرضت كلمة التصوف لمثل هذا التطور فكانت تتسع بمرور الزمن وتكتسب معانى جديدة تبعدها شيئا فشيئا عن مدلول التصوف فى أوله (١) •

ومن الملاحظ أن التطور الذى يحدث نتيجة التأثر بعوامل خارجية متزايدة تدريجيا أنه يكون عادة تدريجيا ومرحليا ، فهو تدريجى لأنه ينمو بنمو هذه المؤثرات الخارجية وهو مرحلى لأن هذه المؤثرات تنمو تدريجيا من خلال مراحل متتالية ، ومن ثم فقد لاحظ ابن خلدون أن المعانى الجديدة التى طرأت على كلمة التصوف بمرور الوقت أدت الى كثرة تعريفات التصوف ووسعت فى معانيه فلم ينطبق عليها حد واحد ويرى نيكلسون أن تطور التصوف كان يحدث عن طريقين : أولهما ، تنظيم التعاليم الدينية التى كان لها وجود بالفعل قبل التصوف والتوسع فى معانيها . وثانيهما ، اكتساب تعاليم ورسوم جديدة (٢) أى أنه يرى أن التصوف قد تطور تطورا ذاتيا داخليا من ناحية ، كما تطور نتيجة اتصاله بالمؤثرات الخارجية من ناحية أخرى • ويلخص نيكلسون مراحل تطور التصوف ــ كما يتصورها ــ كالآتى :

١ ــ أن التصوف بمعنى الانقطاع الى الله والعزلة عن كل ما سواه كان نتيجة طبيعية لنزعة الزهد التى ظهرت قوية فى الاسلام أثناء حكم الدولة الأموية •

٢ ــ ان حركة الزهد هذه لم تكن بمعزل عن المؤثرات المسيحية وان كانت فى جملتها نتيجة للتعاليم الاسلامية ومن ثم كان التصوف الذى ترتب عليها اسلاميا فى جوهره •

---

(١) المقدمة ، فصل فى علم التصوف •

(٢) نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطوره ، من كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ١ ــ ٤١ •

٣ ـ لكن ظهر فى نهاية القرن الثانى الهجرى تيار فكرى غير اسلامى كان له أثره فى التصوف الاسلامى ، وهذا التيار الجديد غير الاسلامى واضح كل الوضوح فى أقوال معروف الكرفى .

٤ ـ تطورات هذه الأفكار الجديدة تطور عظيما وأصبحت العنصر الفعال فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى . وكان ذو النون المصرى (ت ٢٤٥) هـ أكبر شخصية شكلت المذهب الصوفى وطبعته بطابعه الدائم .

٥ ـ الظروف التاريخية التى ظهر فيها هذا النوع الجديد من التصوف تحمل على الاعتقاد بأن مصدره خارجى يتمثل فى روافد عدة ، بعضها يونانى يتمثل فى الأفلاطونية الحديثة والمذهب الغنوصى ، وبعضها فارسى أو هندى يتمثل فى الأفكار التى أدخلها الى التصوف أبو يزيد البسطامى . أما كلام الصوفية فى الفناء فالمرجح أنه مستمد من مذهب النرفانا البوذية .

٦ ـ أصبح التصوف مذهبا منظما أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث الهجرى وصار للصوفية أساتذة وتلاميذ وقواعد للسلوك ، لكنهم بذلوا ما وسعهم من جهد للتوفيق بين تصوفهم وبين القرآن والسنة اللذين اتخذوهما أساسا لجميع أقوالهم وأفعالهم (١) .

ومع أن نيكلسون يبدو مقنعا فى تصوره لتطور التصوف حتى أواخر القرن الثالث الهجرى ، فانه ينبغى ملاحظة ما يأتى : ـ

١ ـ ان النزعة الصوفية فى الاسلام كانت تتزايد كميا ونوعيا كلما ابتعدت عن بداياتها الأولى حتى انتهت الى حركة واسعة ينتظم فى عدادها طوائف شتى قد يتشابهون فى لبسة الصوف لكنهم يتفاوتون تفاوتا شديدا فيما بينهم ومن ثم حرص بعض المعنيين على توضيح الفوارق بين مختلف جماعات المتصوفة وتمييز المعانى بعضها عن بعض ، فالغزالى ـ على سبيل المثال ـ يرى أنه « حيث وقع الاشتباه فلابد من بيان فاصل فقد تشتبه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد

---

(١) نيكلسون : المرجع السابق ص ١ ـ ٤١ .

بعضـها من بعض » (١) • ومن أمثلة العناية بالتمييز بين المعانى قول أبى عبد الله بن الجلاء : « من استوى عنده المدح والذم فهو زاهـد ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد » (٢) ، وميز الغزالى بين الصوفى والفقير لأنه رأى أهل الشام يخلطون بينهما (٣) • ومع أن الكلاباذى كان يريد اضفاء كل الصفات المختارة على الصوفية الا أنه ميز — ربما من حيث لا يدرى — بين المعانى المختلفة اذ يقول « لخروجهم عن الأوطان سموا غرباء ولكثرة أسفارهم سموا سياحين ومن سياحاتهم فى البرارى وايوائهم فى الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار شكفتية ، والشكفت بلغتهم الغار ، وأهل الشام سموهم جوعية ، ومن تخليهم عن الأملاك سموا فقراء ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية » (٤) •

٢ — ظهر بين الصوفية اتجاه لتصنيف أنفسهم الى درجات أو طبقات يعلو بعضها فوق بعض ، فأعلاها الصوفى وأوسطها المتصوف وأدناها المستوصف • فالصوفى اسم يطلق على أهل الكمال منهم ، والمتصوف هو من يطلب هذه الدرجة العليا بالمجاهدة ، والمستوصف هو من تشبه بهم من أجل الجاه • وبعبارة أخرى ، الصوفى صاحب الوصول والمتصوف هو صاحب الاصول والمستوصف هو صاحب الفضـول (٥) • بينما يصنفهم البعض الى ثلاث طبقات : مريد طالب ومتوسط ساير ومنته واصـل (٦) •

٣ — مارس عدد من المتصوفة نوعا من النقد الذاتى لتنقية الحركة الصوفية مما عاق بها من الشوائب ، من ذلك قول يوسف بن الحسين الرازى « رأيت آفةالصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضـداد وارفاق النسوان » (٧) وذكر أبو سعيد الخراز أنه رأى ابليس فى المنام فحاوره فقال له ابليس ان له فى الصوفية لطيفة هى صحبة الأحداث ، ولم ينكر الخراز ذلك وانما قال مستهجنا « قل من يتخلص من هذا

---

(١) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٨٨ •
(٢) السلمى : طبقات الصوفية ، جـ ١ ص ١٧٨ •
(٣) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ٨٨ •
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٢١ — ٢٢ •
(٥) الهجويرى ، كشف المحجوب ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ •
(٦) مجموع من كلام السهروردى ، مخطوط ، بدون ترقيم للصفحات •
(٧) السلمى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٨ •

ىن الصوفية » (١) • وكان أبو حامد القصار اذا رأى أصحاب المر
يقول : نشرتم أعلامكم وخبرتم صولكم فياليت شعرى فى اللقاء أى
تكونون » (٢) أما أبو الحسن القناد فقد انتقد أهل التصوف نثر
فقـال :

أهل التصوف قد مضـوا	صار التصـوف مخـرقة
صـار التصـوف صيحة	وتواجـدا ومطبقـة
مضت العلـوم فلا عـد	وم ولا قلـوب مشـرقة
كذبتـك نفسـك ليس ذ	ى سـنن الطريقة المخلفة
حتى تـكون بعـين من	عنـه العيـون المحـدقة

ويذكر السراج الطوسى أن الذين خلطوا من الصوفية ثلاث طبقات
منهم من غلطوا فى الأصول من قلة احكامهم لأصول الشريعة فى
الوصول لتضييع الأصول ومنهم من غلطوا فى الفروع وهى الا
والأخلاق والمقامات والأحوال والأفعال والأقوال لأنهم لم يدنوا
يوقفهم على المنهج الذى يؤدى بهم الى مطلوبهم فيقع فيهم الغلط و
منهم الهفوة والشطط ، ومنهم — وهم الطبقة الثالثة — من كان
فيما غلطوا فيه زلة وهفوة لا علة وجفوة فاذا تبينوا ذلك عادوا
مكارم الأخلاق فعادوا الى الأحوال الرضية والأفعال السنية والد
الرفيعة فلم تنقص مراتبهم هفوتهم (٤) •

ويمكن أن نعد الرسالة التى وجهها أبو القاسم عبد الكريم القشـ
المتوفى سنة ٤٦٥ هـ الى جموع الصوفية فى وقته ، والمعروفة بالر
القشيرية ، نوعا من النقد الذاتى كان يهدف منه الى تحسين صورة التصـ
وتزيينه فى قلوب معاصرية وتقريب الشقة بينه وبين مذهب أهل السـ

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٣٢ .
(٢) السهروردى ، آداب المريدين ، مخطوط ، بدون ترقيم .
(٣) الطوسى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤١٠ — ٤١١ .

٤ ـ سعى بعض المتصوفة الى تحسين صورة التصوف مثل أبى القاسم القشيرى (ت ٤٦٥ هـ) وأبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) الذى كانت محاولته فى ذلك أنجح المحاولات لولا أن انتقص من أثرها ما ردده متصوفة القرن السادس الهجرى من أقوال مثل محيى الدين بن عربى ومن نحانحوه من المتصوفة ، مما دعا المتشددين من أهل السنة المعادين للتصوف أن يشنوا أقسى الهجمات على المتصوفة مثل هجوم أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧) على الصوفية خاصة فى كتابة تلبيس ابليس (١) فقد كان هجوم ابن الجوزى أعنف وأقسى هجوم عليهم ـ خاصة على المتأخرين منهم ـ فشنع عليهم وفضح كثير من زلاتهم مرجعا اياها الى غواية الشيطان لهم أو تلبيس ابليس عليهم .

لقد مر التصوف عبر تطوره منذ بدايته فى القرن الثانى الهجرى وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى بعدة مراحل رئيسية تتصورها كالتالى :

١ ـ المرحلة الأولى : بدايات التصوف .

وهى مرحلة ظهور التصوف على الساحة الاسلامية منبثقا عن تصاعد الزهد المنظم (٢) ويمكن اعتبار النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى بداية هذه المرحلة التى كان المتصوفة فيها لا يختلفون كثيرا عن الزهاد وكان التزامهم بالشريعة واضحا فخلط الناس يومئذ بينهم وبين الزهاد مما دعا الصوفية الأوائل الى الاهتمام بالتمييز بين التصوف وغيره من المذاهب والنزعات فكثرت أقوالهم فى ذلك مثل بشر الحافى (ت ٢٢٧ هـ) الذى ميز بين الصوفى والفقير (٣) . وقد بلغت هذه المرحلة نهايتها بظهور ذى النون الاخميمى المصرى (ت ٢٤٥ هـ) الذى كان علامة بارزة فى تاريخ التصوف ، ويعده نيكلسون أحق رجال التصوف على الاطلاق بأن يطلق عليه اسم واضع أسس التصوف (٤) واعترف له بهذا الفضل

---

(١) Margoliouth; «The Devil's Delusion by Ibn Al-Jayzi» IC, IX (Jan, 1935) pp. 1-21.

(٢) محمد جواد مغنية : المرجع السابق .

(٣) السلمى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧ .

(٤) نظرة تاريخية فى أصل التصوف وتطوره (من كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه) ص ١ ـ ٤١ .

كثيرون فيرى عبد الرحمن الجامى أنه رأس فرقة الصوفية ، أخذ عنه الجميع وانتسبوا اليه « وقد كان المشايخ قبله ولكنه كان أول من فسر اشارات الصوفية وتكلم فى الطريق » (١) ويرى فيه أو ليرى أنه أول من جعل التصوف علما حقيقيا (٢) .

٢ — المرحلة الثانية : تدعيم التصوف وانتشاره .

وتبدأ هذه المرحلة من حيث تنتهى سابقتها عند ذى النون المصرى ، ونعدها مرحلة تدعيم التصوف اذ كان الاهتمام فيها ينصب على توضيح أصول التصوف وشرائطه ومعانيه ، فيذكر السرى السقطى (ت ٢٥٧ هـ) — على سبيل المثال — أن للتصوف ثلاث معان ذكرناها آنفا ، وسهل ابن عبد الله التسترى (ت ٢٨٣ هـ) يذكر أن الصوفى تلزمه ثلاثة أشياء : حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره . وذكر أيضا أن أصول التصوف سبعة : التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق (٣) وشتان ما بين هذه الأصول السبعة التى يحددها التسترى وبين أركان التصوف التى يصل بها الكلاباذى فيما بعد (ت ٣٨٠ هـ) الى عشرة أركان هى : تجريد التوحيد ثم فهم السماع وحسن العشرة وايثار الايثار وترك الاختيار وسرعة الوجد والكشف عن الخواطر وكثرة الأسفار وترك الاكتساب وتحريم الادخار (٤) ، فهذا الفارق بين الأصول عند التسترى والأركان عند الكلاباذى كان نتيجة لتطور التصوف تطورا كبيرا فى نحو قرن واحد من الزمان . كما يظهر هذا التطور فى المقارنة بين ما سجله السلمى من شروط كان يأخذ بها المشايخ المتقدمون وبين الأركان التى ذكرها الكلاباذى ، يذكر السلمى « شرائط التصوف ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد فى الدنيا والاشتغال بالعبادة والذكر والغنى عن الناس والقناعة والرضا بالقليل من المطعوم والمشروب والملبوس ورعاية الفقراء وترك الشهوات والمجاهدة والورع وقلة النوم والكلام والمراقبة والوحشة من الخلق والغربة ولقاء المشايخ والأكل عند الحاجة والكلام

---

(١) نفحات الانفس ، ص ٣٤ .

(٢) تاريخ الفكر العربى ص ١٦٤ .

(٣) السلمى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٠٨ — ٢١٠ .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٨٩ .

عند الضرورة والنوم على الغلبة والجلوس فى المساجد ولبس المرقعة والرث » (١) .

لقد طرأت على التصوف فى المراحل التالية اضافات كمية ونوعية كانت تزيده اتساعا وبعدا عن شكله الأول وقد أشار ابن الجوزى الى تلك المتغيرات فذكر أن الصوفية الأوائل كان عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الحميدة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق وغير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المديح فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ثم جاء أقوام تكلموا لهم فى الرجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك (٢) .

تمتد المرحلة الثانية من التصوف — مرحلة التدعيم — لتشمل الجنيد المتوفى سنة ٢٩٧ هـ والذى يصفه ابن تيمية بأنه سيد طائفة الصوفية (٣) . وقد قام الجنيد بتسجيل تعاليم ذى النون المصرى وترتيبها حتى أصبحت الأساس الذى بنى عليه الصوفية جميعا (٤) وخطى التصوف على يد الجنيد خطوات واسعة اذ صاغ المعانى الصوفية وشرحها كتابة ، وكان يعلم التصوف سرا فى السراديب وفى بيوت خاصة (٥) ، وتتلمذ عليه عدد من أعلام التصوف اللاحقين مثل عمرو بن عثمان المكى وأبى بكر الشبلى وأبى بكر بن سعدان وغيرهم وقد ظهر منذ أواخر القرن الثالث الهجرى تصوف جديد — على حد تعبير أوليرى — ساهمت فى ايجاده مثل دينية مغايرة لتلك التى كانت سائدة فى صدر الاسلام ، ونتج عن التأثر بهذه المثل الجديدة كلام فى الالهيات من نوع خاص ظل ينظر اليه زمنا طويلا على أنه مروق عن الاسلام الصحيح (٦) وكان لتأثره الواضح بأفكار دينية غير اسلامية أثره فى ابتعاد التصوف فى آخره عنه فى أوله (٧) وكان هذا التصوف الجديد يتمثل فى أبى يزيد البسطامى الذى

---

(١) المقدمة فى التصوف ، ص ٦٤ .

(٢) تلبيس ابليس ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٣) مجموع فتاوى ، مجلد ١١ ، ص ١٨ .

(٤) أوليرى : المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٥) عبد الرحمن الجامى : المصدر السابق ص ٣٦ .

(٦) أوليرى : المرجع السابق ، صص ١٠٦ — ١٦١ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، فصل فى علم التصوف .

قال بالاتحاد بمعنى اتحاد المخلوق مع الخالق ليصبحا حقيقة واحدة (١) .

٣ ـ المرحلة الثالثة : مرحلة الشطط :

وهى المرحلة التى يمكن القول بابتدائها على يد الحسين بن منصور الحلاج (قبل سنة ٣٠٩ هـ) الذى توغل بالتصوف فى أقوال مبهمة وتهويمات غامضة وقال بالحلول بمعنى حلول الله فى الانسان وساير المخلوقات (٢) ، فلم يرض عنه أحد من المسلمين حتى مشايخ الصوفية أنسهم فكان منهم من أنكر قوله وردوه ولم يقبله منهم الا أقلهم ممن جعلوه أحد المحققين فى التصوف (٣) . فلا غرو اذن أن يتهمه أهل السنة بالزندقة ويحاكمونه ويعدمونه فى بغداد سنة ٣٠٩ هـ باعتباره مبتدعا يتنافى مذهبه فى الحلول مع الدين الصحيح (٤) .

ويبدو أن أقوال الحلاج وأمثاله من أهل الشطط فى التصوف قد أدت الى اشتداد معارضة أهل السنة للتصوف وانكارهم للبدع الصوفية مما أساء الى الحركة الصوفية وقبح وجهها فى العالم الاسلامى فنهض عدد من معتدلى التصوف لتحسين وجه التصوف وبذلوا فى ذلك جهودهم . وبعد كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبى الحسن الملطى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ نموذجا لتزايد هجوم أهل السنة على التصوف فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (٥) لكن الصوفية المعتدلين انبروا للدفاع عن نزعتهم مظهرين تمسكهم بالشريعة ومستهجنين أغلاط المخطئين من المتصوفة ، وكتبوا فى ذلك عدة كتب كان هدفها جميعا تحسين صورة التصوف أمام معاصريهم . وكان من أقدم من قاموا بذلك من المتصوفة السراج الطوسى الذى كان معاصرا لأبى الحسين الملطى وتوفى بعده بعام واحد فقط فى سنة ٣٧٨ هـ فكتب كتابه اللمع فى التصوف ، وعاصره الكلاباذى الذى توفى بعده بعامين فى سنة ٣٨٠ هـ وكتب كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف . وتطورت جهود المتصوفة لتحسين صورة مذهبهم الى محاولات للتوفيق بينه وبين مذهب أهل السنة ، يذكر فى

---

(١) محمد جواد مغنية : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
(٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(٣) السلمى ، المصدر السابق جـ ١ ص ٣٠٦ .
(٤) الفرديل : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .
(٥) عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

ذلك الرسالة القشيرية التى وجهها أبو القاسم القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ الى معاصرية • لكن أبرز وأنجح محاولة للتوفيق بين مذهب أهل السنة وبين التصوف كانت تلك التى قام بها حجة الاسلام أبو حامد الغزالى والتى يرى البعض أنها غيرت من مجرى التصوف الاسلامى ، « فقد أرسى الغزالى قواعد التصوف السنى الذى يعنى بالجانب الخلقى التربوى فى العالم الاسلامى ورفض أنواع التصوف الأخرى المسرفة كتصوف الحلاج القائم على فكرة الحلول وتصوف البسطامى الذى يعلن فيه الاتحاد » (١) • ويرى ألفردبل أن هذا التوفيق الذى بدأ منذ القرن الخامس الهجرى بين التصوف والاسلام السنى والذى قام فيه القشيرى والغزالى بأهم دور قد خفف حدة العداء للتصوف وأوجد له أنصارا فى العالم الاسلامى على اتساعه خاصة فى بلاد المغرب (٢) •

٤ — المرحلة الرابعة :

وهى التى تبدأ فى القرن السادس الهجرى وتمتد بعد ذلك محددة ملامح الحركة الصوفية فى القرون التالية متمثلة فى اتجاهين رئيسيين : أولهما ، اتجاه نظرى فلسفى يعد محيى الدين بن عربى علمه الأشهر وثانيهما اتجاه عملى منظم يتمثل فى الطرق الاخوانية الجماعية المنظمة والمعروفة اصطلاحا باسم الطرق الصوفية والتى تمثلت بواكيرها فى الطريقة القادرية الجيلانية التى أسسها عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ والطريقة الرفاعية التى أسسها أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ • وعلى الرغم من وقوع هذه المرحلة خارج نطاق هذه الدراسة التى تتناولها فمن الممكن أن نشير الى أن آراء وسلوكيات الصوفية فى هذه المرحلة من أمثال ابن عربى ومن هم على شاكلته من ناحية والطرق الاخوانية من ناحية أخرى قد أودت بالتقارب الذى توصل اليه الغزالى بين أهل السنة والتصوف المعتدل ، ومن ثم فقد عاود أهل السنة مهاجمة التصوف بل تعرض التصوف لأقسى هجوم فى تاريخه من قبل عبد الرحمن بن الجوزى (٣) ،

---

(١) أبو الوفا التفتازانى : الطرق الصوفية فى مصر ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢٥ / ١٩٦٣ ، جـ ٢ ، ص ٥٥ وماتعدها .

(٢) الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص‌ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .

(٣) Margoliuth; op. cit. pp. 1-21.

ثم جاء هجوم ابن تيمية بعد ذلك أقل حده لكنه صبه على أمثال الحلاج وابن عربى ومن على شاكلتهما ممن أسماهم بالحلولية والاتحادية .

لقد كان التصوف دوما عرضة لانتقاد أهل الفرق الاسلامية على اختلافها . لكن نبرة هذا النقد كانت تخفت حينا وتعلو حينا آخر تبعا لظروف كل فرقة من ناحية وتبعا لأحوال الصوفية أنفسهم من ناحية أخرى . ولم يكن النقد الموجه للصوفية أو الهجوم عليهم فى أغلب الأحيان الا رد فعل لأقوالهم وأفعالهم ومن ثم يمكن أن نفسهم خفوت النقد لمتصوف معتدل كالغزالى وحدة النقد — بل الهجوم — الموجه ضد متصوفين آخرين كالحلاج وابن عربى .

كان الخوارج أول الفرق الاسلامية انتقادا للتصوف ، اذ أخذوا على المتصوفة طاعتهم لسلطان الجور وقولهم بأن النية أفضل من العمل (١) . وسخط الشيعة على المتصوفة (٢) لقولهم بالولاية وبالقطب الغوث مما يعطل علم الامامة عند الشيعة (٣) فضلا عن أن تجمع المريدين حول مشايخ الصوفية حرم الشيعة من رصيد بشرى هائل كان من الممكن استمالته الى التشيع وتجميعه حول الامام الشيعى الذى ادعى لنفسه العصمة متطلعا الى زيادة سلطانه وزيادة أتباعه لاسيما بعد انحسار النفوذ السياسى للخلفاء العباسيين منذ تزايد نفوذ الأتراك وتسلطهم على الخلافة العباسية . أما أهل السنة فقد كانوا أخف حدة فى معارضتهم للتصوف خاصة المعتدل منه ، اذ كان هجوم أهل السنة لا ينصب غالبا الا على غلاة الصوفية ولم يقولوا بمروق المعتدلين منهم عن الدين (٤) .

والتصوف — على حد قول الهويرى — تنقل وتكلف (٥) أو بعبارة أخرى هو رحلة يسلكها المتصوف مرورا بمنازل أو مقامات وصولا الى مرتبة الصوفية التى تطلق على كاملى الولاية ومحققى الأولياء . أو هو رحلة للوصول الى الحقيقة ومعرفة الله (٦) .

---

(١) كوربان : المرجع السابق ، ص ٤٨٤ .
(٢) محمد جواد مغنية : المرجع السابق ص ١٨٦ .
(٣) كوربان : المصدر السابق ، ص ٤٨٤ .
(٤) ماسينيون ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف .
(٥) كشف المحجوب ، ص‌ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
(٦) S. Trimingham; op. cit. p. I.

ويقسم الصوفية هذه الرحلة — التى يدعونها الطريق أو السبيل — الى مقامات والمقامات الى أحوال يترقى فيها المريد فى ظل رعاية شيخه من حال الى حال ومن مقام الى مقام حتى يصل الى التوحيد والمعرفة التى هى الغاية المرجوة للسعادة فى رأيهم (١) وهذه الرحلة لها فى التصوف كثير من الأهمية حتى أن الهروى (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٩ م) أفرد لبيانها وشرح مقاماتها وأحوالها كتابا أسماه منازل السائرين » (٢) يبدو أنه هو الذى أشار اليه ابن خلدون باسم كتاب المقامات للهروى (٣) .

وقد وضع الصوفية للطريق — أو السبيل — شروط « هى قلة الكلام والطعام والمنام واعتزال الأنام والذكر المرام واطعام الطعام وافشاء السلام وقيام الليل والناس نيام . وله أصول : التمسك بالكتاب والسنة وأكل الحلال وكف الأذى وتحمله وتجنب المعاصى والتوبة قبل الشروع وأداء الحقوق واجتناب الجبابرة والقراء المذاهنين والمتصوفة الجاهلين ... ولابد للسالك من الورع لأنه زمام الدين وترك الطمع لأنه فساد الدين » (٤) والسبل كثيرة عندهم « لا تعد ولا تحصى ، بل المتعارف منها أربعة : سلوك طريق المعاملة ... وهى ما عليه السواد الأعظم ... الثانى : سلوك طريق السياحة لكسر النفس وتهذيب الأخلاق وصحة التوكل والنظر فى آلاء الله والاجتماع بالأخيار والأخذ عنهم ، الثالث : السلوك فى طريق المجاهدة وترك المألوفات والشهوات والعادات ومخالفة النفس بالرياضات والانقياد للمرشد الكامل وترك الدنيا وأهلها ... الرابع : سلوك أهل الجذب وهو الفناء فى الله ... فلا يرى الا الله ولا يتكلم الا بالله ولا يسمع الا من الله » (٥) .

والطريق عند المتصوفة غير الطريقة ، فالطريق Road هو السبيل الذى يسلكه المريد وصولا الى المراد وهو ما كان معروفا لدى المتصوفة

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، فصل فى علم التصوف .

(٢) نشر هذا الكتاب بتحقيق الأب لوجيية دى بوركى الدومنكى ، القاهرة / ١٩٦٢ .

(٣) المقدمة ، فصل فى علم التصوف .

(٤) مجهول : رسالة فى آداب الصوفية ، مخطوط بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز برقم ٧٦٥ .

(٥) مجهول : رسالة فى آداب الصوفية ، مخطوط بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز برقم ٧٦٥ .

الاوائل ابان التصوف الفردى . أما الطريقة Order فاصطلاح ظهر لاحقا ابان التصوف الجماعى المنظم يطلق على جماعات المعاشرة الاخوانية التى تعرف باسم الطرق الصوفية وتدعى الواحدة منها باسم الطريقة . والأساس فى هذه الطريقة هو تنظيم العلاقة بين المرشد والمريد (١) .

غير أن البعض يخلط بين مصطلح الطريق Road واصطلاح الطريقة Order ، فماسينيون — على سبيل المثال — خلط بينهما وجعل لكلمة طريقة معنيين متتالين زمنيا ، أولهما كان يعرف فى القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين وفيهما كانت الطريقة تعنى ضروب من السلوك الفردى ، وثانيهما يأتى بعد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وفيه أصبحت الطريقة عبارة عن مجموع مراسم التدبير الروحى المعمول به من آجل المعاشرة الاخوانية (٢) . ويبدوا أن ما سينيون كان يقصد بالمعنى الأول لما يسميه الطريقة ما كان يعنيه مصطلح الطريق Road عند الصوفية الأوائل وهو السبيل الذى يسلكه المريد وصولا الى المراد خلال منازل نفسية مختلفة ومتعاقبة تعرف بالمقامات والأحوال .

لقد كان الطريق Road هو سبيل المتصوفة ابان التصوف الفردى أما الطريقة Order فقد أطلقت على الجماعة الصوفية التى تنتظم حول شيخ من المشايخ يكون لها مرشدا . ولعل أولهما كان سببا فى الآخر حينما أكد المشايخ الأوائل على ضرورة أن يسترشد المتصوف السالك للسبيل بهدى شيخ من مشايخ التصوف حتى أن أبا يزيد البسطامى قال : من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه (٣) وقال الجنيد : من سلك بغير شيخ ضل وأضل (٤) .

ويرى كارادى فو أن الطرق الصوفية هى التعبير المنظم عن التصوف الاسلامى بعد أن ظل قرونا طويلة يقوم على الأفراد وأن هذه الطرق

---

(١) S. Trimingham; op. cit. p. 3.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تصوف .

(٣) القشيرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٣٥ واحسان الهى ظهير : التصوف ، ص ٢١٧ .

(٤) احسان الهى ظهير : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

التى لها طبيعة الهيئات الدائمة التى تحتفظ بنظام خاص وعبارات خاصة ويجمعها اسم معلوم لم تنشأ الا فى القرن السادس الهجرى فى الحقبة المضطربة من تاريخ الاسلام التى تمزقت فيها أوصال الدولة السلجوقية . وكانت أول طريقة بهذا المفهوم لها أصل معلوم ولا تزال باقية حتى الآن هى الطريقة القادرية التى أنشأها عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ (١) .

واذا كان كارادى فو يرجع نشأة الطرق الصوفية الى الفترة المضطربة من تاريخ الاسلام ، فان بعض الدارسين يحملون هذه الطرق بعض مسئولية التدنى الذى حل بالعالم الاسلامى ، فقد أدى الى ذلك اعتناق الصوفية لعقيدة الجبرية وتزوعهم الى التواكل والسلبية وظهور الفرق الصوفية التى جعلت من الضعف والعجز مبدأ أساسيا بدعوى تفويض الأمور الى الخالق فحاد المتصوفة بذلك عن طريقهم الأول وصاروا يعرفون التصوف بأنه الصبر تحت الأمر والنهى بعد أن كانوا يرونه فى عصره الأول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) .

وواقع الأمر ، أن الطرق الصوفية لم تكن أساس التدنى ـ وان كانت قد أسهمت فيه ـ اذا كانت نفسها وليدة التدنى والتدهور الذى عصف بالعالم الاسلامى منذ القرن السادس الهجرى ومن ثم لم تكن هى سببا له وانما كانت احدى نتائجه .

هكذا كان مسار التصوف فى العالم الاسلامى منذ ظهوره فى القرن الثانى الهجرى حتى ظهور الطرق الصوفية فى القرن السادس الهجرى ـ واذا كانت نزعة الزهد التى سبقته ومهدت له قد بدأت فى المشرق الاسلامى وفيه تصاعدت مؤدية الى التصوف ، فان الأمر لم يختلف عن ذلك فى المغرب الاسلامى الذى لم يتأخر كثيرا عن مواكبة الحركة الزهدية ـ الصوفية فى المشرق الاسلامى ، اذ مالبثت هذه الحركة أن امتدت الى بلاد المغرب والأندلس فى وقت غير بعيد عن بدء ظهورها فى المشرق . ولقد أصاب ألفرد بل اذ قال : « سيكون مثارا للدهشة لو لم ينجح

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة درويش .

(٢) توفيق بن عامر الصوفية والعقيدة الجبرية ، حوليات الجامعة التونسية عدد ١٨ / ١٩٨٠ ص ص ٧٥ ـ ٨٨ .

التصوف فى النفوذ فى الاسلام المغربى والتغلغل فيه ذلك أن كل الحركات التى ظهرت فى المشرق الاسلامى منذ بداية الاسلام وجدت لها أصــداء فى الشمال الأفريقى » (١) .

واذا كنا نوافق ألفرد بل فيما ذهب اليه ، فاننا نضيف الى ذلك أن كل الحركات التى ظهرت فى المشرق الاسلامى لم يقتصر صداها على الشمال الأفريقى فحسب بل عبرت مضيق جبل طارق وتردد صداها أيضا فى الأندلس .

وفى ضوء ما تقدم ، سوف نتعرض فى الصفحات التالية لدراسة الزهد والتصوف فى المغرب والأندلس منذ ظهورهما هناك حتى نهاية القرن الخامس الهجرى على اعتبار أن نزعة الزهد التى تصاعدت الى التصوف فى المشرق قد سارت فى مسار مشابه لذلك فى بلاد المغرب والأندلس فى أوقات متقاربة وظروف متشابهة تجعل من الحركة الزهدية ــ التصوفية تيارا عاما فى العالم الاسلامى كله بجناحيه الشرقى والغربى على السواء .

---

(١) الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ٣٧٩ .

الزهـــاد والمتصوفة فى بلاد المغـــرب الاســــلامى

حتى القـــرن الخامس الهجـــرى

الزهد والزهاد فى بلاد المغرب الاسلامى :

لم يتأخر ظهور الزهد فى بلاد المغرب كثيرا عن ظهوره فى المشرق الاسلامى ، فقد نزع كثير من أهل المغرب الى الزهد منذ وقت مبكر من تاريخ الاسلام فى بلاد المغرب . ولم يكن نزوع المغاربة الى الزهد راجعا فقط الى أن الحركات التى كانت تظهر فى المشرق الاسلامى تجد صداها فى الجناح الغربى من عالم الاسلام وانما كان ذلك النزوع يرجع أيضا الى عدة عوامل سياسية واقتصادية وثقافية ونفسية ، يمكن أن نشير الى البعض منها :

١ ـ وفود بعض الزهاد المشارقة الى بلاد المغرب :

كان مما ترتب على الفتح الاسلامى لبلاد المغرب تدفق كثير من المشارقة الى تلك النواحى ، وعلى الرغم من تنوع مهامهم وتعدد أهدافهم فانهم قد تضافروا جميعا فى انجاز أعظم حركة وأروعها لأسلمة بلاد المغرب وتعريبها مما جعل من بلاد المغرب جزء لا يتجزأ من عالم الاسلام والعروبة .

وكان ممن قدم من المشرق الاسلامى الى بلاد المغرب نفر من الزهاد الذين نزعوا الى الزهد ومارسوه وعايشوا أهله وتمرسوا فيه حتى أصبح الزهد علما عليهم وأصبحوا أعلاما فيه ؛ فلما قدموا الى بلاد المغرب أثاروا فى نفوس المغاربة الأعجاب بالزهد والميل اليه .

كان من أوائل الزهاد الذين وفدوا من المشرق الاسلامى الى بلاد المغرب نفر من التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الى بلاد المغرب ليفقهوا أهلها فى الدين . وكان هؤلاء النفر يتصفون ـ فضلاً عن علمهم وفقههم ـ بالزهد ويمارسونه ، منهم اسماعيل ابن عبيد الأنصارى المعروف بتاجر الله الذى كان من أهل الفضل والعبادة والنسك والارادة ، قال فيه سعيد بن المسيب ـ التابعى المشهور ـ انه نسك نسك العجم . وكان اسماعيل بن عبيد تاجر الله يلبس جبة صوف وكساء صوف وقلنسوة صوف ، سكن القيروان وكان أول من بنى بها جامع الزيتونة سنة ٩١ هـ ، علم أهلها فقهه وزهده حتى خرج متطوعا فى

غزاة عطاء بن رافع صقلية فغرق فى البحر فمات سنة ١٠٧ هـ (١) • وكان من هؤلاء التابعين العشرة أيضا اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى الذى ولاه عمر بن عبد العزيز على افريقية لكنه كان مع فقهة صالحا زاهدا ، بلغ من الزهد أنه كان اذا أقبل من الغزو فى الصائغة افترش درعه فنام عليها ، وكان هو وأم ولده وفرسه يسكنون بيتا واحدا زهدا فى الدنيا وتواضعا ، ضرب به المثل فى الزهد حتى قال فيه أحدهم : ما رأيت زاهدا فى هذه الأمة غير اثنين : عمر بن عبد العزيز واسماعيل ابن عبيد الله المخزومى ولقد تعلم أهل افريقية من فقهه وزهده حتى توفى بالقيروان سنة ١٢٢ هـ ٢ (٢) •

ثم قدم الى افريقية زهاد آخرون من المشارقة نعرف قلة منهم مثـــل سعيد الأدم المتعبد بمصر والذى زار افريقية فلقى فيها أبا عيسى مروان ابن عبد الرحمن اليحصبى (٣) ، ولا شك أن آخرين غيره قد قدموا الى بلاد المغرب من المشرق كان لهم دور فى استمالة المقاربة الى الزهد غير أن المصادر المغربية سكتت عن كثير من أخبارهم اهتماما منها بأخبار المغاربة الذين رحلوا من بلاد المغرب الى المشرق الاسلامى •

٢ — رحلات الزهاد المغاربة الى المشرق الاسلامى :

كانت رحلات المغاربة الى بلاد المشرق لا تنقطع اذ كانوا يتدفقون على المشرق تدفقا مستمرا لأسباب شتى كالحج الى المشاعر المقدسة فى الحجاز ولطلب العلم فى مدارسه المشرقية خاصة فى الحجاز والعراق والشـــام ومصر ولغير ذلك من أسباب حتى يمكننا القول ان الرحلة الى المشرق كانت حلما يراود كل مغربى •

وكان كثير من هؤلاء الذين ارتحلوا الي المشرق من الزهاد والعباد الذين كانوا يسعون — فيما يسعون اليه — الى لقاء الزهاد المشـــارقة للتعرف عليهم والأخذ عنهم • فمن هؤلاء الذين ارتحلوا الى المشرق — على

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ص ص ١٠٦ — ١٠٧ .
والدباغ : معالم الايمـــــان فى معرفة أهل القيروان ، جـ ١ ، ص ص ١٩١ — ١٩٥ .
(٢) المالكى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ص ١١٥ — ١١٦ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ص ١٩١ — ١٩٥ .
(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ص ١٩٥ .

سبيل المثال — أبو عبد الله محمد بن مسروق الزاهد ، هكذا كان يلقب ، وكان صالحا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة عن غنى ومقدرة ، لقى فى رحلته حين نزل بالاسكندرية أبا شريح المتعبد الاسكندرانى (١) • وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسى الذى ذكره المالكى وكتب عنه أنه كان متجردا عن الدنيا زاهدا فيها ، كان أصله من السوس الأقصى وقدم الى افريقية فأقام مدة بالقيروان صحبة فيها عدد من أهلها وانتفعوا به كان فى مقدمتهم البهلول بن راشد • وكان أبو عبد الله السوسى هذا هو القائل عن الزهد حينما سئل عنه : « الزهد تجريد القلوب وتزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا » • وقد ارتحل أبو عبد الله السوسى هذا الى المشرق وقيل انه توفى بالطور بمصر (٢) •

وكان ممن ارتحلوا الى المشرق البهلول بن راشد ، يصفه المالكى بأنه وتد من أوتاد المغرب (٣) والوتدية مرتبة من مراتب الصوفية لكننا نشك فى أن البهلول بن راشد كان من المتصوفة وانما كان زاهدا فقط • وقد التقى البهلول بن راشد فى المشرق بالامام مالك الذى لاحظ غلبة العبادة عليه فلقبه عابد المغرب • وكان يضرب به المثل فى الورع ببلاد المغرب ، قال فيه موسى بن معاوية الصمادحى : رحلت من القيروان ولا أظن أنى أرى أخشع من البهلول بن راشد حتى لقيت وكيع بن الجراح (٤) •

وكان ممن ارتحلوا الى المشرق عبد الملك بن أبى كريمة ، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثورى وغيرهما ، قيل انه كان مستجاب الدعوة ونسبت اليه كرامات كثيرة • وكان له كتاب فى الزهد ، روى عنه بعض

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص‌ص ١٩٣ — ١٩٤ والدباغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٨ •

(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص‌ص ٩١٦ — ١٩٧ •

— يبدو أن أبا عبد الله السوسى هذا غير أبى عبد الله السوسى الذى ذكره كل من الدباغ والسلمى ، فالسوسى المذكور عند المالكى كان فيما يبدو أسن من البهلول بن رائد وقد توفى البهلول سنة ١٨٣ هـ أما السوسى المذكور عند الدباغ والسلمى فقد توفى بعد هذا التاريخ بأحد عشر عقد من الزمان فى سنة ٢٩٣ هـ لكن يبدو أن الخلط بينهما راجع الى تشابه الاسماء أو الى وفاتهما فى موضع واحد •

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٠٠ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٦٥ •

(٤) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٢ •

المشارقة وكثير من أهل المغرب كان منهم — على سبيل المثال سحنون ابن سعيد وداود بن يحى وغيرهم ، ووصف ابن أبى كريمة بأنه كان من العلماء الكرماء الفضلاء الزهاد ، مولى اسماعيل بن عبيد الأنصارى (١) . الذى يبدو أنه تلقى عنه العلم والزهد معا .

وكان منهم أبو محمد عون بن يوسف الخزاعى ، كان فقيها صالحا زاهدا ، رحل الى المشرق وقدم الى المدينة المنورة سنة ١٨٠ هـ فأدرك فيها أربعين رجلا من معلمى ابن وهب ، يبدو أنه عمر طويلا فقد توفى سنة ٢٤٠ هـ (٢) .

وكان منهم أبو عباس أحمد بن موسى بن مخلد الفافقى ، كان شيخا صالحا فقيها ثقة ضابطا صحيح الكتب حسن التقييد متعبدا ورعا وزاهدا متواضعا ، وكان مهابا ينهى عن الغيبة فى مجلسه ، يميل الى المواعظ والرقائق يختم بها مجلسه اذا فرغ من المسائل والكلام عليها ، رحل الى المشرق وسمع به جلة من العلماء ، فلما عاد الى المغرب سمع منه خلق كثير من أهل القيروان وفتح الله لهم على يديه (٣) .

وكان منهم أبو عمرو بشير بن عمروس المتعبد بالمنستير ، كان من المتعبدين الزهاد المنقطعين الى الله عز وجل ، رحل الى المشرق فحج ثم دخل الشام وطرسوس فلقى جماعة من الزهاد والصلحاء وانتفع بهم (٤) .

وكان منهم حمدون بن مجاهد الكلبى ، سمع من سحنون بن سعيد ، وكان من أصحاب عيسى بن مسكين وراويته ، وصف بأنه من أهل الفضل والدين والعفة والزهد والنسك والورع والعبادة ، كان يحسن الفقه

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٣ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩١ .

(٢) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص‌ص ٧٢ — ٧٤ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص‌ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .

وابن فرحون الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، جـ ١ ص ١٤٨ .

وعياض : ترتيب المدارك لمعرفة اعيان مذهب مالك ، جـ ٤ ص ٣٩٣ .

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص‌ص ٤١٨ — ٤١٩ .

ويتكلم عليه وكان يسكن الرباط ، روى عنه جماعة من أهل مصر ومن أهل المغرب (١) •

على هذا النحو رحل هؤلاء الزهاد وأمثالهم من المغاربة الى المشرق فالتقوا زهاده وصحبوهم وأخذوا عنهم وتعلموا عليهم فلما عادوا الى المغرب أخذوا يبثون فى أهله ما تعلموه عن الزهاد المشارقة ويحكون عن صفاتهم وأحوالهم ما يستهوون به أفئدة المغاربة ويستميلونهم الى الزهد فكان لذلك أثره الفعال فى نشر الزهد فى بلاد المغرب :

٣ ــ الحروب التى اجتاحت بلاد المغرب فى صدر عصرها الاسلامى :

أسهم البربر ــ سكان المغرب حين الفتح الاسلامى ــ بدور بارز فى فتح بلادهم بأنفسهم مشاركين العرب الفاتحين فى المراحل الأخيرة من فتح المغرب • وأقبل البربر على اعتناق الاسلام اقبالا عظيما ايمانا منهم بصحة عقيدته وسمو مبادئه وآملا فى المساواة السياسية مع العرب الفاتحين تحقيقا للمبدأ الاسلامى الهام فى المساواة بين كافة المسلمين من عرب وعجم غير أن العصر الأموى الذى شهد اتمام فتح بلاد المغرب كان عصر النفوذ العربى الذى حال بين البربر وبين ما يطمحون اليه من مساواة ومشاركة فى السلطة فاندفع البربر فى حماس وغيظ لمناوئة السلطة العربية واستجابوا لكل دعاة الثورة على الحكم الأموى من خوارج وعلويين فنشبت المعارك فى بلاد المغرب بين العرب والبربر ثم نشبت بين العرب أنفسهم من قيسية وكلبية فتلظى المغرب بنار فتنة متأججة ما ان تخمد حينا حتى تندلع حينا آخــر •

لا ريب أن تلك الحروب التى أفرزتها الفتنة المغربية قد آلمت نفوس كثير من أهل المغرب سواء أكانوا من العرب أو البربر وهيأتهم الى النزوع الى الزهد والتأثر بالنزعة الزهدية التى كانت قد بدأت فى المشرق ثم مدت ذراعها الى بلاد المغرب مع القادمين اليها من الزهاد المغاربة ممن رحلوا الى المشروق وتأثروا بزهاده •

---

(١) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٧ •

٤ — غلبة المذهب المالكى على الزهاد المغاربة :

على الرغم من أن نزعة الزهد كانت قد سبقت المذهب المالكى فى الدخول الى بلاد المغرب فقد أصبح لموقف المالكية من الزهد تأثيره على تلك النزعة ومدى اقبال المغاربة عليها خاصة بعد ذيوع المذهب المالكى فى المغرب . ويبدو أن موقف المالكية المغاربة من الزهد كان مشجعا على أقبال أهل المغرب على نزعة الزهد وميلهم اليها . فعلى الرغم من أن مالك ابن أنس لا يعد من الزهاد ، فان المذهب المالكى لم يلفظ الزهد ولم يذمه ، وكانت أغلبية زهاد المغرب يجمعون بين المالكية والزهد فى آن واحد ، فعلى سبيل المثال كان على بن زياد التونسى الذى يعد أول من أدخل موطأ مالك الى بلاد المغرب مالكيا زاهدا كان له كتاب فى الزهد سمعه منه البهلول بن راشد فكان يسمعه سحنون بن سعيد وأقرانه من البهلول (١) . وكان البهلول بن راشد مالكيا وزاهدا ، وكان عبد الملك ابن أبى كريمة مالكيا وزاهدا ، وكان عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد المستجاب مالكيا سمع من سحنون بن سعيد ومن أسد بن الفرات وطلب العلم وعنى به (٢) . وكان يحى بن عمر مالكيا وزاهدا يلبس جبة من صوف (٣) . وكان غير هؤلاء كثيرون ممن جمعوا بين المالكية والزهد حتى كان الزهاد المرابطة فى المنستير كلهم من المالكية أحيانا فقد روى أن أمينا لسليمان بن عمران القاضى الحنفى خرج ليرابط بالمنستير فصلى بهم امامهم فسلم تسليمة واحدة ثم وثب فقام فقال هذا الأمين : ماله ، أملدوغ هو ؟! فقالوا له : مابه ماذكرت وانما هذا مذهبه ، فأراد الأمين أن يجعل الامام يسلم تسليمتين فلم يساعده على ذلك أهل المنستير وأغلظوا له فى ذلك اتباعا منهم لمذهب مالك (٤) .

ولم يكن أهل المذاهب الأخرى فى المغرب كالأحناف وغيرهم على مبعدة من الزهد اذ كان منهم أيضا من ينزع الى الزهد لكن موقف المالكية

---

(١) ابو العرب : طبقات علماء افريقية ص ١١٥ والمالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢١ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٩٣ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٩٠ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٥٣ .

من الزهد كان هو الموقف المؤثر لغلبة المذهب المالكى على بلاد المغرب وشدة تأثير المالكية على أهل المغرب سواء لمناسبة مذهبهم للعقلية المغربية أو لابتعاد المالكية عن الحكام وقربهم من المحكومين فضلا عن أن المالكية المغربية توفر لها عدد من الشيوخ كانوا أعلى كعبا وأبعد صيتا من غيرهم •

٥ — حركة الزهاد فى المجتمع المغربى وتمكنهم من قلوب العامة :

لم يكن الزهد نزعة سلبية فى المجتمع المغربى وانما كانت حركة الزهاد فى الحياة المغربية ايجابية وفعالة ومؤثرة فى كثير من جوانبها فكان منهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومنهم من يتصدى لمظالم الحكام محاولا دفعها عن الناس ، ومنهم من كان كثير السياحة والأسفار ينتقل من بلد لآخر حاملا معه زهدة وعلمه • وكان منهم من يحرس فى المحارس والربط وغير ذلك من حركة ايجابية جعلت المغاربة يميلون الى الزهد والزهاد • وبالامكان تتبع حركة الزهاد الايجابية فى بعض الاتجاهات منها : —

(أ) أسفار الزهاد وسياحاتهم :

كان كثير من الزهاد ينتهجون السفر والسياحة سبيلا لهم أعراضا عن الدنيا وخروجا عن الأملاك أو للحج وطلب العلم أو سعيا للقاء أعلام الزهاد فى أرجاء العالم الاسلامى للأخذ عنهم وللتبرك بهم • ولم تكن تلك الأسفار تعزلهم عن الناس وانما كانت تزيدهم قربا منهم واختلاطا بهم فقد كان الناس يقصدونهم فى كل بلد ينزلونه للتعلم عليهم أو للتبرك بهم وكان لذلك — بلاريب — أثره فى نشر الزهد فى بلاد المغرب لاسيما وأن أسفار الزهاد لم تكن كلها الى خارج المغرب وانما كان بعضها داخليا فى بلاد المغرب نفسها •

رحلات الزهاد الداخلية :

كان الزهاد يقومون برحلات داخلية فى اطار بلاد المغرب نفسها ينتقلون فيها من مدينة لأخرى ، وكانوا فى نزولهم بالمدن المغربية المختلفة يعلمون أهلها ويبثون فيهم الزهد ويستميلونهم اليه ، من ذلك رحلة أبى عبد الله السوسى من السوس الأقصى الى افريقية ونزوله القيروان

وسكناه اياها مدة تعلم عليه فيها عدد من أهلها وصحبه فيها البهلول ابن راشد قبل أن يتوجه منها تلقاء المشرق (١) • وكان اسماعيل بن رباح الجزرى من جزيرة شريك معروفا فيها مهيبا لكنه رحل الى القيروان وسكن بها (٢) وكان عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد يتنقل دوما بين قصر زياد والمنستير (٣) وكان أبو الأحوص أحمد بن عبد الله من المغرب الأقصى لكنه سكن سوسه واستوطنها وكان الناس يقدون اليه للأخذ عنه والتبرك به حتى أن ابراهيم بن أحمد الأمير الأغلبى كان يزوره ويجله وأصلح سقاية سوسة استجابة لطلبه (٤) • وكان أبو عثمان سعيد ابن اسحاق الكلبى ساكنا بقصر الطوب يقيم به شهورا ثم يقدم الى القيروان فيقيم بها شهورا فيأتى اليه الناس ويسمعون منه (٥) • وكان أبو سعيد لقمان بن يوسف الغسانى يقيم بالقيروان ثم سكن صقلية مدة ثم قفل منها واستوطن تونس الى أن توفى بها (٦) •

على هذا النحو كان هؤلاء وغيرهم كثيرون من الزهاد يجوبون بلاد المغرب ويطوفون بها من بلدة لأخرى يبثون فى الناس علمهم وزهدهم مما كان له أثر كبير فى نشر الزهد فى بلاد المغرب •

رحلات الزهاد الخارجية :

وكان الزهاد المغاربة يرحلون الى المشرق الاسلامى ــ كما سبق أن أشرنا ــ واتصلوا فى رحلاتهم هذه بالزهاد المشارقة وتلقوا عنهم ونقلوا الى بلاد المغرب حين قفولهم اليها ما سمعوه وتعلموه ، فقد رحل ــ على سبيل المثال ــ عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى الى المشرق ولقى سفيان الثورى بمكة فلما عاد الى القيروان لم يزل أهلها يعظمونه لدينه وفضله وزهده حتى توفى (٧) •

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٦ •
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٣٤ •
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٣٠ •
(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ صص ٤٨٢ ــ ٤٨٥ وعياض المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٣٨٠ •
(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥٥ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٠٩ •
(٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢٩٦ •
(٧) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ صص ١٥٢ ــ ١٦٠ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٣٠ •

وكان عمر بن يزيد بن مسروق الزاهد من عباد افريقية رحل الى المشرق وعاد الى افريقيــة يروى عن عبد الله بن دينار مــولى عبد الله ابن عمر (١) • ورحل محمد بن مسروق الزاهد وكان ممن لقيه فى رحلته أبا شريح المتعبد الاسكندرانى حين نزوله الاسكندرية (٢) كما رحل أبو خلف مطروح بن قيس الخياط الى المشرق وسمع هناك من الفضيل ابن عياض (٣) • وخرج غير هؤلاء كثيرون فى رحلة أو أكثر الى المشرق واتصلوا بزهاده وأخذوا عنهم وعادوا ينشرون ما تعلموه فى بلاد المغرب مما كان له أثر فى انتشار الزهد فى بلاد المغرب •

(ب) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتصدى لمظالم الحكام :

كان لكثير من الزهاد فى بلاد المغرب جاه كبير سيما وقد كانوا يأمرون بالمعروف وينهــون عن المنكر لا يخشــون فى ذلك الا الله عز وجل ، ولم يقتصر أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على العامة وحدهم وانما امتد الى الخاصة بما فيهم الحكام وذوى السلطان • فالبهلول بن راشد لم يسعه السكوت على ما عزم عليه محمد بن مقاتل العكى من ارسال نحاس وحديد وسلاح الى طاغية الروم ملاطفة منه اياه وهو عدو الاسلام فنهى البهلول بن راشد محمد بن مقاتل العكى عما عزم عليه ووعظه وألح فى ذلك ، وعلى الرغم من أن العكى حنق على البهلول وأمر بحبسه وضربه الا أن ذلك كان له كبير الأثر فى نفوس الناس حتى أنهم تحاشدوا وألقوا بأجسادهم على البهلول ليمنعوا السياط من الوصول اليه وضج الناس لذلك فى داخل افريقية وخارجها (٤) • وقدم حفص بن عمر الجزيرى من جزيرة شريك الى أبى العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب حينما أثقل على الناس وفرض عليهم عليهم من الضرائب ما ضجوا منه ، وصحب حفص بن عمر الجزيرى فى قدومه جماعة من عباد وصلحاء جزيرة شريك

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٧ •

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٩٤ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٨ •

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٠٨ والدباغ : المصــدر السابق ، جـ ٢ ص ١١٠ •

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص‌ص ٢١٢ — ٢١٣ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٦٥ •

فوعظ أبا العباس وطلب منه أن يخفف عن الناس ويسقط عنهم ما ثقل عليهم من الضرائب فامتنع أبو العباس عن اسقاطها فدعا عليه حفص ابن عمر الجزيرى ومن معه من عباد جزيرة شريك ويبدو أن الله استجاب لدعائهم فلم يلبث أبو العباس الا خمسة أيام ثم خرجت له قرحة عظيمة تحت أذنه مات منها بعد يومين فقط (١) • وكان اسماعيل بن رباح الجزرى معظما لأمر الله عز وجل لا يكاد يرى منكرا الا غيره ولا يهاب فى ذلك أحدا من الناس ، من ذلك نهيه الفضل بن أبى العنبر والى جزيرة شريك عن وضع ثقله فى أحد مساجد الحصون بها (٢) وأمر أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المتعبد بسوسه ابراهيم بن أحمد الأغلبى بتوسيع مسجد سوسة واصلاح سقايتها واخراج المحبوسين (٣) ونهى أبو عبد الله محمد بن أبى حميد المتعبد بسوسة ابراهيم بن أحمد الأغلبى عن تخريب سوسه أو هدم سورها أو تعذيب أهلها • وكان ابراهيم بن أحمد الأغلبى قد عزم على ذلك حين بلغه أن أهلها تكلموا فيه بالقبيح ونالوا منه (٤) •

وكان بعض الزهاد لا يكتفون بأمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر وانما كانوا يتصدون لمظالمهم ويدفعونها عن العامة اذا لزم الأمر ، فقد كان أبو خالد عبد الخالق القتاب كثير المعروف قليل الهيبة للملوك (٥) رفض أن يقبل مالا من ابراهيم بن الأغلب مما أحنق الأمير الأغلبى فقال لعبد الخالق : « أفسدكم البربرى — يقصد البهلول بن راشد — والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفى » فرد عبد الخالق على الأمير الأغلبى غاضبا : والله لو أدركته لكنت أهون عليه من هذا الطين الذى يعجن بين يديك » (٦) • وأتى نواتية لابراهيم بن أحمد الأغلبى الى قصر الطوب بسوسه يريدون النزول فيه فمنعوا من ذلك

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣١ •

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ صص ٣٣٣ — ٣٣٥ •

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ صص ٤٨٥ — ٤٨٦ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٣٩٠ •

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ صص ٥ — ٩ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٥٠ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٤١٦ •

(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٤ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٨ •

(٦) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، صص ٣٢٨ — ٣٢٩ •

وأغلق باب قصر الطوب فى وجوههم فبلغ ذلك ابراهيم بن أحمد الأمير الأغلبى فأتى الى باب القصر غاضبا يتوعد الذين منعوا عبيده من دخول القصر فتصدى له أبو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبى وقال له : يا ابراهيم تركنا لك الدنيا كلها وانزوبنا فى هذا الثغر فجئت تؤذنيا والله لئن لم تسر لأهلكنك فمضى ابراهيم على وجهه حتى جاز القصر بمسافة عظيمة (١) .

وبعث الأمير محمد بن الأغلب الى أبى الوليد مروان بن شحمه البلوى الذى كان فقيها صالحا ورعا زاهدا فلما وصل الى باب قصره رأى خصيا بيده عود فكسره ، فلما دخل أبو الوليد على الأمير محمد عاتبه الأمير على كسره العود فقال له أبو الوليد : رأيت منكرا فغيرته (٢) .

وهكذا كان الزهاد فى المجتمع المغربى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتصدون لمظالم الحكام فكان الناس عامتهم وخاصتهم يجلون الزهاد ويوقرونهم مما مكن لهم فى النفوس وكان له أكبر الأثر فى استمالة الناس الى الزهد وانتشاره فى بلاد المغرب .

(جـ) حلقات العلم ومجالس السماع والذكر :

كان كثير من الزهاد من أهل العلم والفقه يعلمون الناس أمور دينهم ويفقهونهم فيه ، فقد كان اسماعيل بن عبيد الأنصارى تاجر الله واسماعيل ابن عبيد الله بن أبى المهاجر من الفقهاء التابعين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز الى افريقية وأسلم على يديهما خلق كثير من البربر(٣). وكان أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى من جلة المحدثين (٤). وكان البهلول بن راشد من الفقهاء يتبعه الكثيرون ويأخذون عنه (٥) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤

(٢) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ صص ١٠٥ — ١٠٦

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٦ ، ص ١١٥ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩١ ، ص ٢٠٣

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥٢ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٣٠

(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٠٠ وما بعدها والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٦٥

وكان أبو على شقران بن على عالما بالفرائض يحث الناس على عبادة ربهم بالموعظة الحسنة حتى انتفع به جماعة من مريديه (١) . وعنى أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد بطلب العلم وحبس كتبا كثيرة بخطه بقصر زياد (٢) . وكان يحيى بن عمر الأندلسى فريدا فى علمه وورعه وزهده حريصا على أهل العلم يحرض طالبه ويشرفه (٣) .

وكان للعديد من الزهاد العلماء حلقات علم يقصدها الطلاب والناس للأخذ عنهم والتلقى عليهم كحلقة حماس بن مروان (٤) وغيره ، بل كان للبعض منهم مساجد تنسب اليهم يعقدون فيها حلقاتهم ، وكان منهم من يختم دروسه بالمواعظ والرقائق ، بل كان منهم من اختصت مجالسه بالذكر والسماع مثل مسافر بن سنان الواعظ الذى كان الناس يجتمعون اليه للذكر والمواعظ وانتفع به وعلى يده جماعة من الناس (٥) .

ولعل أشهر مجالس السماع والذكر فى افريقية حيئذاك تلك التى كانت تعقد فى مسجدى السبت والخميس وهما مسجدان كانا يقعان فى الدمنه خارج سور القيروان على مقربة من بعضهما البعض .

أما مسجد السبت فقد سمى بذلك الاسم لأنه كانت تعقد فيه كل يوم سبت مجالس الذكر وتلقى فيه الرقائق من أول النهار الى الزوال ، وكان يحضره عدد من الزهاد والعلماء والقراء والحفاظ ، وقد كان هذا المسجد ينسب الى أبى محمد الأنصارى الدمنى الضرير وكان يعرف أيضا بمسجد الدمنة لكنه عرف فيما بعد — من وقت الدباغ — بمسجد العربى نسبة الى رجل كان يدعى محمد العربى وكان يقوم على خدمته (٦) .

وقد أصاب مسجد السبت بعض التغيير عما كان عليه أول أمره سواء فى بنيانه أو فيما كان يجرى فيه ، فقد كان أول أمره مبنيا من الطوب

---

(١) ابو العرب : المصدر السابق ص ١٣٩ ، والمالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٢ والدباغ : المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٩

(٢) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٢١ ، وعياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩٣

(٣) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٩١

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٥١٧

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٩

والدباغ : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٩٥

ويخيم على مجلسه الوقار التام فلا يقرأ فيه الا القرآن الكريم الذى كانت القلوب تخشع لسماعه خشوعا عظيما حتى أن شـابا ممن كانوا يحضرونه خر ميتا حين سمع قارئا كان يدعى ابن السامة يتلو قول الله تعالى « أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة . اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير » (١) . ثم أعيد بناء مسجد السبت بالحجارة فى وقت لاحق وتغيرت أحواله فلم يعد يقتصر فى مجلسه على قراءة القرآن الكريم بل أخذ القوالون والمغبرون (٢) يقولون فيه أشعارا فى الزهد تنسب الى من يدعى أبومعدان ويقولون فى المواعظ وأهوال يوم القيامة وصفات أولياء الله تعالى ويركبون عليها أعمالها — أى ألحانها — عن طريق الحزن والخوف . وكان المتعبدون الصالحون اذا سمعوها استراحوا اليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا وهم خاشعون محزونون نادمون ، وكانت تظهر عليهم آثار ذلك من السبت الى السبت الذى يليه .

كان يحضر مسجد السبت عدد من الزهاد والعلماء والقراء والحفاظ — كما أشرنا آنفا — لكن يبدو أن القاء الأشعار المنغمة وما كان يعقبها من تصايح وآهات بعد أن كان الأمر قاصرا على تلاوة القرآن الكريم جعل البعض يعزفون عن حضور مسجد السبت وينقدون ما يدور فيه حتى أن يحيى بن عمر الأندلسى ألف كتابا فى النهى عن حضور مسجد السبت وكان يشتد فى انتقاده ويود لو أنه هدم حتى لا يجتمع فيه أحد (٣) غير أن ذلك لم يمنع الكثير من حضور مسجد السبت والانفعال بما يقال فيه من رقائق وأشعار الزهد (٤) .

أما مسجد الخميس فقد بناه أبو اسحاق ابراهيم بن المضاء الزاهد صاحب سحنون بالدمنة أيضا على مقربة من مسجد السبت وكان يجتمع فيه الصلحاء والقراء والزهاد وأهل الخير كل يوم خميس من العصر الى أول الليل وتلقى فيه الأشعار والرقائق على نحو ما كان يجرى فى

---

(١) فصلت / آية ٤٠

(٢) المغيرون : قوم يعتبرون بذكر الله اى يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها ، سموا بذلك لأنهم يرغبون الناس فى الغابرة اى الاخرة .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص‌ص ٣٩٣ — ١٩٥

(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٩٦ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١ .

مسجد السبت (١) الا أن مسجد السبت كان أكثر شهرة وأقدم عهدا كما كانت تحيي فيه ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من رمضـــان وتعقد فيه حلقات الذكر ، وكان أمراء بنى الأغلب يقصدونه فى هاتين الليلتين للتبرك بأبى محمد الأنصارى وبدعائه ويكون فيهما من الصدقات خير كثير .

ويمكن القول ان مجالس الذكر والسماع كانت تستهوى كثيرا من المغاربة تجتذبهم اليها فيحضرونها ويتأثرون بما يجرى فيها مما كان له أثر كبير فى انتشار نزعة الزهد فى بلاد المغرب .

(د) الرباط والحرس على الساحل المغربى :

كان الساحل المغربى على طول امتداده عرضة للغارات البحرية المفاجئة التى يشنها عليه أعداء الاسلام على الشاطئ الآخر للبحر المتوسط ، وكان من اللازم أن يراقب المسلمون سواحلهم وأن يحذروا الأخطار التى قد يحملها البحر اليها فاتخذوا من الساحل المغربى ثغرا جعلوا الرباط فيه جهادا فى سبيل الله وقربة اليه (٢) وأنشـــأوا عليه الرباطات والمحارس والقصور (الحصون) واهتموا بسكناها حراسة للمسلمين وسهرا على أمنهم من تلك الغارات المفاجئة .

واذا كان الرباط فى اللغة هو الاقامة فى الثغر المعرض للعدو للذود عنه ولجهاد العدو (٣) فان الكلمة كانت تطلق اصطلاحا على منشأة حربية دينية اختص بها المسلمون دون غيرهم وكانت لها خطة خاصة فى بنيانها تتكون عناصرها الأساسية من سور حصين وحجرات للسكنى ومخازن للأسلحة والمؤن وبرج للمراقبة (٤) .

ولما كانت سواحل افريقية أكثر عرضة للخطر من غيرها من السواحل المغربية ، فقد عجت بالرباطات التى انتشرت على طول امتدادها وكانت سواحل افريقية أسبق الى معرفة الرباطات ثم تلتها فى ذلك بقية السواحل المغربية وصار الرباط نظاما عسكريا دينيا له أصوله وقواعده وما لبث

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢ .
(٢) حسين مؤنس : مقدمة كتاب رياض النفوس للمالكى ، ص ٢٥ .
(٣) لسان العرب ، مادة ربط .
(٤) جورج مارسيه : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ربط .

أن عبر الى الأندلس خاصة بعد اغارات النورمان الأولى على الأندلس فى امارة عبد الرحمن الأوسط بن الحكم (١) •

كان أول رباطات افريقية انشاء وأكثرها شهرة رباط المنستير الذى أنشأه هرثمة بن أعين ابان ولايته على افريقية والواقع أن بنيان رباط المنستير كان امتدادا لمثل هذا النوع من الربط التى أنشئت فى خلافة هارون الرشيد فى المشرق الاسلامى اذ يشير اليعقوبى الى أن هارون الرشيد بنى ثغور مثل طرسوس وغيرها وبنى دورا للمرابطين فتشبه به أهله وعماله فبنى قائدة هرثمة بن أعين بثغر أرمينية وبالمنستير وفى مواضع أخرى (٢) •

ثم انتشرت الربط على طول الساحل الافريقى ، فقد تحمس أولو الأمر والناس لاقامتها يدفعهم الى ذلك دوافع أمنية ودينية اذ ابتغوا بها مرضاة الله وثوابه فأقيمت الربط فى سوسه وصفاقس وغيرها وحض المسلمون بعضهم بعضا على سكنى الرباط والحرس فيه جهادا واحتسابا ، وكان للزهاد والعباد فى ذلك الدور الكبير •

انقسمت الربط على الساحل المغربى الى نوعين : أحدهما قامت الدولة على تشييده والاتفاق عليه والآخر أقامه الأفراد احتسابا ومشاركة مع الدولة فى الجهاد باذن منها وتنسيقا معها (٣) •

واذا استعرضنا سلسلة الربط التى أقيمت على امتداد الساحل المغربى من شرقه الى غربه وجدنا عدة مناطق رئيسية كان يتجمع فى كل منها عدد من الربط المتجاورة أو المتقاربة مثلما كان فى طرابلس وفى صفاقس وسوسه والمنستير وتلمسان ، وكانت تتناثر بين تلك المناطق الرئيسية رباطات متفرقة تملأ الفراغ بين المناطق الرئيسية وتسد الثغرات بينها فشكلت الربط على طول الساحل المغربى حزاما قويا يصعب اختراقة والتسلل منه ويقلل من فرص العدو فى المباغته ويحذر المسلمين من شر الاغارات المفاجئة ويقيهم خطرها •

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٥ •

(٢) مشاكلة الناس لزمانهم ، بيروت ، ١٩٦٣ ص ٢٤ — ٢٥ •

(٣) الدرديرى حسن البيلى : الربط فى بلاد المغرب ، ص ٣٤ — ٣٥ •

ومن الملاحظ أن كثافة الربط فى المناطق الرئيسية كانت تتزايد كلما كانت المنطقة أكثر عرضة للغارات المعادية ، فقد كانت طرابلس كثيرة الربط (١) وكانت قابس حصنا حصينا مسورة بالصخر الجليل (٢) ويحيط بها خندق كبير يجرى اليه الماء اذا خيف من نزول العدو على المدينة فيزيد من حصانتها ومنعتها (٣) • وتتزايد الربط عددا وعدة كلما اتجهنا غربا على طول الساحل الأفريقى ، ففى صفاقس كان يوجد عدد من الربط والمحارس منها محرس بطويه ومحرس حبلة ومحرس أبى الغصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزه ومحرس الريحانه ، وكان محرس بطوية أجل رباطات صفاقس وأهمها ، اذ كان به منار شاهق الارتفاع يرقى اليه فى مائة وستون درجة (٤) • وعلى مقربة من المهدية كان يوجد رباط قصر جمه الذى نسب اليه العابد الزاهد أبو السرى واصل الجسى ، وهو الرباط الذى أطلق عليه فيما بعد اسم قصر الرباط بالمهدية (٥) •

ويلى ذلك جهة الغرب رباط المنستير ، أقدم محارس افريقية وأبعدها صيتا وأعلاها شأنا ، كان بسكنه على مر الأيام أمة من الناس ويقصده أهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياما معلومة (٦) ويبدو أن موسم الرباط فيه كان شهر رمضان (٧) •

كان برباط المنستير عدة محارس أو قصور منها القصر الكبير الذى بناه هرثمة بن أعين وكان له فى يوم عاشوراء موسم عظيم يجتمع فيه خلق كثير ، وهو قصر كبير عالى البنيان ، داخله ربض واسع وفى وسط الربض حصن ثان كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفى القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها

---

(١) حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٢ والحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٨٩ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

(٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٠ وابن حوقل : المصدر السابق ص ٧٣ . والحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٥) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣١ .

(٦) ابن حوقل : المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٥ .

(٧) أبو العرب تميم : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

النساء المرابطات تعرف بقباب جامع (١) • ومنها قصر ابن الجعد (٢) وقصر دويد الذى يرجع انشاؤه الى القرن الثالث الهجرى ، يبدو أنه سمى باسم أحد العباد الذين رابطوا فيه والذى تسميه العامة سيدى ذويب ، ولا يزال هذا القصر قائما بأغلب تفاصيله المعمارية وقد تحول الى مدرسة تسمى مدرسة سيدى ذويب » (٣) وبالمنستير أيضا قصر السيدة نسبة الى السيدة أم ملال عمة المعز بن باديس ويبدو أنها جددت عمارته فقد كانت أصوله المعمارية تعود الى القرن الثالث الهجرى ، بل ان هذه الأصول قد شيدت فوق مسجد كان بناؤه يرجع الى القرن الثانى الهجرى (٤) ، وقد عد البكرى محارس المنستير خمسة محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين (٥) •

وبين المنستير وسوسة كان يوجد رباط يسمى شقانص — أو خقانص — به قصر كبير محرس رباط منيع (٦) • ثم يلى ذلك منطقة محارس رئيسية هى رباط سوسة التى كانت تعرف بطرسوس المغرب لكثرة ما بها من محارس وقصور منها قصر الطوب وقصر زياد وقصر ابن حبشى وقصر سهل وقصر طارق (٧) وكان أهم هذه القصور قصر الرباط الذى كان محرسا عظيما داخل سوسه مسور متقن داخله حصن ثان يسمى القصبة بجوف المدينة (٨) ويبدو أن الأمير زيادة الله بن ابراهيم الاغلبى قد بنى هذا الرباط أو على الأقل زاد فى عمارته سنة ٢٠٦ هـ كما يشير الى ذلك نقش محفور على لوحة من الرخام بأعلى مدخل المنار سنة ٨٢١ م كتب فيه أنه أمر به الأمير زيادة الله وتم على يدى مسرور الخادم مولاه سنة ٢٠٦ هـ (٩) •

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٦ •
(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٠ •
(٣) الدرديرى حسن البيلى : المرجع السابق ص ٣٩ •
(٤) نفس المرجع ، ص ٤٠ •
(٥) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ص ٣٦ •
(٦) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٧٥ •
(٧) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات ، جـ ٢ ص ٢٤ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ •
(٨) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٩ •
(٩) الدرديرى البيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٣ •

ثم يلي سوسة عدد من الربط المعروفة ، فعلى مقربة منها في بلدة لمطه كان يوجد مقر رباط أمر ببنائه ابراهيم بن أحمد الأغلبي حوالي سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، وقد رابط بهذا القصر جماعة من مشاهير العباد كان منهم أبو هارون الأندلسي (١) ويلي ذلك غربا بين سوسة وتونس رباط يسمى الحمة (٢) وهي غير حمة مطماطة القريبة من قابس والمعدودة من بلاد قصطيلية (٣) وعلى مقربة من رباط الحمة المذكور يوجد جبل أدار الذي سكنه قوم من العباد ممن تخلوا عن الدنيا واعتزلوا الناس والتزموا سكنى هذا الجبل يعيشون من نبات الأرض ومن صيد البحر (٤) . ويلي ذلك من جهة المغرب جزيرة شريك وكان بها عدد من الربط منها ذلك الرباط الذي كان يرابط به اسماعيل بن رباح الجزيري (٥) وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف يستدل به المسافرون أينما توجهوا لارتفاعه الشاهق ، وكان مأوى للعباد والصالحين وخيار المسلمين (٦) .

وعلى امتداد الساحل المغربي من تونس الى سبته كانت توجد سلسلة من الحصون ، فقد كانت تونس نفسها قاعدة للأسطول الاسلامي في بلاد المغرب ورباطا كبيرا يذود عن المسلمين ، تتوافر لها منعة طبيعية وحصانة صناعية فهي في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو ويحيط بها سور حصين يزيد في حصانته خندق يدور حوله ، وكان لها خمسة أبواب (٧) . وعلى مقربة من قرطاجنة كان يوجد رباط قصر الحجامين (٨) يليه غربا رباط قصر أبي الصقر (٩) ويلي ذلك على مسيرة يوم وبعض يوم (١٠) شرقي طبرقة قلاع بنزرت ، وهي حصون يأوي اليها أهل

---

(١) حسنى عبد الوهاب ، المرجع السابق ص ١٠٠ والدرديري البيلي ، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٢) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٣) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٤) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٥) المالكي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣٤ .

(٦) البكري ، المصدر السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٨ — ٣٩ .

(٨) البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٠) يقدرها الادريسي بسبعين ميلا .

تلك الناحيـــة اذا غزاهم الروم فهى مفـــزع لهم وغـــوث وهى رباطات للصالحين (١) وكان مرسى بونه منيعا تخرج منه السفن لتغزو بلاد الروم وجزر سردانية وكورسيكا وماوالاها (٢) وكان بمدينة شرشـــال ربط يجتمع اليها خلق كثير فى كل عام (٣) والى الغرب من مدينة تنس بينها وبين وهران كان يوجد رباط على ضفة البحر عند مرسى مفيلة بنى هاشم (٤) وكان يوجد رباط عبارة عن ثلاث قلاع مسورة على جبل كبير بقرب مدينة أرزاو على مقربة من وهران (٥) ويلى ذلك غربا رباط وادى ماسين الذى كان رباطا حسنا مقصودا له بركة وكرامة عند العباد (٦) . وكان يوجـــد بســـاحل تلمسان عدة حصـــون يرابط فيها العباد مثل حصن تانكرمت وحصن مرنية البير وحصن ابن زينى وحصن العروس وحصن الوردانية وحصن هنين وغيرها (٧) وكان الى الغرب من ذلك رباط بمدينة كور ينسب اليها (٨) .

والى الغرب من طنجة ، على ساحل المحيط الأطلنطى كان يوجـــد عدد من الربط منها رباط كان يوجد عند مرسى باب اليم غربى طنجة (٩) فاذا انحدرنا غربا الى أصيلة وجدنا بها رباطا اتخذه المسلمون هناك بعد تعرض المنطقة لغزو المجوس ـــ الفايكنج ـــ فقدم اليها المسلمون من مختلف الأمصار ليرابطوا فيها وكانت تقام فى هذا الرباط أســـواق جامعة ثلاث مرات فى السنة فى أوقات اجتماعهم فيه أولها فى شهر رمضان وثانيها فى العشر الأول من ذى الحجة وثالثها فى يوم عاشـــوراء (١٠) . وكان مرسى قوز فرضة أغمات على المحيط وفيه كان يوجد رباط يعمره

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٢ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٨١ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٧٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٨٠ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٧٩ — ٨٠ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٩٠ .
(٩) نفس المصدر ، ص ١٠٥ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

الصالحون (١) . وبسلا كان يوجد رباط يرابط فيه المسلمون ويكثر القاصدون اليه حتى أنه ربما يجتمع فيه نحو مائة آلف مرابط ، كان رباطهم فيه على برغواطة (٢) .

كان تخطيط بنيان الرباط عبارة عن سور حصين يحيط بالرباط ويحميه من الخارج ، وتقام فى الداخل حجرات للسكنى ومخازن للأسلحة والمؤن وبرج للمراقبة والاشارة (٣) . ويتكون الرباط أحيانا من قصر (حصن) واحد أو من عدة قصور أو محارس متجاورة أحيانا أخرى ، من هذا النوع الأخير رباط المنستير وسوسة التى كان كل منها يضم عدة محارس متجاورة أو متقاربة .

كانت أبواب القصور (الحصون) تغلق ليلا فلا تفتح حتى شروق الشمس (٤) . وكانت هذه القصور تبنى من أكثر من طابق ، فقصر ابن الجعد بالمنستير — على سبيل المثال والذى أشرف على بنائه الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبادة كان مخططا له فى الأصل أن يبنى مربعا قياسا فى مثله ليكون أكثر منعة وأحكاما ، لكن البناءين الذين قاموا على بنائه أخطأوا التنفيذ فزادوا فيه جنبتين وارتفع البناء الى ثلاثة طوابق لم يكد يتم بناء الطابق الأسفل منها حتى عمر بالمرابطين من قبل أن تركب أبوابه وكذلك فعلوا بالطابق الثانى ، أما الطابق الثالث — أو العلوى — فكان عبارة عن أبراج تم بها بنيان القصر وتحصينه (٥) .

ويبدو أن المرابطين كانوا يسكنون القصور فى ترتيب ونظام وفقا لمكانتهم وعلو شأنهم فى الرباط ، فكان كبارهم يسكنون غالبا الأبراج التى تكون عادة فى الطابق العلوى من القصر ، اذ كان مكرم المتعبد

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٨٢ .
(٣) جورج مارسيه : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة رباط .
(٤) المالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٥ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١١٦ — ١١٧ .

يسكن بالقصر الكبير بالمنستير برجا ظل منسوبا اليه وقتا طويلا (١) ولعل سكنى الأبراج العالية لم يكن تشريفا لكبار المرابطين فحسب وانما كان أيضا ثقة فى قدرتهم على المراقبة وصبرهم عليها لأنهم الأكثر عبادة وقياما فى الليل بين أهل الحصن ومن ثم كانوا أقدرهم وأكثرهم مثابرة على المراقبة وأحملهم لعنائها .

لقد كان كثير من الزهاد يرابطون فى تلك المحارس والقصور يحرسون المسلمين من الغارات المفاجئة التى يشنها أعداء الاسلام على الساحل المغربى . وقد اشتهر عدد من أعلام الزهاد المغاربة بسكنى الربط وانتسبوا اليها ، فمنهم من كان يدعى المنستيرى نسبة الى المنستير مثل أبى عمرو بسير بن عبدوس المنستيرى ومنهم من كان يدعى الجمى نسبة الى قصر جمة مثل أبى السرى واصل بن عبد الله الجمى ومنهم من كان يدعى الجزيرى نسبة الى جزيرة شريك مثل اسماعيل بن رباح الجزيرى . وكما كانت تلك الربط تكتسب شهرة من عظيم دورها فى حماية السواحل المغربية فقد كان بعضها يكتسب أيضا شهرته من سكنى أعلام الزهاد ومشاهيرهم اياها وكان الناس كثيرا ما يفدون الى أحد القصور لمشاركة زاهد بعينه فى الرباط والحرس على المسلمين صحبة لهذا الزاهد وتبركا به ، فعلى سبيل المثال كانوا يقصدون الى مشاركة اسماعيل من رباح الجزيرى فى الحصن الذى يسكنه بجزيرة شريك (٢) وأبو زكريا الهرقلى فى حصن هرقلة (٣) وأبو الأحوص أحمد بن عبد الله المرابط بسوسه ، وكانت سوسه فى وقته لا تعرف شيئا من المنكر ، لا خمر ولا لهو ولا عزف ، وانما كان جل أهلها مشتغلين بالحرب والحرس على المسلمين (٤) . وكان مكرم يتعبد بالقصر الكبير بالمنستر وظل برجه معروفا منسوبا اليه من بعده الى وقت طويل وهو الذى أشار على ابن الجعد بالموضع الذى بنى فيه القصر المسمى باسمه (٥) . وسكن أبو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبى بقصر الطوب بسوسه (٦) ورابط

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٣٤ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤١٥ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٨٣ — ٤٨٧ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٠ .

أبو السرى واصل المتعبد بقصر تبصد وهو غير أبى السرى واصل الجمى الذى كان يسكن قصر جمة ، وسكن أبو يونس المتعبد مرابطا فى قصر الطوب بسوسة (١).

لم تقتصر حراسة الزهاد للساحل المغربى على سكنى الربط وانما قام بعضهم بما يسمى « الدور » بمعنى الدوران أو المرور على الحصون تفقدا لها وتحميسا لأهلها وحراسة للساحل المغربى كله بما يمكن أن نسميه « الدوريات الليلية » سدا للثغرات التى يمكن للعدو التسلل منها بين القصور والمحارس مما كان يزيد من أحكام الحراسة على الشواطىء المغربية . وكان ممن قام بهذه الدوريات — على سبيل المثال — أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحى (٢) وسعدون بن أحمد الخولانى (٣) وكان يصحبهما فى القيام بتلك الدوريات عدد لا بأس به من المرابطين الذين يرافقون هؤلاء الأعلام من الزهاد المرابطة تأسيا بهم وتبركا .

كانت معيشة الزهاد المرابطة فى تلك الربط بسيطة جدا ، يلبسون خشن الثياب حتى أن اسماعيل بن رباح الجزيرى كان يلبس تليسا وقف به على حلقة ابن وهب بمصر فلم يلتفت اليه ابن وهب لشدة تواضع مظهره (٤) . ولبس كثير منهم الصوف الخشن مثل أبى دراس المتعبد (٥) ويحى بن عمر الأندلسى (٦) . ولم تضم مساكن هؤلاء الزهاد المرابطة الا خشن الأثاث فلم يكن بمسكن أبى الأحوص أحمد بن عبد الله شيئا من حصير ولا غيره (٧) . وكان طعامهم خشنا لا يأكلون منه الا أقلة ، فعلى سبيل المثال ، لم يكن مع أبى عثمان الجزيرى من طعام ليقدمه الى بشير بن عمروس فى أحد أيام الأعياد الا كسرة خبز يابسه لم تكن مخلاته تحتوى على شىء غيرها (٨) . وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم

---

(١) المالكى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤١٤
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٨ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٤١ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٨١ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٨٣ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٣٢ .
(٨) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤١٤ — ٤١٥ .

المسوحى يمكث أياما قد تطول الى سبعة أو أكثر لا يأكل فيها الا البقل مع الزيت ولا يزيد على ذلك الا التمر ودقيق الشعير أحيانا (١) واستهجن عبد الرحيم بن عبد ربه أن يضع المرابطون فى طعامهم شيئا من التوابل وأن يطبخوا قدورا من الطعام ، فقد نزل عبد الرحيم يوما فى القصر الكبير بالمنستير فسمع فى العشى صوت مهاريس سأل عنه فقيل له ان المرابطين يدقون التوابل لقدورهم فاستهجن ذلك قائلا ان ذلك لم يكن حال المنستير قديما بل كان سكانها فيما مضى يكتفون بلت شىء من الدقيق فى الزيت ، ورفض عبد الرحيم أن يبيت ليلته فى المنستير استهجانا منه لما صار اليه حال مرابطيها (٢) .

وعلى الرغم من أن قدور الزهاد المرابطة لم يكن يطبخ فيها أغلب الأحيان أكثر من البصل والزيت والكمون على نحو ما نعرفه عن قدر مكرم المتعبد الا أن ذلك كان يعز على البعض منهم أحيانا كثيرة حتى أن رائحة قدر مكرم آذت زاهدا آخر كان يسكن تحته فاشتكى هذا الزاهد لمكرم ما ناله من رائحة قدره فأقسم مكرم ألا يطبخ قدرا ولا يأكلها ما بقى على قيد الحياة (٣) .

وكان بعض الزهاد يداوم الصوم مثل أبى السرى واصل بن عبد الله الجمى الذى كان المرابطون يشفقون عليه من قلة مأكله فيأتون اليه بعد المغرب بافطاره الذى لم يكن يتعدى القليل من خبز الشعير ومن بقل البرية (٤) .

كانت حياة المرابطين تقوم على النشاط والايجابية لا يشغلهم طعام ولا كساء فقد كانوا يتبلغون منه بالقليل وانما كان جل همهم العبادة والحرس على المسلمين ومراقبة الشواطىء المغربية كيلا تدهمها قطاع (سفن) الروم وغيرهم من أعداء الاسلام وكان قيامهم بتلك المهمة يعلى من قدرهم ومكانتهم فى قلوب المغاربة فيقصدون اليهم لمشاركتهم الحرس والتبرك بهم فحبب ذلك الزهد الى نفوس المغاربة وساعد على انتشاره

---

(١) الملكى المصدر السابق جـ ١ ص ٤١٤ — ١٤٥ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٢٩ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٣٢ .

انتشارا ملحوظا فى بلاد المغرب تقديرا للزهاد المرابطة ودورهم الفعال فى الحياة المغربية .

تنيجة للعوامل السابقة يمكن القول ان الزهد انتشر فى بلاد المغرب انتشارا واسعا بعد أن بدأ ظهوره فيها منذ نهاية القرن الأول الهجرى ، اذ قدم الى افريقية من المشرق التابعيان الزاهدان اسماعيل بن عبيد الأنصارى المعروف بتاجر الله واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر والى افريقية وكانا ضمن التابعين الفقهاء العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل افريقية فى الدين (١) . واذا كان اسماعيل ابن عبيد الأنصارى قد توفى سنة ١٠٧ هـ بينما توفى اسماعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر فى سنة ١٢٢ هـ ، فقد عاصرهما حينئذاك من الزهاد المغاربة زاهدان كان لهما فى افريقية شأن كبيرهما أبو خالد محمد بن أبى عمران التجيبى الذى أقام بتونس حتى توفى سنة ١٢٥ هـ (٢) وأبو خالد عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم المعافرى الذى كان أول موكود فى افريقية فى الاسلام وعاش طويلا حتى توفى سنة ١٦١ هـ (٣) .

وشهد القرنين الثانى والثالث من الهجرة تزايدا فى أعداد الزهاد المغاربة ففيهما كان منهم عمر بن يزيد بن مسروق التجيبى الزاهد العابد روى عن عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر (رضيهما) (٤) وأبو عبد الله محمد بن مسروق الزاهد كان صالحا راغبا عن الدنيا عن غنى ومقدرة (٥) وأبو عبد الله محمد بن أحمد السوسى ، كان متجردا عن الدنيا زاهدا فيها (٦) ومسافر بن سنان الواعظ الزاهد (٧) والبهلول ابن راشد الرعينى الزاهد العابد الذى كان يلقب بعابد المغرب ، توفى

---

(١) المالكى المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ والدباغ : المصدر السابق جـ ١ ص ١٩٧ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) نفس المصدر جـ ١ ص ١٥٢ . والدباغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٤ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص‌ص ١٩٣ ـ ١٩٤ . والدباغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٦) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص‌ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٧) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٩٩ .

سنة ١٨٣ هـ (١) وأبو على شقران بن على استاذ ذى النون المصرى فى الزهد ، توفى سنة ١٨٦ هـ (٢) وعبد الملك بن أبى كريمة الذى سمع بالمشرق من مالك ومن سفيان الثورى وغيرهما ، كان مستجاب الدعوة وله كتاب فى الزهد (٣) . وكان منهم أبو خالد عبد الخالق القتات من المجتهدين فى العبادة ومن أصحاب البهلول بن راشد ، كان راغبا فى الآخرة كثير المعروف قليل الهيبة للملوك ولا يقبل عطاياهم فقد أراد الأمير ابراهيم بن الأغلب أن يهبه خمسمائة دينار فأبى عبد الخالق أن يأخذها منه (٤) وكان منهم حفص بن عمر الجزيرى (٥) كان رجلا صالحا زاهدا ورعا ظهرت له اجابات منها دعوته على أبى العباس عبد الله بن ابراهيم ابن الأغلب لما رفض أن يضع عن الناس ما أرهقهم به من مغارم (٦) .

وكان منهم اسماعيل بن رياح الجزيرى ، كان من المجتهدين فى العبادة معظما لأمر الله تعالى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يكاد يرى منكرا الا غيره ولا يهاب فى ذلك أحدا من الناس (٧) .

وكان منهم عباس بن عبد الله الضرير من أهل الفضل والعبادة ، توفى سنة ٢٣١ هـ (٨) وأبو الحجاج رباح بن ثابت الأزدى المتوفى سنة ٢٣٧ هـ (٩) وأبو محمد عون بن يوسف الخزاعى ، كان رجلا صالحا مأمونا ثقة ، يبيع

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٠٠ والدباغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٢) أبو العرب : المصدر السابق ، ص ١٣٩ والمالكى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٢ .
والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٦ .
(٣) أبو العرب : المصدر السابق ص ١٢٣ والمالكى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٤ .
(٤) أبو العرب : المصدر السابق ص ١٤٣ والمالكى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٤ .
والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٠ .
(٥) يدعوه ابن عذارى (البيان المغرب ، جـ ١ ص ٩٥) حفص بن حميد .
(٦) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣١ .
(٧) ابو العرب : المصدر السابق ص ١٤٧ والمالكى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٣٧ .
(٨) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤ .
(٩) ابو العرب : المصدر السابق ص ١٥٦ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٢ .

الكتان فى حانوته فيضع حبة شعير مع المثقال اذا أعطى ويضعها مع الدراهم التى يأخذ فيعطى بزيادة حبة ويأخذ بأنقص حبة ، أخذ عن ابن وهب المصرى وسمع بالمدينة المنورة فى رحلته سنة ١٨٠ هـ توفى نحو سنة ٢٣٩ هـ أو ٢٤٠ هـ وصلى عليه سحنون بن سعيد ودفن بباب نافع (١) .

وكان منهم مروان بن أبى شحمه البلوى ، كان شيخا صالحا ثقة سمع من وكيع بن الجراح وغيره ، لم يكن له سرير ينام عليه وانما ينام على الطوب استدعاه الأمير محمد بن الأغلب فرأى مروان قبل دخوله على الأمير خصيا بيده عود أو طنبور فكسره فشكاه الخصى الى الأمير فعاتب الأمير مروان فيما صنع فقال له مروان : رأيت ببابك منكرا فغيرته ، كانت وفاته سنة ٢٤٢ هـ (٢) .

وكان منهم أبو سنان زيد بن سنان ، لقى سفيان بن عينيه وسمع من البهلول بن راشد وغيره ، كان متقشفا سمحا توفى سنة ٢٤٤ هـ (٣) وأبو خلف مطروح بن قيس الخياط ، كان فاضلا جليلا مشهورا بالعبادة ، سمع من الفضيل بن عياض وصحب جماعة من العلماء والمتعبدين (٤) . وأبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال من أهل الفضل والدين والاجتهاد فى العبادة (٥) .

وكان منهم أبو محمد عبد الرحمن بن عبد ربه الربعى الزاهد المستجاب ، سكن قصر زياد وهو الذى أشرف على بنائه واصلاحه سنة ٢١٢ هـ وأنفق فى ذلك اثنى عشر ألف دينار ستة من ماله وستة من اخوانه . وكان زهد عبد الرحيم عن قدرة وغنى فقد كان يملك ضيعة واسعة تضم سبعة عشر ألف شجرة زيتون لكنه مع ذلك كان

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) أبو العرب : المصدر السابق ص ١٥٥ والدباغ : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٠ .

(٣) أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٨٠ والدباغ : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٨ .

(٤) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٠٨ والدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٠ .

(٥) المالكى : المصدر السابق ، ج ص ٤١٠ .

أزهد أهل زمانه ، لم يتزوج ولم تكن له سرية ، قيل أنه كان يجتمع مع الخضر ، توفى سنة ٢٤٧ هـ (١) .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن عياد السرتى ، يعرف بابن غلة ، كان من أكابر أصحاب سحنون ، غلبت عليه العبادة والتنسك توفى سنة ٢٥١ هـ (٢) .

وكان منهم محمد بن ابراهيم بن عبدوس ، كان اماما فى الفقه صالحا زاهدا ورعا عابدا ضرب به حماس بن مروان المثل فى الزهد والفقه كانت له مع محمد بن سحنون التقدمة بين أصحاب سحنون بعد وفاته وقيل أنه مستجاب الدعوة ، توفى سنة ٢٦٠ هـ (٣) .

وكان منهم عبد المؤمن بن مستنير الجزيرى ، كان رجلا صالحا كثير الرباط راويا لرغائبه ويطوف بالأزقة ليحث الناس على الرباط ويحضهم عليه (٤) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحى ، من المجتهدين فى العبادة ، كان يمكث أياما طوايلا لا يأكل من الطعام الا البقول مع الزيت (٥) .

وكان منهم مكرم المتعبد بالمنستير ، كان فاضلا ورعا سكن مرابطا بالقصر الكبير وظل برجه فيه معروفا لوقت طويل وبه دفن على

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢١ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٩٣ .

(٢) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١١٨ وعياض : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٢٥ .

(٣) الخشنى طبقات علماء افريقية ص ١٣٣ والمالكى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٦٠ . والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٧ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢٢ . وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٤) ابو العرب : المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤١٤ .

ساحل البحر ، كان كثير الحرس على المسلمين وهو الذى أشار على ابن الجعد بالموضع الذى بنى فيه حصنه (١) .

وكان منهم أبو الحسن بن دارس المتعبد ، كان فاضلا مجتهدا ورعا متقللا من الدنيا (٢) .

وكان منهم عيسى بن مسكين كان من أهل الفقه والورع ، وكان مهيبا وقورا ثقة مأمونا صالحا ذا سمت وخشوع طويل الصمت رقيق القلب غزير الدمعة كثير الاشفاق ، كان محله من الزهد والورع على حالة يقصر عنها وصف البليغ فكان فى قضائه يعيش بدقيق يخبزه لنفسه وبقل البادية وكان يرتدى جبة صوف قديمة مرقعة ولم يكن فى بيته غير آنيتين أحدهما بخل والأخرى بزيت توفى سنة٢٧٥ هـ (٣) .

وكان منهم أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد الغافقى يقال له عيشون . كان شيخا صالحا ثقة فقيها عالما ثبتا زاهدا متعبدا ورعا معدودا فى كبار أصحاب سحنون . كان يميل الى الرقائق والمواعظ ويختم مجلسه بذلك ، توفى سنة ٢٧٥ هـ (٤) .

وكان منهم أحمد بن المعتب بن أبى الأزهر ، كان زاهدا شديد الورع رقيق القلب بلغ من ذلك أنه حضر يوما مسجد السبت فسمع آيات من القرآن استعبر بها وصاح صيحة عالية خر فى أثرها ميتا سنة ٢٧٧ هـ (٥) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٨٠ .
(٣) الخشنى : المصدر السابق ص ١٤٢ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٤٧ .
(٤) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٥ .
وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٩٣ ،
وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧١ .
(٥) الخشنى : المصدر السابق ص ١٣٨ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٢٥ وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٧ .

وكان منهم آبو الأحوص أحمد بن عبد الله المتعبد المرابط بسوسة . كان من أهل الزهد والورع كثير العمل والاجتهاد ، كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يهاب فى ذلك آحدا من الناس حتى السلطان . كتب الى الأمير ابراهيم بن أحمد الأغلبى — حين أكثر من الجور والقتل — يعظه ويزجره ويحثه على التوبة ويتوعده عذاب الله وكان الأمير ابراهيم نفسه يجل أبا الأحوص ويزوره تبركا به فاذا وجده يطحن قوته بيده جلس على التراب واذا وجده لا يطحن جلس على المطحنة . لأن أبا الأحوص لم يكن لديه حصير ولا غيره ، توفى سنة ٢٨٤ هـ (١) .

وكان منهم أحمد بن وازن الصواف كان من الفضلاء المتقدمين والعباد المجتهدين ، وكان يسمى جوهرة أصحاب سحنون وقيل أنه مستجاب الدعوة ، توفى ٢٨٢ هـ (٢) .

وكان منهم يحى بن عمر الأندلسى ، أصله من جيان وسكن القيروان ثم استوطن سوسة حتى توفى بها . كان اماما فى الفقه والعلم ، له كتب فى الأحمية والحصون وكانت له منزلة شريفة عند الخاصة والعامة . كان من أهل الصيام والقيام مشهود له بالعلم والورع والزهد وقيل انه مستجاب الدعوة (٣) .

وكان منهم بكار المتعبد بقصر الطوب ، كان من المحزونين الخائفين ، توفى سنة ٢٩٤ هـ (٤) . وأبو زكريا يحىٰ بن عون بن يوسف الخزاعى ، الزاهد كأبيه عون ، كان من أهل العلم والفقه ، توفى سنة ٢٩٨ هـ (٥) . وأبو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبى بقصر الطوب ، كان ثقة متعبدا سريع الدمعة كثير الصلاة ، توفى سنة ٢٩٤ هـ (٦) .

---

(١) الخشنى : المصدر السابق ص ١٣٦ وابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٠ . والمالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨٤ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٩٠ .

(٢) الخشنى : المصدر السابق ص ١٥٢ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٩٥ وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٩ .

(٣) الخشنى : المصدر السابق ص ١٣٤ والمالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٩ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٢٤ .

(٤) المالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥

(٥) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٤٩ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٩٥ .

(٦) الدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥٥ والمالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٧ وعياض : المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٠٩

وشهد القرن الرابع الهجرى تزايدا فى أعداد الزهاد ببلاد المغرب فكان منهم أبو عبد الله محمد بن عبادة السوسى ، كان من الصـالحين ، سمع من هشام بن عمار وغيره ، كان هو القيم على بناء قصر ابن الجعد ومتولى الانفاق عليه ، توفى سنة ٣٠٣ هـ (١) وأبو يونس المتعبـد بقصر الطوب ، كان صالحا فاضلا متعبدا مستجابا قليل الهيبة للسلطان يميل الى القراءة فى كتب الرقائق ، توفى سنة ٣٠٤ هـ (٢) . ويونس ابن أبى النجم المؤدب الأطرابلسى المتعبد ، كان مشهورا بالاجابة (٣) وسعيد الصبرى المتعبد ، كان من أهل الفضل والعبادة مشهور بالاجابة وكان الناس يأتون اليه من كل أفق يدعو لهم ويجاب دعاة (٤) .

وابراهيم الدمنى المتعبد،بنى مسجد الميس بالدمنة فكان الناس يجتمعون اليه — على غرار مسجد السبت — للذكر والدعاء ، كان مشهورا بالفضل والعبادة والنسك والاجابة ، توفى سنة ٣٠٥ هـ (٥) وأبو سعيد محمـد ابن محمد بن سحنون ، غلبت عليه الزهادة والعبادة ، توفى سنة ٣٠٦ هـ (٦) .

وكان منهم أبو عبـد الله محمد بن زرقون بن أبى مريم المعروف بالطيارة ، كان اماما وخطيبا بجامع القيروان ، سمع من سحنون وابنه وغيرهما ، واشتهر بالعلم والفضل والزهد ، توفى سنة ٣٠٧ هـ (٧) .

وكان منهم منيب الملقب بعروس المؤذن ، كان صالحا متعبدا يؤذن بمسجد أبى عياش الفقيه صاحب سحنون ، قتله الشيعة لأنه لم يقل فى أذانه حى على خير العمل (٨) .

وكان منهم أبو محمد سعيد بن حكمون ، كان شيخا فاضلا دينا عاقلا زاهدا تغلب عليه العبادة وسكنى الرباط توفى سنة ٣٠٨ هـ (٩) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن قطانية المتعبد بقصر الطوب ، كان

---

(١) المالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١١٦ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٢٣ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٦) الخشنى : المصدر السابق ص ١١٦ وابن عذارى : المصـدر السابق جـ ١ ص ١٨١ .
(٧) الدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٨٤ وعياض : المصـدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٩٥ .
(٨) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٢ .
(٩) الخشنى : المصدر السابق ص ١٦٥ وابن عذارى ، جـ ١ ص١٨٥

مشهورا بالعبادة والخير والاجتهاد ، قيل انه كان يجتمع مع الخضر ، توفى سنة ٣١١ هـ (١) .

وكان منهم أبو زيد عبد الرحمن القيسى ، توفى سنة ٣١١ هـ (٢) وأبو محمد عبد الله التاهرتى ، كان فاضلا عابدا ايشير الى المحبة والشوق ، سكن سوسة محتسبا للحرس بها على المسلمين توفى سنة ٣١٣ هـ (٣) . وأبو سوادة بن الفراء المتعبد بالمنستير ، كان من الفضلاء من أهل العبادة والتبتل والصيام والقيام رقيق القلب غزير الدمعة طويل الحزن ، كان اذا قرأ القرآن يرتله ويبكى وينتحب فيبكى جميع من يسمعه ، توفى بالقيروان وحضر وفاته خلق عظيم من أهلها لم يشهد مثله حينذاك سنة ٣١٤ هـ (٤) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله الفخار ، من العلماء المتعبدين ، كانت له ختمه للقرآن فى كل ليلة أصله من سرت وسكن قصر الطوب كان من الكدادين ممن يحيى الليل بطوله ويشد اللفائف على ســاقه فى أول الليل كأنه خارج الى سفر ليقوى بذلك على قيام الليل . كان يخرج الى المنستير فى شهر رمضان ، توفى سنة ٣١٦ هـ (٥) .

وكان منهم حمدون بن مجاهد الكلبى المتعبد ، توفى سنة ٣١٩ هـ (٦) ولقمان بن يوسف الغسانى ، سكن صقلية مدة ثم استوطن تونس سمع بافريقية ومصر وكان محسنا للقراءة بقراءة نافع ، كان من أهل العبادة والصيام والقيام والتقشف والتواضع فقيها فى مذهب مالك ، مكث أربعة عشر سنة يدرس المدونة ويكتبها حتى خرج له خراج فى جسمه من دس اللوح كان سبب موته سنة ٣١٩ هـ (٧) . وأبو جعفر أحمد بن سعدون الأريسى المتعبد بسوسه يقال له ابن السردانى لأنه غزا سردانية ، كان رجلا صالحا فاضلا فقيها ثقة ذا سمت حسن ووقار وورع قال عنه ابن أبى

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٧٦ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٦٠ .

(٢) الدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٥٩ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٨٢ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٦) افس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٥٣ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٤٧ .

(٧) الخشنى : المصدر السابق ص ١٧١ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢٩٦ .

الأزهر : ما رأيت فى المتعبدين مثله ، كان من الزهاد المتعبدين المستجابين ، توفى سنة ٣٢٣ هـ (١) . وأبو الفضل يوسف بن مسرور ، كان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صالحا فاضلا ألف فى الأحمية ، توفى سنة ٣٢٦ هـ ودفن بالقصر الجديد (٢) وأبو عثمان سعدون بن أحمد الخولانى المتعبد بالمنستير كان فاضلا ذا أوصاف جميلة وكان شيخ الحصون فى وقته يقوم بالدور على الحصون ، توفى سنة ٣٢٦ هـ ودفن قبلى القصر الكبير (٣) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن سهلون المتعبد بقصر صقبارية ينسب الى قرية ابن سهلون من نواحى صفاقس ، كان ذا أوصاف جميلة يجله الزهاد والعباد كأبى اسحاق الجبنيانى وأبى اسحاق السبائى وغيرهما ، توفى سنة ٣٢٧ هـ بقصر صقبارية ودفن به (٤) . وأبو عبد الله محمد ابن العباس بن الوليد الذهلى المعروف بدعدع ، كان عالما فقيها بمذهب مالك ، كان شديد البغض للشيعة ويطعن على مذهبهم كثير السب لهم وضربه فى ذلك القاضى النفطى توفى سنة ٣٢٩ هـ (٥) .

وكان منهم يوسف بن عبد الله القفصى ، كان من أعلم أهل زمانه وأفقههم ، زهد فى كل ما يتنافس فيه الناس من الدنيا وأسبابها ، توفى سنة ٣٣٢ هـ (٦) ، وأبو بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد ، كان عالما باختلاف أهل المدينة واجتماعهم مهيبا موصوفا بالدين والورع والزهد ، جرت عليه محنة على يد قاضى الشيعة ابن أبى المنهال ، توفى سنة ٣٣٣ هـ (٧) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٧ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٣٢٦ .
(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٣٤ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٤٣ .
(٣) الخشنى : المصدر السابق ص ١٦٦ والمالكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥١ .
(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٦٥ وعياض : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٤٥ .
(٦) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٨
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٣٥٦ .
(٧) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٨٦ وعياض : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٠٤ وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٩٩ .

وكان منهم أبو القاسم عبد الوهاب بن نصير المتعبد ، كان ممن علم وعمل ، له ملاحة فى العباد وحلاوة فى النساك كثير الرباط والسياحة قيل انه مجاب الدعوة . توفى سنة ٣٣٠ هـ ودفن بباب سلم (١) .

وكان منهم أبو محمد الاوسانى المتعبد بالمنستير ، كان مشهورا بالعبادة ومن البكائيين توفى سنة ٣٣٥ هـ (٢) ، وأبو ابراهيم بن العربى المتعبد مذكور بالخير والدين والحقائق ، من أجلاء عباد جزيرة شريك كان عباد الجزيره يحبون أن يصحبوه فى التوجه الى الحصون للرباط . توفى سنة ٣٣٥ هـ (٣) .

وكان منهم أو ميسرة أحمد بن نزار من الفقهاء العباد المتبتلين الخائفين الورعين ، كانت له ختمه كل ليلة فى محرابه ، أصابه العمى فى آخر عمره فلم يعرف بذلك أحد الا يوم اجتمع شيوخ افريقية للخروج مع أبى يزيد مخلد بن كيداد على العبيديين ، قيل انه كان مستجاب الدعوة ، توفى سنة ٣٣٧ هـ (٤) . وأبو رزين الاسود الجمونسى المتعبد الساكن بجمونس من أهل الاجتهاد والطاعة ، صحب أبا ميسره أحمد بن نزار وكانت بينهما أخوة ، ظهرت له براهين وكرامات ، توفى سنة ٢٣٧ (٥) . وكان منهم أبو الحسن على بن نصر السوسى ، كان شيخا صالحا فاضلا ثقة ورعا زاهدا فقيها صادقا فى الحق لايهاب سلطانا كثير الاجتهاد فى العبادة يقوم الليل ويصوم النهار كثير التلاوة والخشوع والتواضع . كان زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة . وكان يلبس جبة صوف فاذا اتسخ صدرها رده الى ظهره ويجعل على صدره مرقعة . توفى سنة ٣٤١ هـ فخرج الناس من القيروان وغيرها الى جنازته بسوسه (٦) .

وكان منهم أبو على المكفوف الزاهد المتوفى سنة ٣٤٢ هـ (٧) وأبو جعفر أحمد الأطرابلسى المتعبد بالمنستير بقصر دويد توفى سنة

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٦ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٥١ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٥٢ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٦١ وعياض : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٥٨ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٠٩ .
(٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٣٦٣ .
(٧) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٠٦ .

٣٤٧ هـ (١) وبشير المتعبد بالمنستير ، توفى سنة ٣٤٧ هـ (٢) وحسن بن محمد الخولانى الكانشى ، كان رجلا صالحا فاضلا فقيها مشهورا بالعلم متعبدا مجتهدا ورعا خائفا رقيق القلب كثير المعروف ، باع ضياعه كلها وتصدق بها ، سكن المنستير ، توفى سنة ٣٤٧ هـ عن تسع وتسعون سنة ودفن بالمنستير (٣) .

وكان منهم أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسى ، توفى سنة ٣٤٩ هـ (٤) وأبو بكر عطية بن محمد بن رهبون الجماجرى المتعبد توفى سنة ٣٥١ (٥) وأبو العباس عبد الله بن أحمد المعروف بالابيانى كان عالم افريقية فى وقته غير مدافع ، من أهل الصيانة والانقباض ، كان غذاؤه نصف حجلة تثرد له فى نصف خبزه ، متحفظا فى طعامه كثير الحمية ، متواضعا كثير التواضع يلبس التليس ، توفى سنة ٣٥٢ هـ (٦) .

وكان منهم أبو سعيد خلفون النوفلى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ (٧) ومحمد بن نظيف البزاز الافريقى المتوفى سنة ٣٥٥ هـ (٨) وأبو العباس تميم بن أبى العرب محمد بن أحمد بن تميم ، كان من أهل الورع والانقباض والاجتهاد ، صالحا فاضلا ناسكا زاهدا ، أغلب أقواله الورع والسخاء والمروءة أجمع الناس على فضله قال عنه آكثر من واحد أنه كان كوالده خيرا فاضلا ورعا زاهدا من أهل العلم والصيانة ، دخل الأندلس واستوطن قرطبة وكانت وفاته سنة ٣٥٩ هـ (٩) .

وكان منهم أبو الحسن على بن زكريا بن الخصيب المعروف بابن ذكرون ، طرابلسى ، كان صالحا متعبدا ناسكا ، له فى الفقه والفرائض والرقائق مصنفات كثيرة ، كان من أهل السياحة ، صحب أباعلبى بن الكاتب الزاهد المصرى وجماعة من النساك وروى عنه كثيرون منهم أبو الحسن

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٣٣
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٣٧ .
(٣) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٣ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ٣ ص ٣٦٧ .
(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤٠ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٠٩ .
(٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٣٤٧ .
(٧) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦١ .
(٨) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٠٠ .
(٩) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥٣٢ .

القابسي قيل عنه انه من الورعين فى مطعمه ومشربه وملبسه ومكسبه ولفظه ، توفى سنة ٣٧٠ هـ (١) •

وكان منهم أبو بكر مسرة بين مسلم بن ربيعة الحضرمى من أهل العلم والعبادة والزهد التام سكن قصر زياد ، رحل اليه الناس من الأقطار، كان من النواحين يمتلىء من دموعه موضع سجوده حتى تجرى على الأرض ، توفى سنة ٣٩٣ هـ (٢) • وأبو جعفر أحمد بن خلف المسيلى يعرف بالخياط ، كان عالما ورعا زاهدا فاضلا ، دخل الأندلس وسكن الثغر أعواما كثيرة وكان منسوبا الى البأس والنجدة ، توفى بقرطبة سنة ٣٩٣ هـ (٣) •

وكان منهم أحمد بن حبيب ، من صالحى الأمة وعبادها وزهادها ، كان تاجرا فترك التجارة لشىء بدا من شريك له وخرج الى الاندلس غازيا فذكر هناك وسكن الثغر مرابطا حتى توفى قبيل سنه ٤٠٠ هـ (٤) •

ولم يخل القرن الخامس الهجرى من الزهاد على الرغم من ميل كثير من المغاربة الى التصوف • ومع أنه يصعب وضع حدود فارقة بين الزهاد والمتصوفة حينئذاك حتى أن كثيرا من الكتاب يخلط بينهما فاننا نستطيع التعرف على بعض الزهاد الذين اختصوا باسم الزهد علما عليهم فى القرن الخامس الهجرى ، كان من هؤلاء فقيه افريقية فى وقته أبو الحسن على ابن محمد بن خلف المعروف بابن القابسى الذى كان واسع الرواية عالما بالحديث وعلله ورجاله فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا ومن الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين ، من ذوى الاجتهاد من العباد الزهاد ، وقيل انه مستجاب الدعوة • لم يكن قابسيا وانما سمى بذلك لأنه كان له عم يشد عمامته على طريقة القابسيين — كان من أهل القيروان وبها توفى ودفن بباب تونس سنة ٤٠٣ هـ (٥) •

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن عباس الأنصارى المعروف بالخواص من فقهاء افريقية ورواتها ومقدمى فضلائها وزهادها كان من أصحاب أبى عمران الفاسى وأبى محمد بن أبى زيد القيروانى توفى سنة

---

(١) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣١٠ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥٣٧

(٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥٣٣ •

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٦٢٧ •

(٤) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠١ •

(٥) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٦١٦ •

٤٢٨ هـ (١) . وأبو بكر اسماعيل بن عذرة الايدى فقيه فاضل زاهد قيروانى من أصحاب أبى محمد بن أبى زيد وطبقته . كان الغالب عليه الزهد والعبادة ، وقد سمع منه الناس . كان يقول بكفر بنى عبيد خاصة الحاكم بأمر الله (٢) .

وكان منهم أبو محمد محرز بن خلف بن أبى رزين التونسى المعروف بسيدى محرز العابد من مشاهير صلحاء افريقية ، كان متقشفا فاضلا زاهدا فى الدنيا مجانبا لأهلها وقيل انه مستجاب الدعوة . حرض أهل تونس على الثورة ضد باديس أمير افريقية فعزم باديس على عقاب أهلها وهدمها ففزعوا الى شيخهم محرز العابد فدعا على باديس فأصابته ذبحة مات بسببها (٣) .

وكان منهم أبو الحجاج يوسف بن حمود بن خلف بن أبى مسلم الصدفى قاضى سبتة لنيف وعشرين سنة كان فقيها خيرا فاضلا زاهدا متقشفا متواضعا توفى سنة ٤٢٨ هـ (٤) وأبو عثمان سعيد بن خلف الله ابن ادريس بن سليمان البصرى المعروف بالرياحى ، سبتى . كان منقضبا زاهدا متبتلا صاحب عفاف وتقشف وعزلة يقيم ليلة ونهاره بمسجده بزقاق الخير (٥) .

وكان منهم أبو القاسم ابن أبى مالك أصله من العرب وكانت سكناه بجهة قلعة بنى حماد . كان من أهل الفقه والورع والزهادة والمروءة والخير . أوفده ابن حماد رسولا الى المعز بن باديس فقام بالسفارة على خير وجه سنة ٤٣٨ هـ (٦) .

وكان منهم محمد بن عبد الصمد ، كان من علماء وقته بالقيروان غلب عليه الزهد وكان ممن انقطع الله الى وأخذ فى وعظ الناس فكان يجتمع اليه خلق يسمع منه ، كان يحرض الناس على الشيعة قبل أن ينقلب عليهم المعز بن باديس توفى فى الفتنة التى نشبت فى القيروان ضد الشيعة نحو سنة ٤٣٥ هـ (٧) .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧١٠ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧١٢ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧١٨ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧٢١
الضبى : بغية الملتمس ، جـ ١٤٣٩/٤٨٩ .
(٥) عياض ، المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٧٧٩ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧٧٩ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧٧٠ .

وكان منهم أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيورى آخر ذوى الشأن من أئمة القيروان ، كان ممن قام على حفظ مذهب مالك والتمكين له ، وكان زاهدا فاضلا دينا يصبر على الدرس والتحصيل . لازم مدينة القيروان بعد خرابها على أيدى الهلالية ومات بها بعد أن طال عمره الى سنة ٤٦٠ هـ (١) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله الفحصلى ، كان من الفضلاء العباد ، زاهدا متقللا لا يقتات فى اليوم والليلة بأكثر من نصف مد يمد النبى (ص) . كان فقيها لم يطاوله أحد من طبقته فى الفقه (١) .

وكان منهم عبد العزيز التونسى الزاهد ، توفى بأغمات سنة ٤٨٦ هـ (٢) وابن أخيه عبد السلام التونسى ، دفن بالعباد بتلمسان (٣) وأبو الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد الصفاقسى الينوتشى الزاهد ، توفى سنة ٥٠١ هـ (٤) .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٧٧٣ .
والقزوينى : انموذج الزمان ، ص ١٤١ .
(٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٧٧١ .
(٣) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٣ .
(٤) ابن العباس : الاعلام بمن حل بفاس من الاعلام ، جـ ٨ ص ٣٩٨ .
(٥) عياض : الغنية ، ص ١٢٠ .

المتصوفة فى بلاد المغرب حتى نهاية القرن الخامس الهجرى :

تطور الزهد فى بلاد المغرب مؤديا الى التصوف على نحو ما حدث فى المشرق الاسلامى • وكما أنه لم يكن من اليسير تحديد بداية قاطعة لبدء التصوف فى المشرق الاسلامى فان تحديد مثل هذه البداية للتصوف فى بلاد المغرب أشد صعوبة وأبعد منالا •

وترجع صعوبة تحديد بداية قاطعة لظهور التصوف فى بلاد المغرب الى عدة عوامل ، منها اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاطا شديدا فى بلاد المغرب وقت ظهور التصوف فيها ، واستمرار تواجد الزهاد بعد ظهور التصوف وتشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصــوفة المغاربة الأوائل وحركتهم فى الحياة المغربية جنبا الى جنب مما يجعل من العسير التمييز بينهم فى كثير من الأحيان لاسيما وأن المغاربة كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزهاد والمتصوفة وقتذاك ، فكانوا يطلقون — على سبيل المثال — مسمى العباد على الفريقين معا ، وينعتونهم بكثير من الصفات المشتركة كالصــلاح والورع والاجتهاد فى العبادة ، بل ويسبغون الولاية على نفر من الفريقين دون تفرقة مما يجعل من الصعوبة بمكان اتخاذ هذه المرتبة أساسا للتفرقة بين الفريقين فى كثير من الأحيان ، فعلى سبيل المثال ، لا نكاد نميز عابدا مثل أبى سنان زيد بن سنان الاسدى هل هو من الزهاد أم المتصوفة فقد وصف بأنه كان ذكيا ثبتا زاهدا ورعا وليا من أولياء الله تعالى (١) ووصف أبو عثمان الجزيرى بأنه كان وليا من أولياء الله تعالى (٢) • ولولا أننا وجدنا لبعض من أسبغت عليهم الولاية أوصافا أخرى تلحقهم بالمتصوفة لكان من العسير جدا التعرف على كثير من متصوفة المغرب ممن أدخلناهم فى عــداد المتصوفة ولظل أمرهم يختلط علينا ويصعب تصنيفهم بين المتصوفة •

ولم تكن الولاية — التى هى من مراتب الصوفية — هى التى تسبغ وحدها على بعض الزهاد وانما كان يسبغ على البعض منهم مراتب صوفية على الرغم من أنهم لم يكونوا من المتصوفة ، فقد أطلقت الوتدية على البهلول بن راشد مع أنه كان زاهدا ولم يكن متصوفا •

وزاد من صعوبة التمييز بين الزهاد والمتصوفة أن المصادر المغربية قلما تشير — فى تناولها لتلك الفترة — الى مسمى الصوفى أو تذكر شيئا

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٨ •
(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣٢ •

عن تصوف العباد لا سيما وأن لبس الصوف كان سلوكا مشتركا بين كثير من الزهاد وبين المتصوفة مما يجعل من الصعب الركون الى لبس الصوف فى التمييز بين الفريقين الا حينما يشار الى لبس المرقعة التى كان المتصوفة يختصون بها دون الزهاد أو يشار الى جبة الصوف التى قد تكون أدل على الزهاد أكثر من دلالتها على المتصوفة .

لكن الاشارة أحيانا الى التنسك والنساك كانت تفيد فى التمييز بين بعض المتصوفة والزهاد ، فقد لوحظ أن المتصوفة كانوا أكثر من وصف بالتنسك بين العباد فى بلاد المغرب مما جعلنا نستعين بهذه الصفة أحيانا فى التمييز بين المتصوفة والزهاد على الرغم من اطلاق هذا الوصف أحيانا على قلة من الزهاد مثل اسماعيل بن عبيد الأنصارى الذى وصفه سعيد بن المسيب بأنه تنسك نسك العجم .

الا أنه — وعلى الرغم من تلك الصعوبات — يمكن القول ان بداية التصوف فى بلاد المغرب الاسلامى لم تتأخر كثيرا عن مثيلتها فى المشرق الاسلامى . اذ اتسعت ماهية الزهد فى المغرب تدريجيا نتيجة التصاعد الذى آلم بالظروف والعوامل التى نشأ عنها الزهد فى تلك النواحى ، ومن ثم تصاعد الزهد بدوره مؤديا الى التصوف فى بلاد المغرب على نحو كبير الشبه بما حدث فى المشرق الاسلامى . ويلوح هذا التصاعد التدريجى فى الأفق المغربى منذ نهاية القرن الثانى الهجرى مواكبا مثيله فى المشرق الاسلامى . فقد وصف بعض عباد المغرب الذين ينتمون الى القرن الثانى الهجرى بأوصاف تجعلهم أقرب الى المتصوفة من الزهاد . فلم يكن البهلول بن راشد وحده هو الذى أسبغت عليه الوتدية احدى مراتب الصوفية وانما أسبغت على أبى حفصى عمر بن عبد الله القتال مرتبة « البدلية » اذ وصف بأنه من الأبدال من الأصفياء المجتبين وأنه مارئى ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمنيا حتى مات وكان يقول « اللهم ان كنت تعلم أننى أعبدك حبا لك وشوقا الى رؤية وجهك الكريم فى الجنة فأبحنيه مرة فى الجنة واصنع بى ما شئت » (١) وهذا مذهب فى الحب والشوق الى الله قد لا يرقى الى ما كانت تذهب اليه رابعة العدوية فى العشق الالهى ولكنه يذكرنا به ويورده الى الخاطر . كما أسبغت مرتبة « البدلية » أيضا على أبى يزيد رباح بن يزيد اللخمى الذى وصف

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٧ ، والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٥٢ .

بأنه كان من الابدال صالحا فاضلا زاهدا مستجابا مشهورا بذلك وكان أبو يزيد هذا من طبقة البهلول بن راشد ، بل توفى قبله بنحو عشر سنوات سنة ١٢٧ هـ ، وذاع صيت أبى يزيد حتى خراسان فقد جاء أحد الخراسانيين الى البهلول بن راشد وهو بمكة يسأله عن أبى يزيد ، وظل أهل المغرب بعد وفاته يزورون قبره بباب سلم بالقيروان ويتبركون به (١) .

ووصف أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى الملقب بسكر الناظرين بأنه كان ناسكا ، وقد كان أبو عيسى هذا من أوائل العباد المغاربة من نفس طبقة البهلول بن راشد (٢) وكان من نفس الطبقة أبو سليمان ربيع بن عبد الله الملقب بالناسك (٣) وصف بأنه تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريق أهل الصدق فى الانقطاع الى الله عز وجل وكان كثير السياحة والتغرب عن الأوطان ، رحل الى المشرق وسكن جبل اللكام بالشام وصحب الابدال (٤) . وكان من نفس الطبقة أبو على شقران بن على المتوفى سنة ١٨٦ هـ الذى وصف بأنه كان أوحد زمانه عبادة وزهدا وحسن معاملة لله وكثرة كرامات وهو استاذ ذى النون الاخميمى المصرى المتصوف المشهور . ومن الملاحظ فى أقواله التى علمها لذى النون تصاعدا بالزهد واقترابا به من التصوف ، فقد كان من تعاليمه الأولى لذى النون « لا تحب الدنيا وعد الفقر غنى والبلاء من الله عز وجل نعمة والمنع عطاء والوحدة مع الله أنسا والذل عزا والمباهاة خطأ والاياس عقلة والطاعة حرفة والتوكل معاشا والله عز وجل لكل شىء عدة » ثم قال له بعد ذلك « ياذا النون ، من توكل استغنى ومن لم يتق تعب ومن شكر كوفى ومن رضى صوفى والنظر الى الظلمة آفة

---

(١) ابو العرب : المصدر السابق ، ص ١١٨ ، والمالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٠
والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص‌ص ٢٥٣ — ٢٦٣ .

(٢) أبو العرب : المصدر السابق ، ص ١٥٤ والمالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص‌ص ١٩٤ — ١٩٥ .
والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٣) يجعلة المالكى من السابقين من طبقة البهلول لكن الدباغ يؤخرة عن ذلك كثيرا .

(٤) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩١٧ والدباغ : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٢٩٣ .

التحقيق والهجر لهم أول الطريق » (١) وبمثل هذا القول كان شقران أقرب الى المتصوفة منه الى الزهاد . وكانت تعاليمه — فيما يبدو — هى الأساس الذى بنى عليه ذو النون فيما بعد مذهبه فى الصوف .

وسواء اعتبرنا ذلك بداية للتصوف فى بلاد المغرب أو مجرد ارهاصة به فانه يطالعنا أول تلقيب لمغربى يسكن بلاد المغرب بلقب الصوفى فى ترجمة أبى سليمان داود بن يحيى الصوفى المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، ووصف بأنه كان ثقة مأمونا صالحا فقيرا لم تكن له رحلة الى المشرق (٢) ومن ثم فان تصوفه لم يكن نتيجة رحلة الى المشرق اتصل فيها بالمتصوفة المشارقة وأخذ عنهم التصوف ، وانما كان تصوفه مغربيا محليا نبث على الساحة المغربية ومما عليها بفعل عوامل مغربية محلية ومن ثم يمكن اعتباره بداية حاسمة للتصوف المغربى اذا لم تكن هناك بداية قبل ذلك . لكننا لا نستطيع أن نسهب كثيرا فى الحديث عن هـذه البداية التى حددناها ، ويرجع ذلك بصفة أساسية الى تجاهل المصادر المغربية لتلك البداية وعدم الالتفات اليها أو التنبه لها ، ولولا الترجمة الموجزة جدا — وربما العارضة — لأبى سليمان داود بن يحيى الصوفى والتى ذكرها أبو العرب تميم فى طبقاته لما أمكننا استنتاج شيىء عن هذه البداية ولا تحديدها .

وبناء على ما تقدم ، يمكن القول ان بداية ظهور التصوف فى بلاد المغرب الاسلامى كانت فى النصف الأول من القـرن الثالث الهجرى وهى بداية لا تتأخر كثيرا عن بداية التصـوف فى المشرق الاسـلامى ولا تتعدى بضعة عقود معدودة تتناسب زمنيا مع تأخر الفتح الاسلامى لبلاد المغرب عن الفتح الاسلامى فى المشرق خاصـة عن العراق التى التى شهدت ظهور أول تلقيب بالصوفى مفردا أو عن مصر التى شهدت أول تلقيب لجماعة بالصوفية . ويمكن القول ان المدة التى استغرقها تصاعد الزهد الى التصوف فى بلاد المغرب تقرب من مثيلتها فى المشرق الاسلامى ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان كل من الزهد والتصـوف تيارا عاما تظهر بوادره فى المشرق ثم تهب رياحه على بلاد المغرب ليعم بذلك العالم الاسلامى كله .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، صص ٣١٥ — ٣١٧ .
والدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ، صص ٢٧٩ — ٢٨٤ .
(٢) أبو العرب تميم : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

لقد كان ظهور التصوف فى بلاد المغرب نتيجة لازمة للتصاعد الذى حدث للعوامل المسببة للزهد فى بلاد المغرب من قبل ، اذ كثرت رحلات العباد المغاربة الى المشرق حتى قل أن يوجد بينهم من لم تكن رحلة ، واذا كان هؤلاء العباد قد التقوا بالزهاد المشارقة أول الأمر فانهم لم يلبثوا أن التقوا بالمتصوفة بعد ظهورهم بالمشرق . وأخذوا عنهم مثلما كانوا يأخذون عن الزهاد من قبل فموسى بن معاوية الصمادحى — على سبيل المثال — كان من العباد المغاربة المتقدمين ، توفى سنة ٢٢٥ هـ ، لقى بالمشرق وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وأبا معاوية الضرير ، بل انه رحل الى خراسان فى طلب رجل خراسانى ذكر له (١) . وكان أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك القيروانى كثير السياحة والتغرب عن الأوطان ، رحل الى المشرق وسكن جبل اللكام بالشام وصحب الأبدال وتوفى بدمشق (٢) . كما رحل الى المشرق أيضا أبو عبد الله المغربى السوسى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وصف بأنه كان أحد الأوتاد متجردا عن الدنيا زاهدا فيها دائم الأسفار على التجريد والتوكل وصحب فى المشرق على بن رزين ولقى أبا عبد الله بن الجلاء الصوفى المشهور بمكة وتتلمذ عليه الصوفيان ابراهيم الخواص وابراهيم بن شيبان وكان الخواص من أقران الجنيد سيد طائفة الصوفية ، وتوفى سنة ٢٩١ هـ (٣) .

ورحل الى المشرق أيضا أبو هارون الأندلسى الذى كان متصوفا مغربيا انتحل مذهب التصوف ولبس مرقعة الصوف ووصفه حماس ابن مروان بأنه من الابدال يتأسى بأهل الصفة (٤) وكان أبو هارون

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٥ .
(٢) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ والعمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، ج ٨ ص ٢٠٥ .
(٣) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ص ٢٨٥ — ٢٨٧ والسلمى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٢
والقشيرى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٣ وابى نعيم الاصفهانى : حلية الاولياء ، ج ١٠ ص ٣٣٥ .
(٤) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٥١٧ .

الأندلسي يأتي الى القيروان زائرا من مسكنه في بعض محارس صفاقس حيث لقيه هنالك أبو عقال غلبون المتصوف القيرواني الذي زهد في الدنيا بعد طول لهو فيها ومجون الى أن تاب وتنسك فلحق بأبي هارون الاندلسي وصحبه مدة في ممارس صفاقس. ثم ارتحلا سويا الى المشرق فكانت هنالك لأبي عقال رياضات ومحارس مرتديا مرقعة الصوف ثم لزم الحرم المكي الى أن توفي فيه ساجدا خلف مقام ابراهيم سنة ٢٩١ هـ (١) .

وكان ممن رحل الى المشرق أيضا أبو عبد الله محمد بن أبي حميد السوسي المستجاب ، لقي هنالك هشام بن عمار وأحمد بن أبي الحواري الذي يضعه السلمي في الطبقة الأولى من الصوفية . وقد وصف ابن أبي حميد السوسي بأنه عظيم القدر كبير الشأن من الأبدال توفي سنة ٢٩٣ هـ (٢) . كما رحل الى المشرق أيضا محمد بن طيب المصري المتعبد بسوسه ، وصحب هنالك أبا سعيد أحمد بن عيسى الخراز المتوفى سنة ٢٧٧ هـ والذي كان من كبار صوفية بغداد في عصره (٣) ويضعه السلمي في الطبقة الثانية من الصوفية ورحل الى المشرق أيضا أبو السري وأصل المتعبد بقصر تبصة وصحب هنالك جماعة من المنقطعين الى الله عز وجل (٢) . كما رحل الى المشرق أيضا أبو القاسم المغربي تلميذ أبي بكر بن سعدان الذي كان من أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري (٣) ، وكان أبو القاسم

---

(١) المالكي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٢٧ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص‌ص ٢١٥ — ٢٣٠ .

(٢) المالكي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص‌ص ٢٥٠ — ٢٥٣ . يبدو أننا أصبح لدينا ثلاثة أشخاص تسمى كل منهم بأبي عبد الله السوسي كان أحدهم ينتسب الى سوسة فيما ينتسب الاخران الى السوس بالمغرب الاقصى وكان أحدهم زاهدا يسبق في طبعته البهلول بن راشد بينما كان الاخران من المتصوفة توفي أحدهما سنة ٢٧٩ هـ ، وكان من الاوتاد بينما كان الاخر من الابدال وتوفي سنة ٢٩١ هـ .

(٣) المالكي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٦ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص‌ص ١٥ — ١٦ .

(٥) السلمي ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥١١ .

المغربى هذا مكينا فى التصوف يحفظ المتصوفة أقواله ويستشهدون بها وهو القائل « التصوف استقامة الأحوال مع الحق » (١) .

وكان ممن رحل الى المشرق أبو الخير الأقطع التينيانى الذى سكن التينيات ، قرية تقع قرب المصيصة على ساحل الشام فنسب اليها ، صحب أبا عبد الله بن الجلاء الصوفى المشهور وغيره من مشايخ الصوفية ، وكان أبو الخير التينياتى أوحد زمانه فى طريقة التوكل حتى توفى فى سنة نيف وأربعين وثلثمائة (٢) .

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدرى فقيها ناسكا من العباد الزاهدين المريدين المتوكلين السائحين ، ساح فى البلدان وتغرب عن الأوطان وحج حججا كثيرة وأقام بالمشرق عدة سنين (٣) ، كذلك كان أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب من العباد الزهاد البدلاء المؤثرين المريدين ينتحل التوكل كثير الحج والأسفار والتغريب عن الأوطان (٤) .

وكان ممن رحل الى المشرق أيضا أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى ، كان من قرية من قرى القيروان تدعى كركنت ، صحب عددا من أجلاء مشايخ الصوفية مثل أبى على الكاتب المتوفى سنة نيف وأربعين وثلثمائة

---

(١) السلمى : المصدر السابق جـ ١ ص ٥١١ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٧٠ والعمرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٢٧ ويجعل المالكى (رياض النفوس ، جـ ٢ ص ٤٣٩) وفاته فى سنة ٣٤٨ هـ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٦٦ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) الدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥٣ والسلمى : المصدر السابق جـ ١ ص ٧٧ والقشيرى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٠

ومثل حبيب المغربى وأبى عمرو الزجاجى والنهر جورى وغيرهم ، وكان أبو عثمان المغربى أوحد فى طريقته ، أقام بالحرم مدة غير قصيرة وكان شيحه ثم رحل الى نيسابور ومات بها فى سنة ٣٧٣ هـ (١) .

هكذا كان العباد المغاربة يلتقون برجال التصوف فى المشرق ، واذا كان بعضهم قد مكث فى المشرق وأقام به حتى توفى فان بعضهم الآخر قد عاد الى المغرب يحمل علوم الصوفية ويتأسى بطريقهم وينتحل مذاهبهم وكانوا بعد عودتهم لا يألون جهدا فى نشر ذلك فى أهل المغرب مما كان له أثر بارز فى انتشار التصوف فى بلاد المغرب الاسلامى .

وكان بعض متصوفة المشرق يفــدون من جانبهم الى بلاد المغرب للتجوال حنيا آخر وللاقامة حينا آخر ، فقد جاء الى افريقية ذو النون الاخميمى المصرى الصوفى الأشهر وأخذ عن شقران (٢) ولعله بث بعض آرائه بين المغاربة . كما قدم من المشرق الى المغرب أبو عبد الله الصبيحى البصرى الذى يضعه السلمى فى الطبقة الثالثة من المتصوفة التى ضمنها أبى محمد الجريرى والحلاج ، وقد أخرج أهل البصرة أبا عبد الله الصبيحى من مدينتهم فتوجه الى بلاد المغرب واستوطن السوس حتى توفى هناك . وكان أبو عبد الله الصبيحى عالما بعلوم الصوفية وصنف كتبا فى التصوف تداولها الصوفية (٣) . ويبدو أن كثيرين غيرهما من المتصوفة قد قدموا الى بلاد المغرب لكن المصادر المغربية لم تهتم كثيرا بذكر الوافدين من المتصوفة المشارقة الى بلاد المغرب اذ كان جل اهتمامها ينصب على المغاربة المرتحلين الى المشرق لكنه من المحتمل قدوم أعداد من المتصوفة المشارقة الى المغرب وأنهم بثوا فى المغاربة كثيرا من آرائهم مما كان له أثره فى نشر التصوف فى بلاد المغرب .

وكانت للأحوال السياسية والاجتماعية فى بلاد المغرب فى القرنين الثانى والثالث الهجريين أثرها فى تصعيد نزعة الزهد وصولا بها الى التصوف فقد ازداد الأضطراب السياسى نتيجة الفتنة المغربية التى اجتاحت بلاد

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٣ .
السلمى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٧٧ والقشيرى : المصــدر السابق ، جـ ١ ص ٢٢٠ والعمرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) المالكى والمصدر السابق ، جـ ١ ص ص ٣١٣ — ٣١٥ والدباغ (المصدر السابق جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٣) السلمى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٩ .

المغرب فى عصر الولاة ، وعلى الرغم من هدوء الأحوال نسبيا مع قيام الدويلات المستقلة فى فاس وتاهرت وسجلماسة وافريقية الا أن هذه بالاندلاع فيما بينها من حين لآخر ، ليس فقط بسبب خلافاتها المذهبية القائمة بين العلويين فى فاس والخوارج بفرعيهم فى ثيهرت وسجلماسة وافريقية الأغلبية السنية وانما أيضا لقيام هذه الدويلات فى واقع الأمر على عصبيات قبلية واعتماد كل منها على قبيلة كبرى أو يضع قبائل متقاربة كانت كل منها تتوق دائما الى أن تعلو على سائر القبائل المغربية أو أن تنال منها ثاراتها مما أدى الى تفاقم الاضطراب السياسى والأمنى وأثار خوف كثير من المغاربة ممن استمعوا لآراء المتصوفة وتأثروا بها فلاذوا بالتصوف ليجدوا فيه الطمأنينة والنجاة من ويلات هذه القلاقل التى تتهددهم دائما .

ولم يقتصر التنافس بين دويلات المغرب المستقلة على المجال السياسى وانما كان بينها نوع من التنافس الحضارى لم يلبث أن أدى الى انغماس حواضر هذه الدويلات — خاصة الأغالبة — فى نوع من الترف والبذخ خاصة بين أفراد الأسرات الحاكمة فى تلك الدويلات ، وكان لذلك الترف والبذخ رد فعل ساخط لدى بعض المغاربة الذين آثروا الزهد أو مالوا الى التصوف كنوع من الأعراض عن الدنيا وعرضها الزائل مثلما فعل أبو عقال غلبون الذى كان من أبناء البيت الأغلبى ونشأ فى رفاهية عظيمة وكان شديد العبث والمجون حتى قيل انه كان يحضر حفلات النساء متخفيا فى زى النساء ، فلما أنعم الله عليه بالتوبة نزع الى التصوف وخلع الدنيا ولبس مرقعة الصوف وصحب أبا هارون الأندلسى المتصوف المغربى — حسبما أشرنا آنفا — وسار معه الى بلاد المشرق حيث كانت له هناك رياضات وسياحات ولزم الحرم الى توفى ساجدا خلف المقام سنة ٢٩١ هـ (١) .

وربما كان من أسباب تصعيد الزهد الى التصوف فى بلاد المغرب هو ما حظى به العباد والزهاد من تقدير العامة لهم واضفائهم الولاية على بعضهم مما كان سببا فى ايغال بعض الزهاد فى نزعة الزهد وقرنوا الزيادة الكمية التى تتسم بها العبادة عند الزهاد بالزيادة النوعية التى تحول الزهد الى تصوف أملا فى أن يزداد قدرهم فى نفوس العامة

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٢٧ ، والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١٥ .

ويكتسبوا لديهم صفة الولاية وكانوا فى سبيل ذلك يسعون الى لقاء الصوفية ولا يكتفون بالأخذ عنهم بل يشيعون ذلك بين مواطنيهم حتى يذيع صيتهم ويتناقل الناس أخبارهم فيفد اليهم المريدون ، مثال ذلك ما ذكره موسى بن معاوية الصمادحى أنه رحل من القيروان لا يظن أنه سيلقى أخشع من البهلول بن راشد حتى لقى وكيع بن الجراح ثم رحل الى مكة لا يظن أنه سيلقى أخشع من وكيع حتى لقى الفضيل بن عياض ثم ذكر له رجل فى خراسان فرحل اليه ، فلما سأله الخراسانى عمن لقى ذكر له أنه لقى الفضيل ووكيع وأبا معاوية الضرير فقال له الخراسانى : أما يكفيك أن تجعل أحدهم لدينك ولكنك تريد أن تقدم بلدك فتقول لقيت فلانا وفلانا (١) . واذا كان موسى لم يصرح بأنه كان يريد قول ذلك فعلا فان الرواية تدل على سعى غيره الى شىء من ذلك .

وكان البعض يستهويه تبجيل العامة اياهم فيتحدثون عن رياضاتهم ومجاهداتهم وسياحاتهم ولا ينكرون ما يذيعه الناس عن كراماتهم . فهذا أبو السرى واصل المتعبد بقصر تبصة يقول عن نفسه : كنت أجوب فى الغرب فاذا ضللت الطريق أتت الوحوش والسباع وغيرها تمشى بين يدى تهدينى الى الطريق فأمشى عليها (٢) وهذا أبو يزيد رياح ابن يزيد اللخمى يقول أيضا عن نفسه : « رضت نفسى على ترك المآثم حولا بعد حول حتى طبطبتها ورضت لسانى على ترك ما لا يعنينى فبعد خمس عشرة سنة طبطبته » . وكان الناس يشيعون عنه أنه كانت له قربة مملوءة بالماء لكنه أتى فيها بكرامة هى تحويل الماء الى لبن ثم تحويل اللبن الى ماء مرة أخرى ، فقال له البهلول بن راشد ، يا أبا يزيد ، ان الناس قد أكثروا عليك فى قصة اللبن فقال له : ما تعجبك من هذا فوالله ان لى اثنى عشرة سنة ما خفت أحدا الا الله عز وجل (٣) وهكذا كان بعض المتصوفة يروجون لنزعتهم بما يتحدثون به عن رياضاتهم وكراماتهم ، ولا شك أن حديثا مثل هذا كان يستهوى عدد من العامة وكان له أثره فى اقبال المغاربة على التصوف والمتصوفة .

مما سبق يتبين لنا أن التصوف ظهر فى بلاد المغرب من خلال اتجاهين : أحدهما مشرقى وافد والآخر مغربى محلى متصاعد ، وقد أدى تضافر

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ص ٥٢ — ٥٦ .
(٢) المالكى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠
(٣) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٣٠١ — ٣٠٥ ..

الاتجاهان وتعاونهما على انتشار التصوف فى بلاد المغرب انتشارا واسعا ساعد على ذلك أن دور المتصوفة فى الحياة المغربية لم يكن يقل ايجابية عن دور الزهاد فيها وتنوعت حركة المتصوفة على الساحة المغربية مما كان له كبير الأثر فى اقبال المغاربة على التصوف والمتصوفة .

دور المتصوفة فى الحياة المغربية :

كان التصوف الذى عرفته بلاد المغرب الاسلامى منذ ظهوره حتى أواخر القرن الخامس الهجرى تصوفا فرديا لم تنتظمه بعد تلك الجماعات الصوفية المنظمة المعروفة اصطلاحا باسم الطرق الصوفية وكان أكثر ما عرف من تنظيم للتصوف حتى نهاية هذه لفترة هو التفاف بعض المريدين أو التلاميذ حول أحد شيوخ التصوف للتلقى عنه أو التبرك به دون أن تنشأ حول أحد من الشيوخ أى جماعة من جماعات المعاشرة الاخوانية المعروفة باسم الطرق الصوفية ، فحتى هذا الوقت — أواخر القرن الخامس الهجرى — لم تكن قد عرفت بعد فى بلاد المغرب الاسلامى واذا كان للبعض من كبار المشايخ سبيلا خاصا فى التصوف فان أحدا منهم لم يكن قد أنشأ بعد أى طريقة صوفية كتلك الطرق التى عرفت فيما بعد فى بلاد المغرب فى القرن السادس الهجرى .

واذا كان التصوف فى بلاد المغرب حينذاك تصوفا فرديا من جانب ، فانه من جانب آخر لم يكن تصوفا سلبيا وانما كان تصوفا ايجابيا ذو حركة فعالة ومؤثرة وشديدة الالتصاق بالحياة العامة المغربية (١) . وتعددت جوانب هذه الحركة الايجابية الفعالة وتنوعت أنشطة المتصوفة المغاربة تنوعا شديدا ومؤثرا مما ساعد على اقبال المغاربة على المتصوفة وتقبلهم للتصوف ويمكننا تتبع بعض جوانب هذه الحركة النشيطة فيما يلى :

١ — مجالس العلم وحلقات السماع :

كان كثير من المتصوفة المغاربة من الفقهاء وأهل العلم وكان أكثرهم من المالكية فلم ينشأ بينهم وبين الفقهاء من غير المتصوفة نفور كبير ولم نعرف بلاد المغرب آنذاك مثل ذلك النزاع المشهور المحتدم بين الفقهاء

---

(١) أبو لبابه حسين : موقف متصوفة افريقية وزهادها من الاحتلال العبيدى ، ص ٧ .

والمتصوفة فى المشرق والذى أدى الى أن يساق الى المحكمة بعض المتصوفة مثل ذى النون والحلاج وغيرهما (١) .

وكان لكثير من المتصوفة المغاربة الفقهاء منهم والمحدثين حلقات علم يلتف فيها الدارسون حولهم ويتعلم فيها أهل المغرب أمور دينهم وشىء من علوم التصوف . فعلى سبيل المثال ، كان لأبى سنان زيد بن سنان طلاب يدرسون عليه العلم وكان يؤثر فيهم بشدة تواضعه الذى بلغ أنه كان يحمل خبزه على يده الى الفرن فيراوده الطلبة على أن يحملوا له الخبز الى الفرن فيأبى الا أن يحمله بنفسه (٢) ، وكان لحماس بن مروان الناسك حلقة علم يعلم فيها الفقه ، دخل عليه فيها ذات يوم أبو هارون الأندلسى مرتديا مرقعة الصوف فقام له حماس احتراما وأجلسه فى موضعه وحول وجهه اليه فجلس أبو هارون معه ساعة ثم خرج فقام حماس معه ، فسأل الطلبة استاذهم عن هذا الرجل الذى قام له وأجلسه موضعه ، فقال لهم حماس بن مروان : هذا أبو هارون الأندلسى من الأبدال (٣) .

وكان جبلة بن حمود فقيها يرابط بقصر الطوب حينا ويقوم الى القيروان حينا آخر فيعقد فيها مجلس العلم ويسمع منه الناس ، واعتاد أن يلقى فى مجلسه كل يوم جمعه بعض الرقائق (٤) . وكان جبلة لا يهتم بشىء من الثياب الا ما يستر عورته حتى أنه خرج على الطلاب يوما فى خرق بالية كأن ثيابه أكلها الجراد فقوم بعض الطلبة جميع ما كان عليه بثلاثة أرباع درهم فقط (٥) .

وكان حسين بن مفرج مولى مهرية الأغلبية ذا عناية بالعلم وبصر بالرقائق (٦) وكان لربيع القطان حلقة يلقى فيها ما تعلمه على كبار الصوفية

---

(١) يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية ، ص ٢٦٧ مع أن هويدى يصدر حكمه أعلاه على فترة لاحقة الا أن هذا الحكم يصدق أيضا على الفترة موضوع البحث ومن ثم أثبتناه .

(٢) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٥١٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ص ٢٧ — ٣٥ .

(٤) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧١ .

(٥) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٣٠ .

فى وقته مثل أبى الحسن على بن سهل الدينورى وأبى على الكاتب وأبى على الروذبارى وغيرهم .

وكان ربيع القطان لسان أهل افريقية فى وقته فى علم التصوف ، أشاد به أبو على الكاتب ونوه بسرعة ارتقائه لأعلى درجات هذا العلم (١) .

وكان لأبى مالك الدباغ حلقة يجتمع فيها أصحابه لتدارس علم الباطن (التصوف) فاذا اختلفوا فى شىء قام أبو مالك الى حلقة ربيع القطان فيجثو بين يديه ويسأله عما يريد (٢) .

فى مثل هذه الحلقات والمجالس كان يدرس علم التصوف وتنشد الرقائق فكانت هذه الحلقات والمجالس تجتذب أعدادا غفيرة من أهل المغرب ممن كانت الرقائق والأذكار تستهويهم وكان لذلك — بلا شك — أثر كبير فى نشر التصوف فى بلاد المغرب الاسلامى .

٢ — التصدى لمظالم الحكام :

كان بعض الصوفية المغاربة بمثابة الملاذ الذى يلوذ به المظاليم من المغرب ليستعينوا بهم على دفع مظالم الحكام وأذاهم مثلهم فى ذلك مثل الزهاد الذين كانوا ينخرطون واياهم فى عداد العباد ، فعلى سبيل المثال جاء رجل الى رباح بن يزيد يشكو اليه سعيد بن لبيد كبير رجال يزيد بن حاتم أمير افريقية فى وقته ، وقال الشاكى لرباح أن سعد بن لبيد أخذ منه جارية له ، فأخذ رباح بن يزيد عصاه وانطلق مع الرجل الشاكى الى دار سعيد بن لبيد فأمره برد الجارية الى سيدها فنزل سعيد على أمره وقام برد الجارية (٣) . وكان حماس بن مروان لا يهاب فى الحق أحدا من الناس ولا يداريه حتى أدى به ذلك الى أن يعاديه ابن الصائغ صاحب البريد وكبير رجالات زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة (٤) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٢٣ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص‌ص ، ٣١٠ — ٣١١ .

(٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٣١١ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٤ .

(٤) عياض : المصدر السابق جـ ٥ ص ٧٢ .

وكان أبو جعفر القمودى يدفع الظلم عمن يلجأ اليه من المتضررين من مظالم الحكام طالبين منه أن يدفع عنهم ظلاماتهم (١) . وكان أبو عبد الله محمد بن أبى حميد السوسى لا يتوانى عن التصدى لمظالم الحكام فقد تصدى لابراهيم بن أحمد الأغلبى حين عزم على تخريب سوسه وانداء أهلها لكن ابن أبى حميد وعظه ونهاه عن انفاذ ما عزم عليه فتأثر ابراهيم بن أحمد الأغلبى من كلامة حتى بكى ثم قفل عائدا الى القيروان دون أن يمس سوسة أو أحد من أهلها بسوء (٢) .

هكذا كان للمتصوفة المغاربة دور ايجابى فى مساندة أهليهم ضد مظالم الحكام وكان الحكام يستجيبون للمتصوفة لما كان لهم من مكانة كبيرة فى قلوب العامة ورهبة الحكام اياهم اعتقادا منهم فى أنهم مستحابو الدعاء وكان لذلك أثره فى اقبال المغاربة على المتصوفة وميلهم الى التصوف .

٣ — المرابطة والدفاع عن المسلمين :

كان كثير من المتصوفة يسكنون الرباطات حرسا على المسلمين ودفاعا عنهم ضد اغارات الروم المفاجئة وقد كان دورهم فى الرباط امتداد لدور الزهاد ومشاركة لهم ، فقد كان أبو هارون الأندلسى يرابط بقصر الطوب (٣) وكان أبو السرى واصل بن عبد الله الحمسى يرابط بقصر حمة الذى عرف فيما بعد بقصر الرباط بالمهدية وأبو السرى وأصل التبصى يرابط بقصر تبصه المرابط وهو الحصن الذى عرف فيما بعد بالديماس (٤) وكان أبو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبى يرابط بقصر الطوب (٥) .

وكانت حياة المرابطين من المتصوفة لا تختلف كثيرا عن حياة اخوانهم من الزهاد مما جعل الكتاب يخلطون بينهم وان كان ذلك يدعو الى القول بأن المتصوفة المرابطة فى محارس الساحل المغربى يثبتون أن التصوف

---

(١) المالكى : المصدر السابق ج ٢ صص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩ .
(٣) المالكى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢٩ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٢ .

المغربى كان أول أمره ايجابيا وكان للمتصوفة المغاربة دورهم الفعال في الحياة المغربية مما كان له أثره الحسن فى نفوس المغاربة وحسن رأيهم فى التصوف ومن ثم ميلهم اليه واقبالهم عليه على النحو الذى جعل من بلاد المغرب معقلا من معاقل التصوف الاسلامى •

٤ — مقاومة الشيعة العبيدية :

كان من أبرز ما قام به المتصوفة المغاربة من أدوار على الساحة المغربية ذلك الدور الهام الذى قاموا به فى التصدى للشيعة العبيدية ومقاومتهم مقاومة تشبه مقاومة الزهاد للتشيع ولا تقل اهمية عن دور المالكية المغربية فى تلك المقاومة التى انخرط فيها المالكية والزهاد والمتصوفة من اهل المغرب •

وعلى الرغم من قول بعض المؤرخين بوجود صلة بين التصوف والتشيع ، فان التصوف المغربى فى الفترة التى يتناولها البحث لم يكن بينه وبين التشيع العبيدى (الاسماعيلى) صلة الا العداء والمقاومة الشديدة التى كان المتصوفة يقاومونها للتشيع لعبيدى • ولم يكن ذلك العداء راجع فقط الى اتباع غالبية المتصوفة المغاربة للمذهب المالكى (١) وانما كان يرجع أيضا الى أن التصوف المغربى رغم ظهوره من اتجاهين أحدهما مشرقى وافد والآخر مغربي محلى فان هذا التصوف لم يلبث أن اصطبغ بصبغة مغربية خالصة جعلت منه تيارا مغربيا خالصا وجزء لا يتجزأ من فعاليات الحياة المغربية ومقوما من مقومات الشخصية المغربية • وكانت الصلة وطيدة بين هذا التصوف المغربى وبين التيار السنى لا تعكر صفوها حينذاك خصومات ولا نزاعات بينما جاء التشيع العبيدى دخيلا على بلاد المغرب تتجافاه العقلية المغربية وترفضه ، فكان من الطبيعى أن يتعاون التياران المغربيان السني والصوفى فى مقاومة البدعة الشيعية لاسيما وأن التيارين السنى والصوفى فى المغرب كانا متداخلين تداخلا شديدا الى الدرجة التى يجمع فيها كثير من العباد المغاربة بين التصوف والسنة فى آن واحد وكان كثير من أعلام التصوف المغربى هم فى نفس الوقت من أعلام المالكية أو السنية المغربية على وجه العمـوم •

---

(١) أبو لبابه حسين : المرجع السابق ، ص ٧ •

وعلى ذلك ، فقد شارك المتصوفة المغاربة مشاركة فعالة ومؤثرة فى مقاومة الشيعة العبيدية وتنفير أهل المغرب من التشيع أو التشريق . فعلى سبيل المثال كان جبلة بن حمود الصدفى المتصوف المغربى واحد ممن قاوموا الشيعة العبيدية وكان يكاشفهم العداء ويصرح به دون خوف بل انه ترك الرباط فى الثغر معلنا أن التصدى للشيعة العبيدية أكثر وجوبا منه (١) وكان أبو اسحاق ابراهيم الدمنى مؤسس مسجد الخميس بدمنة القيروان يطعن فى الدولة الشيعية (٢) . أما أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدرى الذى كان قد بلغ فى التصوف مرتبة « البدلية » معدودا من أولياء الله عز وجل فقد بايع وزداجه وقبائل أهل افريقية وأكثر أهل القيروان على جهاد عبيد الله المهدى أول خلفاء الدولة العبيدية فى افريقية ، فلما بلغ عبيد الله خبره وجه اليه الخيل فى طلبه بناحية باجه لكن أبا عبد الله السدرى فر الى مكة وأقام بها فترة من الزمن رجع بعدها الى بلاد المغرب فلاحقته عيون عبيد الله المهدى وجواسيسه حتى تمكنوا من القبض عليه وأدخلوه على عبيد الله المهدى الذى سأله عن التهم الموجهة اليه فلم ينكر السدرى تلك التهم وأقر أنه شتم العبيديين وشنع عليهم فأمر عبيد الله المهدى بقتله سنة ٣٠٩ هـ (٣) . وكان من المتصوفة الذين قاوموا الشيعة العبيدية حسين بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب وكان ابن مفرج من الذين بلغوا مرتبة « البدلية » فى التصوف وقيل انه خرج مع جماعة على عبيد الله المهدى فقتله المهدى ، وقيل ان قتله كان بسبب تفضيله بعض الصحابة على على بن أبى طالب مخالفا بذلك مذهب الشيعة الاسماعيلية (٤) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٢ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص‌ص ٢٧١ — ٢٧٢

وعياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٣٧٥ وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٣ .

(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٨

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٦٦ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٣ وعياض : المصدر السابق جـ ٥ ص ١٣٠ .

وكان ممن قاوم الشيعة العبيدية أبو الفضل العباس بين عيسى الممسى كان من كبار فقهاء المالكية فى افريقية ورعا زاهدا مجتهدا لكنه مال الى التصوف بعد عودته من الحج اذ « لزم الانقباض والنسك » ثم خرج على بنى عبيد فيمن خرج من شيوخ القيروان مع أبى يزيد مخلد بن كيراد وكان يرفع أحد البنود السبعة التى رفعها أهل القيروان يوم نصرتهم لأبى يزيد لكنه قتل فى المعركة فى شهر رجب سنة ٣٣٣ هـ (١) .

وقاوم الشيعة أيضا من متصوفة افريقية أبو سليمان ربيع القطان ، كان من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين والنساك المتصوفة أهل الورع والدين ، لزم الانقباض وذهب الى العلم الباطن والنسك والعبادة وتلاوة القرآن وتفهمه على طريق أهل الارادة وصار داعية اليه وكانت له حلقة بجامع القيروان ، وكان لسان أهل افريقية فى الزهد والرقة والكلام على الأحوال والمقامات انتفع فى ذلك بصحبة أبى الحسن على بن سهل الدينورى وأبى على بن الكاتب وأبى على الروزبارى وغيرهم . وكان ممن عقد الخروج لقتال الروافض مع شيوخ القيروان وقتل فى وادى الملح فى حصار المهدية سنة ٣٣٤ هـ (٢) .

وقاوم الشيعة أيضا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد السبائى ، كان من أولياء الله المعدودين الذين ينزل بدعائهم القطر وتظهر بهم البراهين . كان أحد من عقد الخروج على بنى عبيد وكان يذمهم ويحذر منهم توفى سنة ٣٥٦ هـ (٣) .

وكان ممن قاومهم أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن على بن مسلم الجبنيانى ، أحد أئمة المسلمين وأبدال أولياء الله الصالحين قال عنه أحدهم: كل من أدركت بهذا الساحل من عالم أو عابد يستتر وينزوى بدينه خوفا من بنى عبيد الا أبا اسحاق فانه واثق بالله فلم يسلمه ومسك الله به قلوب المؤمنين وأعز به الدين « كان لا يؤذن حى على خير العمل ولا يجهر

(١) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ص ص ٢٩٧ — ٣٠٠ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٥ ص ص ٣١٠ — ٣١٣
(٣) انظر ترجمته عند المالكى .

بالبسملة فى أول سورة الفاتحة فى الصلاة ولا يسلم على ناحيتين خلافا الشيعة العبيدية وكان يظهر بغضه لهم ولا يخفيه • وكان الجبنيانى مهيبا يهابه جند الشيعة ويخافون أن يدعو عليهم دعوة مستجابة ، توفى سنة ٣٩٩ هـ فى المحرم وسنه تسعون سنة (١) •

مما سبق يتضح لنا أهمية الدور الذى قام به المتصوفة فى الحياة المغربية وكيف كان لهذا الدور أثره فى اقبال المغاربة على التصوف فتزايدت أعداد المتصوفة فى بلاد المغرب من قرن لآخر باضطراد ، يظهر ذلك اذا تتبعنا تراجم المتصوفة التى زخرت بها المصادر المغربية منذ ظهور التصوف فى بلاد المغرب وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى فقد كان من أوائل متصوفة المغرب أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى المعروف بـ « سكر الناظرين » والسكر مذهب من مذاهب الصوفية يعرفه القشيرى بأنه غيبة موارد قوى وعكسه الصحو وهو رجوع الاحساس بعد الغيبة ، وكان السكر مذهب أبى يزيد البسطامى (٢) ولذا يعد أبا عيسى مروان اليحصبى من المتصوفة سيما وأنه وصف بالنسك (٣) •

وكان من المتصوفة المغاربة أبو حفص عمر بن عبد الله القتال ، اتفق على أنه كان من الأبدال ووصف بأنه كان من الأصفياء المجتبين (٤) • كما كان منهم أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك ، كان من أهل الصدق والتخلى والانقطاع الى الله عز وجل كثير السياحة والتغرب عن الأوطان ، سكن جبل اللكام بالشام وصحب الأبدال (٥) •

وكان من المتصوفة المغاربة أبو عبد الله محمد السوسى المغربى المتوفى سنة ٢٩٩ هـ كان أحد الأوتاد متجردا من الدنيا دائم الأسفار على التجريد والتوكل ، رحل الى المشرق فتتلمذ على الصوفى على بن رزين ثم تتلمذ

---

(١) انظر ترجمته عند المالكى .

(٢) الرسالة القشيرية .

(٣) ابو العرب : المصدر السابق ص ١٥٤ والمالكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤ ومابعدها والدباغ : المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠

(٤) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ والدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٢٣

(٥) المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ والدباغ : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٣ .

عليه ابراهيم الخواص وابراهيم بن شيبان من مشاهير الصوفية ، كان الخواص من أقران الجنيد توفى سنة ٢٩١ هـ قبل أستاذه أبى عبد الله السوسى بنحو ثمانية أعوام ، أما ابراهيم بن شيبان فقد صحب أستاذة شيخه ثم رحل الى نيسابور ومات بها فى سنة ٣٣٧ هـ (١) .

ولا يبعد أن يكون شقران بن على أستاذ ذى النون الاخميمى المصرى من المتصوفة ، فقد بث شقران فى ذى النون تعاليمه وحثه على السياحة فى الأرض والاستعانة بأكل العشب على أداء الغرض ، كما حثه على الفقر والوحدة والتوكل ، وحدثه عن العلم والطلب والقصد والوصول والمصافاه (٢) وهى أمور لها عند الصوفية معانى واعتبار .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو سليمان داود بن يحيى الصوفى أول من وجدناه يتلقب بلقب الصوفى فى بلاد المغرب ، كان رجلا صالحا فقيرا متعففا ثقة مأمونا لم تكن له رحلة الى المشرق وانما نبت تصوفه على الساحة المغربية ومن ثم اعتبرنا فترته البداية الحقيقية للتصوف المغربى ، توفى سنة ٢٤٩ هـ (٣) . وتوالى فى المائة الثالثة من الهجرة عدد من المتصوفة المغاربة يمكن أن نعد منهم أبا محمد الأنصارى الدمنى الضرير الذى وصف بأنه صاحب صدق ومعاملة صحيحة وزهد وانقطاع وخوف واشفاق ، مستجاب الدعوة وهى صفات تفوق ما يوصف به الزهاد عادة ومن ثم ألحقناه بالمتصوفة ، وكان أبو محمد الأنصارى الضرير هو مؤسس مسجد السبت الذى كان يعقد فيه مجلس السبت كل أسبوع لسماع الرقائق (٤) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو السرى وأصل الجمى نسبة الى قصر جمة ، وصف بأنه كان من أهل النسك والارادة تجرد لقيام الليل وصيام

---

(١) السلمى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٢ والقشيرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٣

والمالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٦ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٨٥

(٢) أبو العرب : المصدر السابق ص ١٣٩ والمالكى : المصدر السابق ، ط ص ٣١٢ والرياغ : المصدر السابق ط ص ٢٧٩ .

(٣) أبو العرب ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٤) المالكى : المصدر السابق ، ط ص ٤١١ والدباغ : المصدر السابق ، ط ٢ ص ١١٣ .

النهار وداوم على ذلك حتى صار من الأولياء المعدودين ومن الأصفياء المقربين والنساك المتجردين ، توفى سنة ٢٥٢ هـ (١) • وكان منهم أبو هارون الأندلسى الذى وصفه حماس بن مروان بأنه من الأبدال يتأسى بأهل الصفة ، كان يلبس مرقعة الصوف وينتحل مذهب التوكل والانقطاع الى الله عز وجل ، توفى بالمدينة المنورة سنة ٢٩١ هـ (٢) ولحقه فى نفس العام صاحبه أبو عقال غلبون الذى تصوف بعد عبث ومجون وصحب أبا هارون الى المشرق فكانت له هناك رياضات وسياحات ثم لزم الحرم المكى الى أن توفى فيه ساجدا خلف المقام بعد وفاة أستاذه بعدة أشهر فقط (٣) •

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أبى حميد السوسى المتوفى سنة ٢٩٣ هـ كان من الأبدال ، رحل الى المشرق ولقى بالشام هشام بن عمار وأحمد بن الحوارى سكن دمنة سوسه وخدم الأضراء (المجذومين) حتى صار مجذوما مثلهم ، هو الذى نهى ابراهيم بن أحمد الأغلبى عن تخريب سوسه (٤) •

وكان منهم أبو السرى واصل المتعبد بقصر تبصة ، وصف بأنه كان صالحا مجتهدا صحب جماعة من النساك المتقطعين الى الله عز وجل بالمشرق والمغرب ، وكان من أهل السياحة والتغرب (٥) •

وكان من متصوفة المغرب أيضا جبله بن يوسف بن حمود ، كان أوحد زمانه فى الزهد والورع لم يكن يقتات الا على أقل الطعام اذ كان قوته ثمنين من الشعير فى الشهر ، وكان يسرد الصيام ويفطر على بقل البرية ، وكان لا يملك الا ثوبا واحدا باليا كأنما أكله الجراد وينام على زنبيل وقطعة نطع وطوية عند رأسه فوقها وسادة خشنة ، يغلب عليه النسك وتوفى سنة ٢٩٩ هـ (٦) •

---

(١) المالكى : المصدر السابق ط ص ٤٣١ وعياض : المصدر السابق ، ط ٤ ص ١٩٨ •

(٢) المالكى : المصدر السابق ، ط ص ٥١٦ •

(٣) نفسها المصدر ، ط ص ٥٢٧ والدباغ : المصدر السابق ، ط ٢ ص ٢١٥ •

(٤) المالكى : المصدر السابق ، ط ٢ ص ٥ والدباغ : المصدر السابق ، ط ٢ ص ٢٥٠ وعياض : المصدر السابق ط ٤ ص ٤١٦ •

(٥) المالكى : المصدر السابق ، ط ٢ ص ١٥ •

(٦) نفس المصدر ، ط ٢ ص ٢٧ والدباغ : المصدر السابق ، ط ص ٢٧٠ وعياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٧١ •

ويمكن أن نعد من المتصوفة فى المغرب حماس بن مروان الملقب بالناسك كان يجمع بين الفقة الكثير والورع الجيد والعبادة والزهادة ، يلبس الصوف الخشن ويأكل الشعير (١) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو بكر الصدفى الصوفى السوسى المتوفى سنة ٣٠٤ هـ ، لا نعرف عنه آكثر من أنه تلقب بالصوفى (٢) كما كان منهم محمد بن طيب المصرى الساكن بسوسة أيضا صحب عددا من كبار الصوفية المشارقة مثل الخراز الصوفى البغدادى المشهور ، كما صحب أبا هارون الأندلسى وأبا عقال غلبون من متصوفة أهل المغرب (٣) .

وكان من متصوفة المغرب أبو اسحاق ابراهيم الدمنى الذى بنى مسجد الخميس بالدمنة على مقربة من مسجد السبت ، وكان يعقد بمسجد الخميس مجلسا كل يوم خميس من العصر الى الليل للذكر والدعاء وسماع الرقائق ، وكان ابراهيم الدمنى يلبس المرقعات من المزابل مشهورا بالفضل والعبادة والنسك مستجاب الدعوة ويستقى به الغيث ولعله كان من الأبدال هو وصوفى مغربى آخر كان بالدمنة أيضا يدعى محمد بن العنقل (٤) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو عبد الله محمد بن عبد الله السيورى كان فقيها ناسكا من العباد الزهاد ومن البدلاء المريديين العاماين ينتحل التوكل كثير الحج والأسفار والتغرب عن الأوطان والسياحة (٥) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو جعفر القمودى ، وصف بأنه من أولياء الله ، لم يكن فى عصره أكثر عبادة منه ، وكان من أهل السياحة ، جاز على افريقية كلها فما طاب له المقام الا بسوسه ، أقام أربعين سنة صائما لا يفطر الا على الخبز والماء ، لم يكن ينام مضطجعا وانما كان نومه جالسا ، ولم يكن قوته يتعدى ثمن شعير فى الشهر ، لا يأكل اللحم وانما تطبخ قدره

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١١٨ والدباغ : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٢٠ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٦٦ .
(٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٧ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٧٤ .
(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٦٦ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٤ .

ببصلة وزيت ، وكان يلبس الصوف له ذكر بالمشرق والمغرب ، توفى سنة ٣٢٤ هـ (١) .

وكان منهم أيضا سعدون بن أحمد الخولانى، كان من أهل العبادة الدائمة والفضل ، وكانت فيه غفلة الشيوخ ، حسن النسك ، كان من الصالحين وشيخ الحصون فى وقته ، لم يكن بالمنستير من هو أسن منه ، وصف بأنه من أولياء الله ، رد الله ببركته عن المنستير شر العبيديين حينما أرادوا أن يخلوه من المرابطة كما أخلوا غيره من الحصون ، توفى سنة ٣٢٤ هـ وقيل سنة ٣١٠ (٢) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو القاسم عبد الوهاب بن نصر المتعبد وصف بأنه مجاب الدعوة ممن له علم وعمل ، كانت له ملاحة فى العباد وحلاوة فى النساك ، كثير الرباط والسياحة ، يرتدى مرقعة الصوف ، توفى سنة ٣٣٠ هـ (٣) . كما كان منهم أبو جعفر أحمد بن أبى خالد يزيد الدباغ كان ذا أوصاف حسنة يميل الى التصوف وله أخبار ومجالس مع أهل النسك والرقة توفى أيضا سنة ٣٣٠ هـ (٤) .

وكان من المتصوفة المغاربة أبو الفضل الممسى ، رحل الى المشرق للحج سنة ٣١٧ هـ لكفة مكث عامه هذا بمصر وحضر مجالسها ونال ثناء أهلها ، ولما حج وعاد من رحلته لزم الانقباض والنسك الى أن خرج على بنى عبيد الشيعة مع من قام عليهم من علماء القيروان وعبادها وصلحائها ابان ثورة أبى يزيد مخلد بن كيراد ، توفى الممسى سنة ٣٣٣ هـ (٥) .

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١١ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٥١ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٣٤ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٧١ .

(٥) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ص ٢٧٩ — ٣٠٠ وابن فرحون : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٩ .

وكان منهم أيضا أبو سليمان ربيع القطان ، كان من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين والنساك أهل الورع والدين ، وكان فى وقته لسان افريقية فى الزهد والرقائق والكلام على الأحوال والمقامات لا يفوقه فى ذلك أحد من أهل زمانه وانتفع فى تحقيق ذلك بصحبة أبى الحسن على ابن سهل الدينورى وأبى على الكاتب وأبى على الروذبارى وغيرهم من أعلام صوفية المشرق وقتذاك ، كان أبو على الكاتب يقول فيه : ما رأيت رجلا جعل رجله الأولى فى أول درجة من علم التصوف وجعل رجله الثانية فى أعلى درجة منه الا ربيعا القطان كأنما جاءه الأمر دفعة واحدة من الله تعالى . وكان لربيع القطان حلقة يدرس فيها علم التصـوف (الباطن) وكان قد نحل جسمه ورق عظمه من صيام النهار وقيام الليل وكان قد جعل على نفسه ألا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بنى عبيد وقد توفى سنة ٣٣٤ هـ (١) .

وكان منهم أيضا سالم بن حماس مروان وصف بأنه كان من الأبدال ، وكان أخوه حمود بن حماس بن مروان أيضا من أهل النسك والورع حسن السمت صحب جماعة من النساك واختص بأبى هارون الأندلسى وتوفى حمود بعد أخيه سالم بعامين فى سنة ٣٠٩ هـ (٢) .

وكان من متصوفة المغرب أبو عبد الله محمد بن أبى سهل الصوفى كان من أهل الفضل والدين ثم تنسـك حتى توفى سنة ٣٣٣ هـ (٣) وقد ذكر أنه كان يحضر يوما مسجد السبت مع أبى بكر بن سـعدون وأبى بكر بن اللباد فافتتح بعض القوالين قائلا :

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل   فاذا فعلت فان حبك باطل

فتحرك محمد بن أبى سهل الصوفى حتى استغرقه الحال فما بقى أحد فى المسجد الا بكى لصدقة فى حركته (٤) .

وكان منهم زهرون بن حسنون الجمال ، كان شيخا صالحا متعبدا ناسكا مجتهدا ظهرت له براهين وكرامات وحج أكثر من مرة على طريق

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص‌ص ٣٠٠ — ٣١٥

(٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ص‌ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٠٥ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤١٧ .

الوحدة لايحمل معه زادا وانما يأكل من المناهل ، من أتاه بشيء أكله (١) .

وكان منهم أبو الخير الأقطع التينياتى ، سلك طريق النساك ثم رحل الى المشرق فصحب أبا عبد الله بن الجلاء وغيره من مشايخ الصوفية وكان أوحد فى طريقة التوكل ، سكن التينيات وهى فرضة على ساحل بحر الشام قرب المصيصة فنسب اليها وظهرت له كرامات ، توفى سنة ٣٤١ (٢) .

وكان منهم أبو جعفر أحمد بن خليل العسال امام جامع القيروان ، كان فاضلا ورعا صواما قواما من المتعبدين المتبكين المشهورين بالفضل وأجابة الدعوة وكان ذا سمت ونسك ، توفى سنة ٣٠٨ هـ (٣) .

وكان منهم أيضا أبو لقاسم المغربى تلميذ أبى بكر بن سعدان البغدادى تلميذ الجنيد ، كانت لأبى القاسم المغربى أقوال فى التصوف يعتد بها مثل قوله : التصوف استقامة الأحوال مع لحق (٤) .

وكان منهم أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهرية الأغلبية كان من البدلاء العاملين ينتحل التوكل كثير الحج والأسفار والتغرب عن الأوطان (٥) . كما كان منهم أبو اسحاق الجبنيانى أحد أئمة المغاربة وأحد أبدال أولياء الله الصالحين (٦) كما كان منهم أبو الحسن على ابن أحمد بن زكريا بن الخصيب المعروف بابن ذكرون ، صحب جماعة من النساك وكان صالحا متعبدا ناسكا له تآليف فى الرقائق انتفع به أهل بلدته — طرابلس — وتعلموا منه الفقه ولحديث والنسك ، توفى سنة ٣٧٠ هـ (٧) .

---

(١) المالكى المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨٣ .
(٢) السلمى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٧٠ . وابو نعيم الاصفهانى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٩ . وابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ، ج ٨ ص ٢٠٧ والمالكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٩ .
(٣) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٤) السلمى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٢٠ ، ص ٥١١ .
(٥) ٩ الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥٣ . وعياض : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٣٠ .
(٦) ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٤ .
(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٠٠٣ .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى كان من قرية من قرى القيروان يقال لها كركنت أقام بالحرم مدة وكان شيخه ، صحب آبا على الكاتب وحبيبا المغربى وأبا عمرو للزجاجى والنهرجورى وغيرهم من مشايخ التصوف ، وكان أوحد زمانه فى طريقته وزهده ، ورد نيسابور وتوفى بها سنة ٣٣٧ هـ (١) .

وجملة القول ، ان الزهد قد تصاعد الى التصــوف على الســاحة المغربية ، لكن ظهور آخرهما لم يلغ وجود أولهما وانما تواجد كلاهما معا على الساحة المغربية وتداخلا تداخلا شديدا يجعل من الصعوبة بمكان التفريق بينهما والتمييز بين الزهاد والمتصوفة المغاربة حتى القرن الخامس الهجرى خاصة وأن الفريقين قاما بحركة متشابهة على الساحة المغربيــة ومن ثم التبس الأمر علينا أحيانا فعددنا بعضهم من الزهاد أولا ثم أدرجناه فى المتصوفة دلالة على تداخل الفريقين وتشابههما حتى القرن الخامس الهجرى .

---

(١) السلمى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٧٧ .والقشيرى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٠ . والعمرى : المصدر السابق ، ج ٨ ص ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

الزهاد والمتصوفة
فى بلاد الأندلس

الزهد فى الاندلس :

عرفت نزعة الزهد طريقها الى بلاد الأندلس فى وقت غير بعيد عن ظهورها فى بلاد المغرب كاشفة بذلك عن وجه آخر من أوجه التقـــارب بين مجريات الأمور على العدوتين المغربيـــة والأندلســـية فى تاريخهما الاســـلامى •

ويمكننا أن نرجع ظهور نزعة الزهد فى بلاد الأندلس الى عوامل مشابهة لتلك العوامل التى آدت الى ظهورها فى بلاد المغرب ، فاذا كانت الحركات والنزعات التى شهدتها ساحة المشرق الاسلامى قد تردد صداها فى المغرب الاسلامى فقد كانت العدوة الأندلسية لا تقل فى ذلك عن العدوة المغربية وانما كان الارتباط بينهما قويا حتى أنهما كانتا أشبه بدفتى كتاب واحد يكتمل ما فى واحدة منهما بما فى الأخرى ومن ثم فقد كان لنزعة الزهد فى المشرق الاسلامى صداها فى كل من بلاد المغرب وبلاد الأندلس على السواء ، وكانت العوامل المسببة لظهورها على كل من العـــدوتين متشابهة أحيانا ومتماثلة أحيانا أخرى •

فى ضوء ما تقدم نستطيع أن نرجع ظهور نزعة الزهد فى الأندلس الى العوامل الآتية :

١ ــ وفود الزهاد الى الأندلس :

يشكل قدوم الوافدين الى الأندلس فرادى وجماعات ملمحا أساسيا من ملامح تاريخه الاسلامى ولقد كان لهذا التوافد آثار بارزه فى التاريخ الأندلس ، طيبة حينا وسيئة حينا آخر ، لكنها كانت دوما عميقة ومؤثرة الى الدرجة التى تدعو الى عدم التغافل عنها عند دراسة التاريخ الأندلس وحضارته •

وكان من الوافدين الى الأندلس عدد غير قليل من الزهاد منهم من قدم من المشرق الاسلامى ومنهم من قدم من العدوة المغربية • وكان لهؤلاء الزهاد الوافدين دور هام فى ادخال نزعة الزهد الى الأندلس وتعريف أهل الأندلس بتلك النزعة ونشرها فيهم •

كان من أوائل الزهاد المشارقة الذين وفدوا الى الأندلس النعمان ابن عبد الله بن النعسان الحضرمى الذى وصف بأنه كان صالحا زاهدا كثير الصدق والتصدق حتى أنه كان يتصدق بعطائه كله ، وقد قدم من المشرق الى برقه فسكنها وقتا ثم رحل عنها الى الأندلس للمشاركة فى الجهاد بعد أن رأى فى منامه كأنه يقال له : اختر بين الايمان واليقين فقال : اليقين ودخل بعدها الأندلس ليجاهد هناك ثم قفل منه بخبر فتح هنالك حمله الى سليمان ابن عبد الملك لكنه عاد الى الأندلس مجاهدا حتى استشهد مرابطا فى أقصى الثغور الأندلسية (١) .

وقدم من المشرق الى الأندلس أيضا أبو وهب عبد الرحمن العباسى ، قيل انه كان من بنى العباس لكنه أخفى عن الناس نسبة ، كان منقطع القرين فى الزهد والورع مقبولا لدى الناس منقبضا ، وكان متنفنا فى أطراف من العلوم يبدو لمن لا يعرفه وكأنه مدخول العقل ، توفى بقرطبة سنة ٣٤٤ هـ فى أيام الناصر لدين الله عن تسعين عاما وحضر جنازته حفل عظيم (٢) .

وكان ممن وفد الى الأندلس من الزهاد المغاربة أبو جعفر أحمد ابن خلوف المسيلى الخياط . كان فقيها مالكيا ورعا زاهدا فاضلا ، سكن الثغر أعواما كثيرة مجاهدا وكان مشهورا بالشجاعة وعلا ذكره فى الثغر ، توفى بقرطبة سنة ٣٩٣ هـ (٣) .

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، جـ ٢ ص ١٥٨ / ٢٥٠٠ الضبى : بغية الملتمس ، ص ٤٧٨ .

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ص ٥٨ .

— ينقل عن ابن بشكوال أبياتا لأبى وهب عبد الرحمن العباسى منها :

أنا فى حالتى التى ترانى ... أحسن الناس ان تفكرت حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الـ ... أرض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها ... من مغير ولا ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى ... ثم أثنى اذا انقلبت شمالا
قد تلذذت حقبة بأمور ... فتدبرتها فكانت خيالا

(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٣ .

وقدم الى الأندلس صغيرا مع أبيه ، أبو الفضل أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن التجيبى التاهرتى البزاز ، كان صالحا زاهدا فى الدنيا متقبضا عن الناس مائلا الى الخمول ، توفى سنة ٣٩٥ هـ (١) • وقدم أيضا من المغاربة جساس الزاهد ، كان من أهل سجلماسة وكانت له رحلة الى المشرق ثم دخل الأندلس فكان يروى هناك كتب الزهد مثل كتاب الزهد لبمن بن رزق الذى سمعه البعض منه بمجريط (٢) •

وكان ممن وفد من المغاربة أيضا الى الأندلس أحمد بن حبيب كان من صالحى الأمة وعبادها وزهادها ، ترك التجارة لشىء لم يقبله من شريك له فتبرأ من جميع ما فى يديه وخرج الى الأندلس فقيرا مجاهدا فاشتهر هناك وطار ذكره وسكن الثغر مرابطا حتى توفى قبل الأربعمائة من الهجرة(٣) •

وقدم منهم أيضا الى الأندلس أبو محمد خلف بن على بن ناصر بن منصور البلوى السبتى الزاهد ، كان زاهدا متبتلا سائحا فى الأرض لا يأوى على وطن ، راوية للعلم ضابطا للكتب ، سكن مسجد متعة بقرطبة وتعبد فيه فكان الصلحاء والزهاد يقصدونه ليسمعوا منه ، توفى بالبيرة صدر الفتنة البربرية سنة ٤٠٠ هـ (٤) •

على هذا النحو ، وفد هؤلاء الزهاد وغيرهم الى الأندلس من المشرق وبلاد المغرب الاسلامى ، وكان لهؤلاء الزهاد أثر فعال فى استمالة الأندلسيين الى الزهد بحسن سيرتهم وتعبدهم وجهادهم وروايتهم للعلم وتعليمه فكانت القلوب تميل اليهم ويتأسى الناس بهم وينزعون مثلهم الى الزهد •

٢ — رحلة الأندلسيين الى المشرق الاسلامى ولقاء زهاده :

لم تنقطع رحلة أهل الأندلس الى المشرق الاسلامى بل كانوا يرحلون دوما الى المشرق لأغراض شتى كالحج والزيارة وطلب العلم وجلب الكتب أو يتوجه بعضهم اليه للتجارة • ولا شك أن الرحلة الى المشرق تشكل وجها آخر من أوجه التاريخ الأندلسى التى لا ينبغى التغافل عنها عند دراسة هذا التاريخ لاسيما وأن لها نتائج جد خطيرة على التاريخ الأندلسى سياسية كانت أو حضارية •

---

(١) ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ ائمة الاندلس جـ ١ ص ٨٤ •
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٤ •
(٣) القيروانى : أنموذج الزمان ، ص ١٤١ •
(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٧ •

وكان ممن ارتحل الى المشرق الاسلامى من أهل الأندلس بعض الزهاد الأندلسيين الذين نزعوا الى الزهد قبل رحلتهم الى المشرق أو بعد أوبتهم منه ، وكان منهم من خرج قاصدا لقاء الزهاد المشارقة للتبرك بهم والأخذ عنهم كما كان منهم من التقى بالزهاد عرضا فى طريق رحلته فتأثر بهم وتعلم منهم فلما عاد هؤلاء واولئك الى الأندلس سلكوا فى ذويهم مسلك الزهاد وساروا سيرتهم ونشروا فيهم ما تلقوه عن الزهاد المشارقة مما كان له أثر كبير فى انتشار نزعة الزهد بين أهل الأندلس واقبال كثير منهم على الزهد اقبالا ملحوظا .

كان من أوائل الزهاد الأندلسيين الذين رحلوا الى المشرق — لسبب أو الآخر — زياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بشبطون ، أحد الرواة عن مالك بن أنس وله عنه سماع معروف منسوب اليه يعرف بسماع زياد زهد حتى فى القضاء اذ أراد الأمير هشام الرضا أن يوليه على القضاء فخرج هاربا بنفسه ، وكانت وفاته سنة ٢٠٤ هـ (١) .

وكان ممن رحل الى المشرق عيسى بن دينار ، وصف بأنه من أهل الزهد البائس والدين الكامل ، أدرك فى رحلته أصحاب مالك متوافرين فسمع من ابن القاسم كبيرهم وصحبة وعول عليه ثم انصرف الى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه — فى وقته — أحد فى قرطبة ، كان عالما زاهدا قيل انه أول من علم أهل الأندلس المسائل وكان خيرا فاضلا عابدا ناسكا ورعا مستجاب الدعوة ، اتهم بتحريض العامة على الأمير الحكم بن هشام يوم هيج الربض فهرب واستخفى عن الأنظار حتى أمنه الحكم ، كانت وفاته بطليطلة سنة ٢١٢ هـ (٢) .

وكان ممن رحل الى المشرق عبد الملك بن زونان ، سمع من أشهب ابن عبد العزيز وابن القاسم وابن وهب وغيرهم كان يذهب أولا مذهب الاوزاعى ثم عدل عنه الى مذهب مالك وكان يفتى فى أيام هشام الرضا

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .
والمقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٥٥ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، نشر مكى ص ٢٣١ .
الضبى : المصدر السابق ص ٤٠٢ وابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣١ وابن سعيد : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٤ وابن فرحون : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤ .

مع يحيى بن يحيى الليثى . كان فقيها زاهدا فاضلا يغلب عليـه الزهد .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن حسان ، قرطبى ، مولى للأمير الحكم ابن هشام ، كانت رحلته سنة ١٧٧ هـ فلقى فيها كثير من العلماء وروى عن عبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم لكنه استكثر من الرواية عن أشهب بن عبد العزيز وسمع منه سماعة عن مالك ثم قفل الى الأندلس سنة ٢٠٤ هـ . كان أبو عثمان فقيها مشاورا زاهدا فاضلا ورعا ، توفى سنة ٢٣٦ هـ (١) .

وكان منهم أبو عمرو هارون بن سالم ، قرطبى ، سمع من عيسى ابن دينار ويحيى بن يحيى الليثى وسمع فى رحلته من أشهب بن عبد العزيز وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد ، وصف أبو عمرو بأنه كان منقطع القرين فى الفضل والزهد والعلم مجاب الدعوة ، مات فى الأربعين من عمره سنة ٢٣٨ هـ (٢) .

وكان منهم أبو خالد مالك بن على بن عبد العزيز بن قطن الزاهد ، قرطبى ، سمع فى رحلته من عبد الله بن مسلمه وأصبغ بن الفرج وكان ورعا محتسبا ، توفى سنة ٢٦٨ هـ (٣) .

وكان ممن رحل الى المشرق أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ، قرطبى ، سمع من محمد بن عيسى ويحيى بن يحيى الليثى ورحل الى المشرق فلقى جماعة من أئمة المحدثين ، ملأ الأندلس بعد قفوله حديثا ورواية وكان ورعا فاضلا زاهدا وقيل انه مجاب النعوة ، توفى سنة ٢٧٦ هـ (٤) .

وكان منهم أبو العطاف يعلى بن عبيد الله ، أموى الولاء من أهل سرقسطه ، كان زاهدا فاضلا ، توفى سنة ٢٨٦ هـ (٥) . ورحل أيضا الى المشرق محمد بن عبد الله بن الدفاع الزاهد ، قرطبى ، سمع فى رحلته من

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٢١ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١١٦ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٩١ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢١٠ .

الحارث بن مسكين وغيره ، كان زاهدا فاضلا ، توفى سنة ٢٨١ هـ (١) .

وكان ممن رحل الى المشرق أيضا محمد بن وضاح بن بزيغ ، ثانى اثنين كان لهما فضل نشر الحديث والاسناد فى الأندلس ، هو وبقى ابن مخلد . رحل ابن وضاح الى المشرق رحلتين : أولاهما كانت فى سنة ٢١٨ هـ قبل رحلة بقى بن مخلد ولم يكن الحديث طلبه فى تلك الرحلة وانما كان طلبه الزهد ولقاء العباد . كان ابن وضاح كثير الحكايات عن العباد ورعا فقيرا زاهدا متعففا محتسبا فى نشر علمه ، علم أهل الأندلس العلم والزهد ، توفى سنة ٢٨٧ هـ (٢) .

وكان ممن رحل الى المشرق محمد بن عبد الجبار بن محمد ، قرطبى ، رحل حاجا وكان الغالب عليه الرواية مع الزهد والعبادة وكان عالما بالقراءات ، توفى سنة ٢٩٦ هـ (٣) .

ورحل أيضا الى المشرق يحيى بن زكرياء بن يحيى الثقفى المعروف بابن الشامة من أهل قرطبة ، سمع من ابن وضاح كثيرا ، وسمع بمصر وبمكة ، كان عابدا صواما توفى سنة ٢٩٨ هـ (٤) .

وكان ممن رحل الى المشرق أيضا محمد بن أحمد بن عبد الملك يسمى ابن الزراد ، روى عن محمد بن وضاح كثيرا وصحبه وروى عنه غيره ، كان الزهد وأخبار العباد أغلب عليه من العلم ، توفى سنة ٣٠٥ هـ (٥) .

ورحل أيضا الى المشرق محمد بن فطيس بن واصل الفافقى الالبيرى الزاهد ، روى بالأندلس عن بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهما ، سمع بالمشرق من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى وغيرهما ، وسمع بمكة من مائة شيخ ، كانت الرحلة اليه بأليبرة وبها توفى عن تسعين عاما سنة ٣١٩ هـ (٦) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ٦ .
والمقرى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٧ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥ .
وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٩ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢ .
(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٨٧ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥ .
(٦) الحميدى : المصدر السابق ص ١٣٩ الضبى : المصدر السابق ص ١٢١ والمقرى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

ورحل أيضا الى المشرق أحمد بن محمد بن الرومى ، قرطبى ، سمع من محمد بن وضاح ، لقى فى المشرق ابراهيم بن الجنيد البغدادى الزاهد وسمع منه بعض تصنيفه فى الزهد (١) .

ورحل أيضا الى المشرق محمد بن زكرياء بن محمد بن جعفر ، قرطبى ، سمع من محمد بن وضاح وغيره من شيوخ الأندلس ، رحل سنة ٢٧٤ فسمع بمكة وببغداد . كان ضابطا ثقة زاهدا ورعا صاحب ليل وعبادة ، غزا مع عبد لرحمن بن محمد (الناصر) غزوة وحشمة فمات فيها عند قلهرة ودفن هنالك سنة ٣٢٢ هـ (٢) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو عبد الله محمد بن أصبغ بن لبيب ، من أهل استجه ، سمع بالأندلس وبمكة فلما قفل لزم الزهد والعبادة وكان متفننا فى العلوم بصيرا بالفرض والحساب والنحو والغريب ومعانى الشعر وكان شاعرا يتكلم فى مذاهب العلم الباطنى ، توفى سنة ٣٢٨ هـ (٣) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو محمد وسيم بن سعدون ، طليطلى ، سمع من محمد بن وضاح بقرطبة ، وسمع فى رحلته بمكة وبمصر ، كان موصوفا بالزهد والعبادة وكان فقيه طليطلة فى وقته (٤) .

ورحل أيضا الى المشرق أصبغ بن قاسم بن أصبغ ، استجى ، سمع فى رحلته بمكة وكان منسوبا الى الزهد متحليا بالورع ، توفى سنة ٣٦٣ هـ (٥) ومات فى نفس السنة زاهدا آخر من أهل شذونة يدعى أبو عبد الله محمد بن وضاح وهو غير محمد بن وضاح بن بزيغ ، كانت لأبى عبد الله رحلة الى المشرق وكان رجلا صالحا زاهدا يكتب المصاحف(٦) .

ورحل الى المشرق أيضا أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانه الفزارى الزاهد الليبرى ، كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الصيت فى الزهد ، حج وعنى بالقراءات والتفسير ، توفى سنة ٣٦٦ هـ (٧) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٣ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٨ .
(٤) نفس : المصدر ، جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٨٠ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٣ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٩٠ .

وكان ممن رحل الى المشرق أبو بكر محمد بن اسحاق بن منذر ، كانت رحلته سنة ٣٢٢ هـ فسمع بمكة وبمصر من غير واحد وقفل الى الأندلس فأقبل على الزهد والعبادة والتقشف والبر ، كان يصيد السمك بنهر قرطبة ويبيع صيده فيقتات بجزء ثمنه ويتصدق بفضله حرصا منه على طلب الحلال . قدمه الحكم المستنصر للشورى ثم ولاه المظالم والشرطة ثم ولاه قضاء الجماعة بعد وفاة منذر بن سعيد البلوطى سنة ٣٥٦ هـ ، توفى أبو بكر سنة ٣٦٧ هـ (١) .

ورحل الى المشرق أيضا أبو اسحاق خلصة بن موسى بن عمران الراى الزاهد ، أصله من ربه وسكن قرطبة ، كان زاهدا فاضلا بعيد الاسم فى الخير ، توفى سنة ٣٧٦ هـ (٢) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو أيوب عتاب بن هارون بن عتاب الفقيه الزاهد من أهل شذونة ، كانت رحلته سنة ٢٥١ هـ فسمع بمكة وبمصر ، كان مالكيا حسن النظر قيل انه مجاب الدعوة ، توفى سنة ٣٨١ هـ (٣) .

ورحل الى المشرق أيضا أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسى ، من أهل اشبيلية ، سمع بقرطبة وبالبيرة وبسرقسطة من غير واحد ، كانت رحلته سنة ٣١٩ هـ فأخذ عن كثير بين منهم اسحاق ابن ابراهيم النهرجورى . كان من أهل الخير والفضل والتصاون والانقباض ، له تأليف فى الزهد سماه الاستبصار توفى سنة ٣٧٩ هـ (٤) .

وكان ممن رحل الى المشرق أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم القلعى ، أحد أعلام الزهاد ، كانوا يشبهونه بسفيان الثورى سمع بالشام والعراق ، كان جليلا محدثا زاهدا عالما مجاهدا شجاعا ، عرض الحكم المستنصر عليه القضاء فاستعفى ، توفى سنة ٣٨٣ هـ (٥) .

ورحل الى المشرق أيضا أبو محمد مسلمة بن محمد بن بترى الأيادى ، قرطبى ، كان زاهدا فاضلا مجتهدا ورعا كثير الجهاد ، كانت

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ص ٢١٤ — ٢١٥ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٤٧ .
الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٩١ .
(٣) ابن الفرضى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٠ .
(٤) ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، جـ ١ ص ٨ .
(٥) الضبى : المصدر السابق ص ٣٣٤ . وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٥٢ .

العبادة أملك به وأغلب عليه ، توفى سنة ٣٩١ هـ ودفن بمقبرة الربض وشهد جنازته خلق عظيم (١) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوى المؤدب ، قرطبى ، لزم التأديب بالقرآن ، كان شيخا صالحا زاهدا ، توفى فى سنة ٣٩٢ هـ (٢) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو عبد الله محمد بن سعدون من ساكنى حصن مورة من عمل باجه ، يعرف بابن الزنونى ، كان صالحا فاضلا زاهدا ورعا ، توفى ببطليوس سنة ٣٩٢ هـ (٣) •

وكان ممن رحل الى المشرق أيضا خلف بن القاسم بن سهل الدباغ ، كان حافظا فهما عارفا بالرجال ، حدث حديث مالك وأشياء فى الزهد ، توفى سنة ٣٩٣ هـ (٤) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسى المؤدب المعروف بابن الخلاص من أهل بجانة ، سمع كثيرا بمصر والشام ومكة ، كان زاهدا فاضلا منقبضا توفى سنة ٣٩٤ هـ (٥) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد الأنصارى من أهل ريه ، كانت رحلته سنة ٣٤٣ هـ فحج وتردد هناك ثلاثة أعوام وسمع بمصر كثيرا ثم قفل الى الأندلس فلزم الانقباض والزهد وولى الصلاة فى موضعه مدة طويلة الى أن توفى سنة ٣٩٤ هـ (٦) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيرى ، قرطبى أصله من جيان ، كانت رحلته سنة ٣٥٥ هـ • كان

---

(١) ابن الفراضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٠ •
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٠٤ •
(٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة •
(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٢ ••
(٥) ابن الفرضى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٧ ••
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٢٥ •

صالحا زاهدا منقبضا ثقة فيما رواه ، توفى سنة ٣٩٦ هـ (١) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو محمد حماد بن عمار بن هاشم (٣) يبدو أنه عمر طويلا اذ توفى سنة ٤١٠ هـ (٢) . ورحل أيضا الى المشرق أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن خزرج ، اشبيلى ، كانت رحلته سنة ٤١٠ هـ ، جاور بمكة وأخذ العلم عن جماعة ثم قفل الى الأندلس سنة ٤١٢ هـ . كان من أهل العلم والعمل والزهد فى الدنيا مشاركا فى عدة علوم ، توفى سنة ٤٢١ هـ .

ورحل أيضا الى المشرق أبو محمد حماد بن عمار بن هاشم (٦) الزاهد ، قرطبى ، لقى بالقيروان أبا محمد بن أبى زيد الفقيه ، كان حماد بن عمار صالحا زاهدا ورعا مشهور بالخير والصلاح واجابة الدعوى توفى عن مائة عام سنة ٤٣١ هـ (٤) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان ابن سعيد بن ذونين الصدفى ، طليطلى ، كتب بمدينة الفرج عن أبى عمر أحمد بن خلف الزاهد وغيره رحل مع أبيه الى المشرق سنة ٣٨١ هـ فحج ولقى بمكة أبا القاسم عبيد الله بن محمد السقطى البغدادى . كان أبو محمد بن ذونين خيرا فاضلا زاهدا عابدا مجتهدا دينا متواضعا ورعا سنيا عالما عاملا ويقل انه مجاب الدعوة ، رحل اليه الناس من البلدان ، كانت جل بضاعته قراءة كتب الزهد وروايتها وشىء من كتب الحديث (٥) .

ورحل أيضا الى المشرق أبو محمد عبد الله بن سعيد بن لياج الشنتجيالى ، طال جواره بمكة بعد أن رحل سنة ٣٩١ هـ فسمع بها من أبى القاسم عبيد الله السقطى وغيره . كان أبو محمد بن ليساج خيرا عاملا جوادا زاهدا متبلا منقطعا الى ربه ، يسرد الصوم ولم تكن قرطبة وتوفى سنة ٤٣٦ هـ (٦) .

---

(١) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١٣ ..
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤١٥ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٠٢ .
(٤) نفس : المصدر ، جـ ١ ص ١٥٦ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٤ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٧١ .

ورحل أيضا الى المشرق أبو العاص حكم بن محمد الجذامى المعروف بابن افرانك قرطبى كانت رحلته سنة ٣٨١ هـ فلقى ابا القاسم السقطى وأبا الفضل أحمد بن أبى عمران الهروى ، كان صالحا ثقة صليبا فى السنة متشددا على أهل البدع ، عفيفا ورعا رافضا للدنيا مهينا لأهلها متقبضا عن السلطان توفى سنة ٤٤٧ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة وروءى على نعشه يوم دفن طيورا لم تعهد كانت ترفرف فوقه وتتبع جنازته (١) •

ورحل أيضا الى المشرق أبو عمر أحمد بن محمد بن عمر الصدفى الزاهد ، يعرف بابن أبى جنادة ، طليطلى ، كان من أهل العلم والعمل وترك الدنيا صواما قواما منقبضا عن الناس ملازما لثغور المسلمين توفى سنة ٤٥٠ هـ وحضر جنازته المأمون بن ذى النون (٢) •

٣ — الفتن والثورات التى اندلعت فى الأندلس :

لم تكد رياح الفتح الاسلامى تهدأ وتستقر حتى هبت على الأندلس عواصف الفتن والثورات التى عصفت بذلك الصقع الاسلامى البعيد عن مركز الخلافة سواء كان هذا المركز فى دمشق أو بغداد ، فلم تستطع الحكومة المركزية لتلك الثورات دفعا ولم تتمكن من وقاية الأندلس من هذا الخطر المريع •

لاحت بوادر هذه الفتن مبكرا منـذ مقتل عبد العزيز بن موسى ابن نصير الذى تولى الاندلس اثر عودة أبيه الى المشرق ثم عصفت بالأندلس فى عصر الولاة فتنة مبيرة تعددت محاورها وتنوعت فكانت وقائعها بين العرب والبربر حينا وبين الشاميين والبلديين حينا آخر ثم تمخضت عن قتال بين القيسية والكلبية من العرب أنفسهم • فتداخلت الوقائع والاحداث وتفاقمت الاخطار حتى أوهنت سـواعد المسلمين وأزهقت أرواح الكثيرين منهم وأرغمت بعضهم — خاصة البربر — على الفرار ناكصين الى العـدوة المغربية ليفقد الاسلام ثلث ما فتحه المسلمون من أراضى الاندلس فاستولت عليه شر ذمة متنامية من نصارى الاسبان كانت قد تخلفت عن معارك الفتح وانزوت جانبا فى صخرة قاحلة تدعى صخرة بلاى لكن هذه الشر ذمة انتهزت فرصة انقسام المسلمين

---

(١) ابن بشكوال السابق المصدر ، جـ ١ ص ١٤٩ •

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥٩ •

على أنفسهم فتنامت واستولت على ثلث أراضى الأندلس دون جهد ولا قتال .

واذا كانت هذه الفتنة الأندلسية فى عصر الولاة قد يسرت السبيل أمام عبد الرحمن الداخل ليقيم امارة أموية فى قرطبة ، فان هذه الامارة الأموية لم تجعل بلاد الأندلس بمنأى عن الحروب وويلاتها ولا بمنجاة من الفتن والثورات وخرابها وانما أوجدت للفتن والثورات والحروب المترتبة عليها دواعى جديدة وأسباب أخر فاستمرت الثورات والحروب تفرض وجودها على الساحة الاندلسية من فتنة لاخرى طيلة عصر الامارة الأموية فى الأندلس فاستنفذت الحروب والثورات كثيرا من طاقات مسلمى الأندلس وأوهنت قواهم بل لم ينته عصر الامارة الأموية الا بعد أن عصفت بالاندلس فتنة ثانية مبيرة أهلكت الزرع والضرع وأزهقت النفوس وأضعفت شوكة المسلمين أمام نصارى الأسبان ، فلما أعلنت الخلافة الأندلسية تعبيرا عن توطد السلطان لعبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر ، لم يكد الاندلس ينعم بعدهما بالاستقرار حتى عادت القلاقل سيرتها الاولى وأطلت الفتنة والحروب برأسها من جديد وجاءت الفتنة هذه المرة أكبر من سابقاتها لتعصف بالحكومة المركزية فى الاندلس وتمزق الأندلس أشلاء صغيرة عرفت باسم ممالك الطوائف التى كانت جولات المنازعات والحروب بينها أطول بكثير من لحظات الوفاق العابرة ممهدة بذلك الطريق الذى سار المسلمون عليه للخروج نهائيا من الأندلس .

كان من الطبيعى أن تحز هذه الفتن والحروب فى نفوس الكثير من أهل الاندلس فهانت الدنيا فى أعينهم وجنحوا الى الزهد كرد فعل لنزعة التكالب على الدنيا والتقاتل من أجل عرضها وزخرفها فعلى سبيل المثال ، كان أبو عمر يوسف بن نصر الأزدى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ استجى الأصل لكنه تحول عن استجه زمن الفتنة فيها الى قرطبة صغيرا بعد أن قتل أبوه نصر فى تلك الفتنة التى نشبت باستجة بين المولدين والعرب فعاش يوسف فى قرطبة زاهدا لا يتلبس بشىء من الدنيا طويل الصمت تغلب عليه العبادة (١) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٤ .

وكان أبو محمد خلف بن على بن ناصر بن منصور البلوى السبتى الزاهد سائحا فى الأرض ثم سكن مسجد متعة بقرطبة وتعبد فيه وقصده الصلحاء والزهاد فلما اندلعت الفتنة البربرية أواخر عصر الخلافة خرج أبو محمد فارا منها فتوفى بالبيرة سنة ٤٠٠ هـ (١) .

وكان أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعى من أهل قرطبة . فقيها زاهدا مجاب الدعوة لكنه امتحن فى الفتنة البربرية على يد البربر حين تغلبهم على قرطبة محنة أودت بحياته سنة ٤١٣ هـ .

وأدى تمزق الأندلس الى ما يسمى بممالك الطوائف الى زهادة أهل الأندلس فى البقاء فيه وصاح شاعرهم ينشد قائلا :

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وتجاوبت الصيحة فى أرجاء الأندلس تدعو أهله للخروج منه خاصة بعد سقوط طليطلة فى أيدى نصارى الأسبان وأظهر الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله العسال — زاهد طليطلة المشهور بالكرامات واجابة الدعوة والمتوفى سنة ٤١٧ هـ — وعيا واضحا بخطورة ما آل اليه الوضع السىء للمسلمين بعد سقوط طليطلة فأنشد يقول :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ... ثوب الجزيرة منسولا من الوسط (٢)

وهكذا كانت الفتن والثورات والحروب وما نتج عنها من ويلات عاملا من عوامل ظهور نزعة الزهد فى بلاد الأندلس ، ذلك الزهد الذى لم يقتصر على بغض الدنيا والتقلل من أسبابها وانما امتد أيضا الى نوع آخر من الزهد هو الزهد فى البقاء بالأندلس والدعوة الى الخروج منه والرحيل عنه خشية الوقوع فى أيدى نصارى الاسبان .

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٧ .

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ص ٢١ . ورايات المبرزين وغايات المميزين ص ٨١ .

٤ ــ مالكية اكثر زهاد الأندلس :

بات المذهب المالكي أكثر المذاهب الفقهية السنية انتشارا في الأندلس منذ عصر الامارة ولم يكن ذلك راجع فقط الى أن مالك كان امام دار الهجرة يتطلع اليه أهل الأندلس ويعظمونه تعظيما للبلد الذى يسكنه والذى يفد اليه أهل الأندلس ويعظمونه تعظيما للبلد الذى يسكنه والذى يفد اليه الحجيج منهم كل عام وانما كان أهل الأندلس يميلون أيضا ميلا تلقائيا نحو مذهب مالك لأن تعاليمه الحازمة كانت مبتغى أهل الأندلس وتتلاءم مع تطلعاتهم فى مذهب حاسم حازم بعد أن عانوا من الخلافات والفتن فضلا عن أن أخلاق مالك وشمائله التى بثها فى تلاميذه والتزموا بها جعلت للمالكية مكانة مرموقة وسلطانا روحيا على نفوس الأندلسيين كان الأمويون فى حاجة الى الاستناد اليه كسند شرعى يدعم سلطانهم السياسى كامارة خارجة على الخلافة العباسية التى كانت تمثل وقتذاك الخلافة الاسلامية العامة ، ساعد على ذلك أن الامام مالك لم يكن على ود مع العباسيين ولم يتول لهم وظيفة بل أفتى لصالح ذى النفس الذكية العلوى وأثنى على هشام الرضا بن عبد الرحمن بن معاوية الأموى الذى طابت نفسه لهذا الثناء فرفع من قدر فقهاء المالكية ووقرهم وأغدق عليهم العطايا مما أدى الى تأييد متبادل بين الامارة الأموية فى قرطبة والفقهاء المالكية فى الأندلس تأييد لم ينل منه كثيرا هيج الربض العارض اذ سرعان ما تقارب الأمراء الأمويون والفقهاء المالكيون من جديد حتى أصبح ما بينهم من تقارب أشبه بتحالف غير مكتوب على التأييد المتبادل بين الأمراء الأموية والفقهاء المالكية ، يعلى كل منهما شأن الآخر ويعز جاهه عند العامة فوصل شأن الفقهاء الى أن تكونت من كبارهم جماعة رسمية سميت جماعة الفقهاء المشاورين وعرف رئيسها باسم رأس الفتيا أو رئيس البلد أو شيخ المسلمين، وكان معظم هؤلاء الفقهاء المشاورين من المالكية حتى توهم البعض أن أمراء الأندلس الأمويين قد اتخذوا المالكية مذهبا رسميا لدولتهم (١) .

كان نفوذ جماعة الفقهاء المشاورين عظيما تصعب معارضته يتبين ذلك ــ على سبيل المثال ــ من موقفهم من القاضى يحيى بن معمر الالهانى الذى كان فقيه اشبيلية فى وقته ، ورعا زاهدا فاضلا اذا أشكل عليه أمر من أحكامه لا يأخذ فيه برأى فقهاء قرطبة وانما يكتب فيه الى أصبغ بن الفرج بمصر ونظرائه من المصريين طالبا الرأى فكان فقهاء قرطبة يسخطون عليه

(١) حسين مؤنس : شيوخ العصر ، ص ٢٦ ــ ٣٥ .

لذلك فيذمونه ويتبعون عثراته ويبغضونه الى الناس ، وكان أشـدهم عليه زعيم الجماعة يحيى بن يحيى الليثى الذى ظل يسـعى فى تجريح يحيى بن معمر الالهانى حتى عزل عن القضاء (١) .

كان اعتراض شيوخ المالكية — لو حدث — عقبة كؤود فى طريق انتشار نزعة الزهد اذا ذم هؤلاء الشيوخ تلك النزعة وحملوا على أهلها ، لكن ذلك لم يحدث لأن أغلبية الزهاد فى الأندلس كانوا من المالكية ، بل كان بعضهم من كبار فقهائها ، فعلى سبيل المثال كان زياد شيطون الزاهد من كبار فقهاء المالكية فى الأندلس فهو واحد من أهم الرواة عن مالك وله عنه سماع معروف بسماع زياد (٢) وكان عيسى بن دينار الغافقى زاهدا ومن كبار فقهاء المالكية تدور عليه الفتيا فى وقته لا يتقدمه أحد فيها (٣) وكان سعيد بن حسان زاهدا ومن كبار فقهاء المالكية أيضا وكان فى وقته مشاورا مع الشيخ يحيى بن يحيى الليثى وعبد الملك بن حبيب وقاسم بن هلال حتى توفى سنة ٢٣٦ هـ (٤) وكان هارون بن سالم زاهدا ومالكيا منقطع القرين فى الزهد وفى العلم ، توفى سنة ٢٣٨ هـ (٥) وكان أبو خالد مالك بن على بن مالك زاهدا ومالكيا له مختصر فى الفقه على مذهب مالك ، توفى سنة ٢٦٨ هـ (٦) وكان يحيى بن قاسم بن هلال زاهدا ومالكيا توفى سنة ٢٧٢ هـ (٧) وكان أحمد بن قزلمان المؤدب زاهدا وحافظا للفقه على مذهب مالك ، توفى سنة ٣٧٧ هـ (٨) وكان أبو أيوب عتاب ابن هارون زاهدا وحافظا للرأى على مذهب مالك ، توفى سنة ٣٨١ هـ (٩) وكان أحمد بن خلوف المسيلى زاهدا وعالما بالمسائل حافظا لها على مذهب مالك ، توفى سنة ٣٩٣ هـ (١٠) .

---

(١) ابن حيان : المقيس ، نشر مكى ، ص ١٩٠ .
(٢) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٣١ والحميدى : المصدر السابق ص ٤٧٢ . وابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ص ٢٤ وابن فرحون : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤ .
(٣) ابن الفرضى ، المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٤ .
(٤) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٢٠ .
(٥) نفس المصدر ص ٢٢١ .
(٦) الحميدى : المصدر السابق ص ٥٥٢ .
(٧) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٣ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥٣ .
(٩) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٠٠ .

ويمدنا ابن فرحون فى ديباجة وابن عياض فى مداركة بقائمة طويلة من علماء المذهب المالكى فى الأندلس نزعوا الى الزهد واتصفوا به ولقبوا بالزهاد منهم — على سبيل المثال — ابراهيم بن محمد باز المعروف بابن القزاز المتوفى بطلبطلة سنة ٢٧٤ هـ (١) وعبد الملك بن الحسن بن زريق المعروف بزونان ، تحول عن مذهب الاوزاعى الى مذهب مالك وتوفى سنة ٢٣٢ هـ (٢) وقاسم بن ثابت بن حزم القلعى المتوفى سنة ٣٠٢ هـ (٣) وأحمد بن خالد بن يزيد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (٤) وأبو بكر بن محمد بن اللباد المتوفى سنة ٣٣٣ هـ (٥) واسحاق بن ابراهيم بن مسرة المتوفى سنة ٣٥٢ هـ (٦) ومحمد بن اسحاق بن منذر بن السليم المتوفى سنة ٣٦٧ هـ (٧) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زمنين الاليبرى الزاهد المالكى المتوفى سنة ٣٩٩ هـ (٨) وأبو بكر محمد التجيبى الحصار جد القاضى أبى الوليد الباجى لأمة ، توفى سنة ٤٠٦ هـ (٩) .

هؤلاء وغيرهم كثيرون كانوا يتخذون الزهد نزعة والمالكية مذهبا فجمعوا بين الزهد والمالكية وجنبوا الزهد معارضة شيوخ المالكية وكبار فقهائها فى الأندلس مما أفسح الطريق أمام الزهد لينتشر فى الأندلس دون معارضة تذكر فكان لموقف المالكية الموافق ونزوع رجالها الى الزهد أثر كبير فى تقبل أهل الأندلس لتلك النزعة واقبالهم عليها .

٥ — حركة الزهاد فى المجتمع الأندلسى :

لم يكن الزهد فى الأندلس نزعة سلبية تقوم على اعتزال الناس واجتنابهم وعدم الاكتراث بأمورهم ولكن الزهد فى الأندلس كان نزعة ايجابية نشيطة وفعالة فى المجتمع الأندلسى يهتم الزهاد من خلالها بشئون هذا المجتمع ويسهمون فى حركته الحياتية ويعنون بشئون أفراده وبحياتهم وأحوالهم فكانوا يعلمون أهل الأندلس أمور دينهم ويفقهونهم فى علوم

---

(١) ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٠ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٩ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٤٧ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥٩ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٩٦ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٩٦ .
(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢١٤ .
(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٣٢ ..
(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٣٤ .

الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر بعد أن يسلكوا هم أنفسهم الطريق القويم فيتخذهم الناس أسوة حسنة يتأسون بها وكان من الزهاد من لا تأخذه فى الله لومة لائم ويتصدى لمظالم الحكام دافعا آذاهم عن الناس ، وكان من الزهاد من يشارك فى الجهاد فى سبيل الله مدافعا عن المسلمين مرابطا فى الثغور والمحارس الأندلسية أو غازيا فى الحملات المتوجهة لغزو نصارى الأسبان ومدافعتهم عن دار الاسلام .

كان لهذه الحركة النشيطة للزهاد فى المجتمع الأندلسى جميل الأثر فى نفوس أهل الأندلس فيميلون الى الزهد ويجلون الزهاد ولدينا أمثلة كثيرة عن تنوع حركة الزهاد الايجابية فى المجتمع الأندلسى ، فعلى سبيل المثال كان عيسى بن دينار واحد من الذين انتقدوا سلوك الحكم الربضى وحرضوا عليه العامة يوم هيج الربض المشهور (١) ، وكان أبو العجنس الزاهد لا يأبه كثيرا بالحكام ، مر عليه الحكم الربضى ذات يوم وهو على سقف له يبنيه فسلم عليه الحكم وأشار اليه بالخيزران فرد عليه أبو العجنس السلام من موضعه وأشار اليه بالأطرله فكلم فى ذلك أبو العجنس فقال : أشار الى بالخيزران فأشرت اليه بالأطرلة (٢) وكان أبو ابراهيم اسحاق بن مسرة الزاهد قليل الهيبة للسلطان متصرفا مع الحق حيثما تصرف لا تأخذه فى الله لومة لائم فعظمة الحكم المستنصر (٣) .

وكان كثير من الزهاد يحرصون على المشاركة فى الجهاد بل كان منهم من يفضل الجهاد على عرض الدنيا وسلطانها منهم — على سبيل المثال — عباس بن رفاعه بن الحارث المذحجى من أهل ريه ، أراد الحكم الربضى أن يوليه قضاء الجماعة بقرطبة ففر منه ولحق بالثغر مجاهدا (٤) وكان النعمان ابن عبد الله الحضرمى من الزهاد المجاهدين استشهد فى أقصى ثغور الأندلس (٥) . وكان نعم الخلف بن أبى الخصيب الزاهد التطيلى محاربا كثير الرباط والغزو ، استشهد فى رمضان سنة ٢٩٨ هـ (٦) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٠٨ .
(٣) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٨ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٥) الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٧٨ .
(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٩ .

وكان محمد بن زكرياء الزاهد من المجاهــدين ، غزا مع الخليفة عبد الرحمن الناصر غزاة وحشمة وفيها توفى بمحلة قلهرة سنة ٣٢٢ هـ (١) . وكان أبو الحكم مخارق المعافرى الزاهد مجاهدا ، خرج للجهاد فى غزوة قلنبرية الأخيرة فاستشهد فى المعركة سنة ٣٧٧ هـ (٢) . وكان أبو محمد عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم الثغرى القلعى الزاهد يلزم الجهاد والعبادة لا يخشى السلطان ولا يخاف فى الله لومة لائم من الرجال الزهاد الذين لا نظير لهم فى لبأس ولرجولية ، مشهور البسالة مذكور الشجاعة وكانت الرحلة اليه من جميع نواحى الثغر ، توفى بقلعة أيوب سنة ٣٨٣ هـ (٣) . وكان أحمد بن خلوف المسيلى الزاهد مجاهدا سكن الثغر أعواما كثيرة وشهر فيه وعلا ذكره هناك منسوبا الى البأس والنجدة ، توفى سنة ٣٩٣ هـ (٤) وكان أبو عثمان سعيد بن موسى الغسانى زاهدا من البيرة ، أقام للرباط بتطيلة مكثرا من الجهاد حتى استشهد بمعترأ الماشه سنة ٣٩٣ هـ (٥) . وكان أبو حبيب عبد الرحمن بن حبيب من الزهاد المجاهدين دخل الاندلس مجاهدا فسكن الثغر مرابطا وشهر فيه حتى توفى قبيل الأربعماءة (٦) . وكان ابن أبى اجناده أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر الصدفى من الزهاد المرابطين بثغور المســلمين بالأندلس حتى توفى سنة ٤٥٠ هـ (٧) .

ومن الزهاد من تولى القضاء فأحسن السيرة فيه مثل القاضى مسرور ابن محمد بن سعيد بشير ، ولاه عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة بقرطبة فكان صالحا زاهدا يحمل خبزه الى الفرن بنفسه (٨) وكان القاضى يحيى بن معمر الالهانى ورعا زاهدا فاضلا عفيفا (٩) . وكان القاضى وهب الله بن حسين زاهدا ، تولى قضاء الجزيرة وشذونه أيام الأمير

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٣ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٥١ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٤٤ والضبى . المصدر السابق ، ص ٣٣٤ . وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤٧ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٣ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٧٦ .
(٦) القيروانى : أنموذج الزمان ، ص ١٤١ .
(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٩ .
(٨) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(٩) نفس المصدر ، ص ١٩٠ .

محمد بن عبد الرحمن (١) ، وتولى أبو بكر محمد بن اسحاق بن السليم الزاهد قضاء الجماعة للحكم المستنصر بعد وفاة القاضى منذر بن سعيد البلوطى سنة ٣٥٦ هـ (٢) وتولى خلف بن سليمان الأوريوالى الزاهد قضاء شاطبة ثم دانية ثم استعفى ولزم الانقباض حتى توفى سنة ٥٠٥ هـ (٣) . وقد أحسن هؤلاء القضاة الزهاد السيرة فى قضائهم وتوخوا العدل فى أحكامهم مما استمال اليهم كثير من الناس فنهجوا نهجم فى النزوع الى الزهد .

واذا كان بعض الزهاد ممن ذكرنا — وغيرهم — قد تولى القضاء فقد استعفى زهاد آخرون من توليته خوفا على دينهم من عرض الدنيا منهم — على سبيل المثال — زياد شبطون الذى أراد هشام الرضا ابن عبد الرحمن أن يوليه القضاء ففر هاربا بنفسه (٤) ومنهم عيسى ابن رفاعة الزاهد أراد الحكم بن هشام أن يوليه قضاء الجماعة ففر الى الثغر الأعلى (٥) وأبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم الزاهد الناسك الورع ، سأله الأمير أن يلى القضاء فامتنع وتوفى سنة ٣٠٢ هـ (٦) وحماد بن عمار بن هاشم الزاهد القرطبى المتوفى سنة ٤٣١ هـ عن مائة عام ، دعاه على بن حمود الحسنى الى تولى قضاء قرطبة فصرف الرسول على عقبيه وانتهزه (٧) .

واذا كان بعض الناس قد أعجبوا بحسن سيرة القضاة الزهاد فقد كان منهم آخرون يسترق قلوبهم اعراض بعض الزهاد عن القضاء خوفا على دينهم من عرض الدنيا فكان لهذا وذاك أثره فى استمالة أهل الأندلس الى الزهد .

ومن جوانب حركة الزهاد فى المجتمع الأندلسى تولى بعضهم أمامة الصلاة فى مواضعهم منهم — على سبيل المثال — عثمان بن سعيد

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٦٨ .
(٢) ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٦ .
(٣) الضبى : المصدر السابق ص ٢٨٤ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٤ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٩٧ .
(٦) ابن فرحون : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٧ .
(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٦ .

ابن كليب الالبيرى الزاهد المتوفى سنة ٣٤١ هـ ، ولى الصلاة بحاجزة البيرة (١) وأبو عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم الأزدى ، قرطبى ، يعرف بابن المشاط ، كان زاهدا ورعا ولى الصلاة بقرطبة بعد محمد بن عبد الله بن أبى عيسى الى أن توفى سنة ٣٥٢ هـ (٢) وأصبغ ابن قاسم بن أصبغ الزاهد ، استجى ولى الصلاة باستجة وأحكام قضائها الى أن توفى سنة ٣٦٣ هـ (٣) وأحمد بن عبد السلام بن زياد اللخمى من أهل ريه ، كان عالما فاضلا ذا عفاف وزهد ، ولى الصلاة بموضعه حتى توفى بعد سنة ٣٧٠ هـ (٤) وأحمد بن عبد الله القينى من أهل ريه ، كان فقيها عالما زاهدا منقبضا كثير التلاوة والذكر حافظا للمسائل بصيرا بالفرائض ، وولى الصلاة بموضعه (٥) وخلف بن سعيد ابن محمد بن خير الزاهد من أهل طليطلة ، سكن قرطبة ، كان صالحا ورعا متقللا من الدنيا وكان صاحب صلاة الفريضة بالمسجد الجامع بقرطبة ، توفى سنة ٥١٥ هـ ودفن بالربض فى جنازة احتشد لها الناس وبلغ من كثرتهم أنهم ما انصرفوا عنها الا مع المغرب (٦) .

وكان من جوانب حركة الزهاد فى المجتمع الأندلسى اهتمام الكثير منهم بالعلوم الدينية وقيامهم بتدريسها فكان للكثير منهم حلقات تدريس ومجالس علم يؤمها الطلاب ويفد اليها الناس من أنحاء شتى للسماع عليهم والتلقى عنهم ، فعلى سبيل المثال ، كان زياد شبطون من أوائل من أدخلوا فقه مالك الى الأندلس وكان عيسى بن دينار فقيها عالما زاهدا يرى محمد بن وضاح الزاهد أنه هو الذى علم أهل الأندلس الفقه (٧) . وكان بقى بن مخلد زاهدا من حفاظ المحدثين وأئمة الدين ، ملأ الأندلس علما وألف كتبا حسانا منها كتابه فى التفسير الذى يعده ابن بشكوال أحسن التفاسير على الاطلاق ويراه أفضل من تفسير الطبرى ومنها

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
وابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٥ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٤ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٨٠ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٨٠ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٥٢ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤١ .
(٦) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٦ .
(٧) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

مصنفه الكبير فى الحديث وغير ذلك من مصنفات ، وقد أصبحت الأندلس على يده — ويد محمد بن وضاح بن بزيغ — دار حديث بعد أن كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه (١) لذلك يرى الدكتور مؤنس أن بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح أحدثا فى الأندلس انقلابا حاسما فى الفقه أدى الى ظهور جماعة من الشيوخ لا يقتصرون على فقه مالك وتلاميذه وانما تربوا فى مدرسة الحديث وتميزوا بالعلم الواسع (٢) .

وكان أبو عبد الله محمد بن فطيس القافقى الالبيرى الزاهد عالم البيرة فى وقته ، اليه كانت الرحلة حتى توفى سنة ٣١٩ هـ (٣) . وكان محمد بن أحمد بن يحيى الزهرى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ معلم كتاب يجتمع اليه أهل الاحتساب والمعلمون ليقرأوا عليه (٤) وكان عبد الرحمن بن عيسى ابن محمد بن دراج من أهل طليطلة ، واليه كانت الرحلة فى طلب الحديث وكتب الناس عنه كثيرا حتى توفى سنة ٣٦٣ هـ (٥) . وسمع الناس كثيرا من أبى عمر أحمد بن خلف بن محمد بن قزتون المديونى الزاهد الراوية الثقة المتوفى سنة ٣٧٧ هـ (٦) .

وكان لأبى عمر أحمد بن عبد الرحمن العبسى الاشبيلى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ تأليفا فى الفقه أسماه الاقتضاء وآخر فى الزهد أسماه الاستبصار (٧) . وكان أبو أيوب عتاب بن هارون بن عتاب الزاهد يلقى دروس العلم بشذونه وقد رحل اليه ابن الفرضى صاحب كتاب علماء الأندلس وقرأ عليه كثيرا وأجاز له ما سمعه عليه ، وقد توفى أبو أيوب سنة ٣٨١ هـ (٨) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٣ .
والحميرى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٤ . وابن بشكوال : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٦ .

(٢) شيوخ العصر فى الاندلس ، ص ٣٦ .

(٣) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٣ .

(٦) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦ .

(٧) نفس : المصدر ، جـ ١ ص ٧ .

(٨) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٠ .

وكان أبو القاسم سهل بن ابراهيم بن سهل بن الغطار من أهل أستجه، كان عالما محدثا زاهدا ، سمع الناس منه وطال عمره حتى ساوى الصغار فيه الكبار وكان ممن قرأ عليه ابن الفرضى ، وتوفى أبو القاسم سنة ٣٨٧ هـ (١) .

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسى المعروف بابن الخلاص الزاهد من أهل بجانه وسمع منه غير واحد ، توفى سنة ٣٩٤ هـ (٢) .
وتوفى سنة ٣٩٧ هـ (٣) .

وتوفى فى نفس العام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد الأنصارى الزاهد بمدينة ريه ، حدث وسمع منه كثير من الناس وأجاز لابن الفرضى جميع رواياته (٤) . وكان أبو عثمان سعيد بن محمد الكلبى الزاهد الاشبيلى واسع الرواية كثير العناية بالعلم ، روى الناس عنه كثيرا باشبيلية وتوفى سنة ٣٩٧ هـ (٥) .

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زمنين الاليسرى الزاهد المتوفى سنة ٣٩٩ هـ من كبار المحدثين والعلماء الراسخين ، أجل أهل وقته بالأندلس قدرا فى العلم والرواية والحفظ للرأى ، متفننا فى الآداب قارضا للشعر له تواليف عديدة متداولة فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين وأشعار كثيرة ، من كتبه كتاب فى الشروط على مذهب مالك بن أنس ، وكتاب حياة القلوب فى الرقائق والزهد ، وكتاب آنس المريدين فى الزهد والمواعظ المنظومة فى الزهد ، وكانت اليه الرحلة الى البيرة (٦) .

وكان أبو محمد خلف بن على بن ناصر بن منصور السبتى الزاهد يسكن مسجد متعة بقرطبة يقصده فيه الصلحاء والزهاد وسمع منه جماعة من علماء قرطبة وغيرها وكانت وفاته سنة ٤٠٠ هـ (٧) .

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩١ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٠٧ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٠٨ .
(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٤ .
(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
(٦) وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣٢ .
(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٧ .

وكان أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين زاهدا طليطليا مشهورا بالعلم والعمل ، قرأت عليه كتب الزهد والرقائق ووعظ الناس بها وكان الناس يرحلون اليه بطليطلة لسعة روايته ، توفى سنة ٤٠٣ (١) .

وكان أبو محمد عبد الله بن أبى المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن ذنين لا يقل شهرة بطليطلة عن أبيه ، كان خيرا فاضلا زاهدا عابدا مجتهدا دنيا ورعا عالما عاملا ، قيل انه مجاب الدعوة ، رحل اليه بطليطلة الناس من مختلف البلدان وكانوا يتبركون بلقائه ويقرأون عليه كتب الزهد التى كانت جل بضاعته وشيء من كتب الحديث ، توفى سنة ٤٢٤ هـ فازدحم الناس لجنازته فما رئى على جنازة بطليطلة ازدحاما مثل ازدحام الناس عليه (٢) .

وكان الناس يقصدون أبا القاسم خلف بن محمد الأنصارى السراج الزاهد بقرطبة يتبركون بدعائه ولقائه ويسمعون منه بعض كتب الزهد ، توفى سنة ٥٠٠ هـ (٣) .

وكان حسين بن محمد بن حيون الصدفى المعروف بابن سكرة امام محدث زاهد كثير الرواية ، لم يكن بشرق الأندلس فى وقته أحد مثله فى تقييد الحديث وضبطه والعلو فى روايته سمع منه الكثيرون ، توفى سنة ٥١٤ هـ (٤) .

لقد كانت حركة الزهاد فى المجتمع الأندلسى متعددة الجوانب ، وكانت حركتهم ايجابية تتصل بحركة المجتمع وتتفاعل معها فهى حركة نشيطة مثمرة أفادت أهل الأندلس واستمالتهم وجعلتهم يفسحون صدورهم للزهد والزهاد مما كان له أثره ليس فى ظهور نزعة الزهد فى الأندلس فحسب بل وذيوعها أيضا هناك .

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١٣ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٤ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٧٥ .
(٤) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

مما تقدم يتضح لنا أن عوامل ظهور نزعة الزهد فى بلاد الأندلس شبيهة بالعوامل التى أدت الى ظهور تلك النزعة فى بلاد المغرب لتبين — بشكل أو بآخر — وجها من أوجه الوحدة التاريخية للعدوتين الأندلسية والمغربية خلال تاريخهما الاسلامى ولتؤكد على أن هذه الوحدة — أو على الأقل التقارب — لم تكن فى الجانب السياسى وحدة وانما كانت أيضا فى الجوانب الحضارية والثقافية وليس أدل على ارتباطهما الثقافى حينذاك من وجدتهما المذهبية المتمثلة فى غلبة المذهب المالكى على أهلهما من ناحية ، ومن ناحية أخرى انتشار الزهد والزهاد فى العدوتين ، غير أنه من الملاحظ وجود بعض الفوارق البسيطة فى موقف أهل الأندلس من الزهاد عن موقف أهل المغرب منهم ينبغى علينا ابرازها .

فلعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا ان أهل الأندلس كانوا لا يرتقون فى تقديرهم لزهادهم الى مستوى تقدير أهل المغرب لزهادهم ، فقد كان أهل المغرب أميل الى تبجيل زهادهم الى حد التقديس واضفاء صفات الولاية عليهم ونسب الكرامات اليهم وجعلوا القول بالكرامات — أحيانا — شرطا للانتساب الى مذهب المدنيين ، قال أبو عبد الله محمد بن الفتح المرجى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ « من أنكر الكرامات فليس من أهل المدينة .. وما أدركت أحدا أقتدى به فى دينى بالمشرق ولا بالمغرب الا وهو يقول بالكرامات ويتزين يذكرها فى كل الأوقات » (١) .

والمتصفح لتراجم الزهاد فى كتب التراجم المغربية — كطبقات أبى العرب ورياض النفوس للمالكى ومعالم الايمان للدباغ وغيرها — يتبين له بوضوح أن المغاربة كانوا لا يتشككون فى ولاية الكثير من زهادهم ولا كرامات العديد من أوليائهم وانما — على العكس من ذلك — يؤكدونها ويجزمون بها ، فعلى سبيل المثال تظهر نبرة الجزم فى عبارة المالكى « ظهرت له براهين وكرامات » التى ينسب فيها الكرامات الى عمرون الأسود الحامى المتعبد بحصن الحامة (٢) وتظهر أيضا فى قول الدباغ عن دمنة القيروان « كان بهذه الدمنة خمسة عشر رجلا كلهم مستجاب الدعوة منهم ابراهيم بن المضاء له كرامات واجابات وكان يستسقى به الغيث » (٣) وتتكرر عند أبى العرب عبارة « لا يشك فى أنه مستجاب » مثلما قال عن

---

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ٢ ص ٣١٢ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٧٧ .
(٣) معالم الايمان ، جـ ٢ ص ١٧٤ .

أبى زياد رباح بن زياد اللخمى (١) والبهلول بن راشد (٢) . ولم تتوقف الكرامات التى أضفاها أهل المغرب على زهادهم عند حد اجابة الدعوة أو أن يستسقى بهم الغيث ، وانما نسبوا اليهم ما هو أكبر من ذلك بكثير كمشى بعضهم فوق الماء (٣) أو التحدث مع الخضر (٤) أو تحويل أحدهم الماء الى لبن ثم اعادته ماء مرة أخرى (٥) . وغير ذلك من خوارق تعج بها كتب التراجم المغربية .

لكن تقدير أهل الأندلس لزهادهم لم يرق الى هذا المستوى ، فمع أنهم كانوا يبجلون زهادهم ويتبركون ببعضهم فانه من النادر أن نجدهم ينسبون اليهم شيئا من الكرامات أو الاتيان ببعض الخوارق ، يظهر ذلك جليا فى تراجم الزهاد الأندلسيين التى اشتملت عليها كتب التراجم الأندلسية فأقصى ما أثبتته هذه التراجم لبعض الزهاد الأندلسيين أنهم كانوا مستجابو الدعوة بل ان ذلك لم يجزم به الا للقلة منهم ، فلا نجد ابن الفوضى — على سبيل المثال — يتعدى قوله فى أغلب الأحيان عبارة « كان يقال انه مجاب الدعوة » (٦) ولم يذهب ابن حيان الى أبعد من ذلك كثيرا ، من ذلك . قوله عن معاذ بن عثمان الشعبانى « كانوا يعدونه مجاب الدعوة » (٧) . وقد ردد ابن بشكوال أيضا عبارة « يقال انه كان مجاب الدعوة » (٨) وقد يصعد بها فى بعض الأحيان الى مستوى الترجيح مثل قوله « يشار اليه بالصلاح واجابة الدعوة » (٩) لكنه لم يتعد ذلك بأى حال من الأحوال .

وهكذا لم ينسب أحد من أهل الأندلس الى الزهاد الأندلسيين — حتى القرن الخامس الهجرى — شيئا من الخوارق أو الكرامات

---

(١) طبقات علماء افريقية ص ١١٨ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٦ .
(٣) المالكى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٦١ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٠٥ .
(٥) تاريخ علماء الاندلس ج ١ ص ١٩٣ ، ج ١ ص ٣٠٠ ، ج ٢ ص ١٦٨ .
(٦) المقتبس ، نشر مكى ، ص ٢٢٠ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٦٤ .
(٨) الصلة ، ج ١ ص ٢٦٤ .
(٩) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥٦ ، ص ١٧٦ .

ولم تسجل كتاب التراجم الأندلسية شيئا من هذا القبيل الا فى النادر ، ولعل من الاشارات النادرة التى وردت عن الكرامات فى تراجم بعض الزهاد الأندلسيين ما ورد عند ابن بشكوال عن ابراهيم بن محمد ابن شنظير الأموى الطليطلى أنه « كان يسمع كتب الزهد والكرامات »(١) فسماع حكاوى الكرامات — وليس ادعاء الاتيان بها — هو أقصى ما نسبه ابن بشكوال لزاهد شهير بارز كابن شنظير ، وعلى هذا النحو كانت نظرة أهل الأندلس الى زهادهم ولا بد أن لذلك أسبابه .

أغلب الظن أن سبب التفاوت بين نظرة كل من المغاربة والأندلسيين الى زهادهم لم يكن سببا مذهبيا ولا صلة له بالمذهب المالكى الذى كان سائدا بين أهل المغرب وأهل الأندلس على السواء كما أنه كان غالبا على أغلبية الزهاد هنا وهناك فلا مناص اذن من البحث عن سبب آخر ولعله يكون سببا سياسيا !

فبينما كان الزهاد المالكية فى بلاد المغرب على خلاف لا يكاد أن ينقطع مع حكام افريقية من الأغالبة ثم العبيديين ، منحازين فى ذلك الى جانب عامة أهل المغرب ضد الحكام — خاصة العبيديين — ولم يبالوا فى سبيل نصرة العامة بصنوف الأذى التى تلحق بهم من قبل هؤلاء الحكام بل قاوموهم بشدة جعلت أهل المغرب يجلون زهادهم ويرفعون بعضهم الى درجة الشهداء والقديسين ويضفون عليهم صفات الولاية وينسبون اليهم الخوارق والكرامات تعويضا نفسيا عن الاحباطات التى تصيب المغاربة من جراء ايذاء الحكام لهم من ناحية وتجديدا أو احياء لأمل هؤلاء المغاربة وطموحاتهم الدائمة فى الخلاص من هؤلاء الحكام ، هذا الخلاص الذى وان عجز المغاربة عن تحقيقه من الناحية الواقعية فلا أقل من يأملوا فى تحقيقه على يد زهادهم الذين يتصدون للحكام ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر والبغى ، فهؤلاء الزهاد عند المغاربة بمثابة الأبطال القوميين ويجب أن يتحلوا بصفات فوق العادية تمكنهم من التصدى للحكام فقام محبيهم — أو مريديهم ان صح التعبير — باضفاء صفة الولاية اليهم ونسبوا اليهم الكرامات والاتيان بالخوارق .

---

(١) الصلة ، ج ١ ص ٩١ .

أما الزهاد الأندلسيين فلم يتوفر لهم مثل هذا المناخ السياسي فقد كان حكام الأندلس — فيما خلا الحكم الربضى — على وفاق طويل مع فقهاء المالكية خاصة الزهاد منهم ، ولم يشهد الأندلس مثل هذه المعارضة الصاخبة للحكام من جانب المالكية على النحو الذى شهدته بلاد المغرب ولم يتحمل زهاد الأندلس مثيلا للأذى الذى تحمله زهاد المغرب فى سبيل حماية العامة والدفاع عنهم ضد ظلم الحكام وجورهم ، ولم يستشهد أحدهم فى سبيل ذلك شهادة ترقى به الى مصاف الشهداء والقديسين ومن ثم لم يتسن لأحد منهم أن يبلغ فى نفوس أهل الأندلس تلك المكانة التى وصل اليها كبار الزهاد المغاربة فى نفوس أهل المغرب .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان أهل الأندلس يبجلون زهادهم ويتبركون بهم لكنهم توقفوا فى ذلك عند حد التجيل دون أن يصلوا به الى مستوى الولاية أو التقديس ، وليس معنى ذلك أن الزهد كان فى الأندلس أقل انتشارا عنه فى بلاد المغرب ولكنه يعنى أن الزهد فى الأندلس كان أكثر اعتدالا وأقل صخبا عنه فى بلاد المغرب وقد نجد تفسيرا لذلك فى الاختلافات النسبية السياسية والحضارية للعدوة الأندلسية عن العدوة المغربية ، اذ أن الوحدة التاريخية بين العدوتين فى العصر الاسلامى لا تنفى وجود بعض الفوارق النسبية البسيطة فى هذا الأمر أو ذاك .

تصاعد نزعة الزهد فى الأندلس

وفد الى الأندلس فى وقت مبكر من تاريخه الاسلامى نفر من الزهاد المشارقة — على نحو ما أشرنا آنفا — كان من أوائلهم النعمان بن عبد الله ابن النعمان الحضرمى الذى كان صالحا زاهد دخل الأندلس مجاهدا فى فتوحه الأولى وجاء من الأندلس الى سليمان بن عبد الملك بخبر فتح تم هناك لكنه طلب من الخليفة أن يعيده الى الأندلس فعاد اليه وظل مجاهدا حتى استشهد فى أقصى الثغور هناك (١) من تاريخ لا نعرفه على وجه التحقيق لكننا نفهم أنه كان فى أوائل القرن الثانى الهجرى .

وأغلب الظن أن النعمان بن عبد الله الحضرمى لم يكن زاهد الأندلس الأوحد فى وقته وانما عاصره زهاد آخرون لم تمدنا المصادر التى وصلت

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ص ٣٥٨ ، الضبى : المصدر السابق ص ٤٧٨ .

الينا بأسمائهم لكن ذلك لا ينفى وجودهم لكن وجود النعمان بن عبد الله الحضرمى ومعاصريه لا يعدو كونه مجرد ارهاصة بظهور نزعة الزهد فى الأندلس اذ أن البداية الحقيقية لتلك النزعة لم تكن قبل أواخر القرن الثانى الهجرى فى الفترة التى ينتمى اليها فرقد بن عبد الله الجرشى أول زاهد من أصل أندلسى تصل الينا ترجمته : كان من أهل سرقطة زاهدا عابدا عالما يقال انه مجاب الدعوة وكانت له رحلة ، استنزله عبد الرحمن ابن معاوية الداخل من سرقسطه — بعد استيلائه عليها — الى قرطبة فأقام بها السنوات السبع الأواخر من امارة عبد الرحمن الداخل حتى وفاة الداخل سنة ١٧٢ هـ ، فلما تولى هشام الرضا امارة الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن عاد فرقد بن عبد الله الى مدينته سرقسطة وظل بها الى أن توفى فى امارة هشام (١) أى قبل صفر سنة ١٨٠ هـ تاريخ وفاة الرضا .

ويبدو أن الزهد أخذ فى الانتشار بين أهل الأندلس وقتذاك اذ أخذت تراجم الزهاد من أهل الأندلس تترى وتتوالى فى تزايد تدريجى فكان منهم زياد شبطون المتوفى سنة ٢٠٤ . وكان فقيها زاهدا يعد أول من أدخل فقه مالك الأندلس ، أراد هشام الرضا أن يوليه على القضاء فخرج شبطون هاربا بنفسه ، غلب الزهد على ظاهرة وباطنه (٢) كما كان منهم عيسى ابن دينار الغافقى كان اماما فى الفقه يعده البعض أفقه من يحيى بن يحيى الليثى وكان زاهدا على درجة عالية من الزهد والعبادة والورع يقال انه مجاب الدعوة (٣) وقد عاصر شبطون وعيسى بن دينار — عدد من الزهاد منهم — على سبيل المثال — أبو العجنس الزاهد ، كان حيا فى امارة الحكم بن هشام (١٨٠ — ٢٠٦ هـ) اذ روى عنه أن الحكم مر عليه وهو يبنى سقف له فسلم عليه الحكم وأشار اليه بالخيزران فرد أبو العجنس عليه السلام وأشار بالأطرله ، وكان أبو العجنس يسكن غدير بنى ثعلبة (٤) . ومنهم عباس بن رفاعة المذحجى من أهل ريه ، كان فقيها زاهدا نبذ الدنيا

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٥٣ .
(٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٢١٨ ، الضبى : المصدر السابق ص ٢٩٤ ، وابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥٤ .
(٣) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٣١ ، والحميرى : المصدر السابق ص ٤٧٢ ، الضبى : المصدر السابق ص ٤٠٢ ، وابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٣١ ، وابن سعيد : المصدر السابق ص ٤٠٢ ، وابن فرحون : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٨ .

بالثغر الأقصى (١) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله من أهل قرطبة ، رحل وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المصرى المعروف بورش وبعد عودته الى الأندلس استأذ به الحكم بن هشام لبنيه ، وكان أبو عبد الله عالما بالقراءات زاهدا (٢) .

هكذا كانت بداية نزعة الزهد فى الأندلس فى أواخر القرن الثانى الهجرى ومطلع القرن الثالث ، ثم تزايدت أعداد الزهاد فى القرن الثالث لتدل على سعة انتشار الزهد فى بلاد الأندلس وكان من متقدمى زهاد هذا القرن من أخذ عن عيسى بن دينار منهم ابنه محمد بن عيسى بن دينار الذى كان فقيها زاهدا خرج من الأندلس منفيا مع أهل الربض وحضر معهم فتح كريت (٣) وعبد الملك بن الحسن بن زريق المعروف بزونان ، كان فقيها ورعا وزاهدا فاضلا ، تولى قضاء طليطلة وتوفى بها سنة ٢٣٢ هـ (٤) وأبو عمر هارون بن سالم ، من أهل قرطبة ، سمع من عيسى بن دينار وغيره ، وكان منقطع القرين فى الفضل والزهد والعلم وكان يقال انه مجاب الدعوة توفى فى الأربعين من عمره سنة ٢٣٨ هـ (٥) .

وكان من الزهاد المتقدمين فى القرن الثالث الهجرى أبو عثمان سعيد ابن حسان مولى الحكم بن هشام ، من أهل قرطبة ، رحل الى المشرق سنة ١٧٧ هـ فروى عن عبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وأشهب بن عبد العزيز . كان زاهدا فاضلا فقيها مشاورا مع يحيى بن يحيى وقاسم بن هلال وعبد الملك بن حبيب ، توفى بعد يحيى بن يحيى بعامين سنة ٢٣٦ هـ فى امارة عبد الرحمن الأوسط بن الحكم (٦) .

وكان من زهاد القرن الثالث الهجرى فى الأندلس القاضى يحيى بن معمر الالهانى الذى كان ورعا فاضلا زاهدا (٧) والقاضى مسرور بن محمد بن بشير ،

---

(١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٩٧ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٥ .
(٣) المقرى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٣٩ .
(٤) ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٩ .
(٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢٠ .
وابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٦٩ .
(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦ .
(٧) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

كان زاهدا متواضعا ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة بقرطبة (١) .

وكان منهم عبد الجبار بن الفتح بن منتصر البلوى الفقيه الزاهد من أهل فحص البلوط توفى سنة ٢٥٨ هـ (٢) وأبو خالد مالك بن على بن قطن الزاهد ، من أهل قرطبة ، توفى سنة ٢٦٨ هـ (٣) وابراهيم الزاهد الخياط كان له سماع من سحنون بن سعيد ، توفى سنة ٢٧٠ هـ (٤) وأبو زكريا يحى بن قاسم بن هلال ، من أهل قرطبة يعرف بصاحب الشجرة ، اذ قيل انه كانت فى بيته شجرة تسجد لسجوده ، كان عابدا مجتهدا توفى سنة ٢٧٢ هـ (٥) وابراهيم بن محمد بن باز المعروف بابن القزاز كان فقيها عالما زاهدا ورعا فاضلا من أهل قرطبة لكنه توفى بطليطلة سنة ٢٧٤ هـ (٦) .

وكان منهم بقى بن مخلد ، مؤسس مدرسة الحديث فى الأندلس ، كان من الزهاد الصالحين وقيل انه مجاب الدعوة ، توفى سنة ٢٧٦ هـ (٧) وتوفى قريبا من هذا الوقت أبو محمد لب بن عبد الله من أهل سرقطة كان محدثا وزاهدا فاضلا (٨) .

وكان منهم أبو الخضر حامد بن أخطل بن أبى العريض التغلبى لبيرى جليل ثقة وكانت له رحلة ، مذكور بالفضل والزهد والورع توفى فى سنة ٢٨٠ هـ (٩) ومحمد بن عبد الله بن الدفاع الزاهد من أهل قرطبة ،

---

(١) نفس المصدرابن حيان السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٦٥ ، وابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ص ٥٥٢ ، وابن الفرضى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٤ .

(٥) نفس : المصدر ، جـ ٢ ص ١٨٣ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٠ ، وابن فرحون : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٦٠ .

(٧) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٩١ ، والحميرى : المصدر السابق ص ٢٧٤ .

(٨) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٧٥ ، والحميرى : المصدر السابق ص ٥٣٥ .

(٩) الحميرى : المصدر السابق ص ١٩٧ .

كانت له رحلة وتوفى سنة ٢٨١ هـ (١) . وأبو سعيد مطرف بن عبد الرحمن، كان فاضلا زاهدا توفى سنة ٢٨٢ هـ (٢) وعبد الواحد بن محمد بن دينار من أهل قرطبة ، حفيد عيسى بن دينار فقيه الأندلس المشهور ، كانت له رحلة وبلغ مبلغ أكابر أهله فى العلم ، كان خيرا ناسكا ، توفى سنة ٢٨٢ هـ (٣) .

على هذا النحو أخذت نزعة الزهد تتفشى فى بلاد الأندلس وتزايدت أعداد الزهاد الذين انتشروا فى مواطن كثيرة من الأندلس : فى قرطبة اشبيلية وطيلطلة وسرقسطة ولبيرة وغيرها .

لكن نزعة الزهد ستشهد تصاعدا هاما فى الأندلس على يد واحد من كبار الزهاد فى الأندلس هو محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبى وتلاميذه الذين تلقوا عنه العلم والزهد معا ، فقد كان محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبى اماما فى الحديث والزهد رحل فى طلب العلم والزهد رحلتين أهتم فى أولاهما سنة ٢١٨ هـ خاصة بالزهد ولقاء العباد ولما عاد الى الأندلس روى سير العباد وصبر على الأسماع محتسبا فى نشر علمه وزهده فسمع الناس منه كثيرا وانتشر عنه بالأندلس علم جم وانتفع أهل الأندلس به كثيرا حتى كان — على حد قول ابن فرحون — معلم أهل الأندلس العلم والزهد ، كانت وفاته فى المحرم سنة ٢٨٧ هـ ودفن فى مقبرة أم سلمة (٤) .

يظهر أثر ابن وضاح فى نشر الزاهد جليا فى كثرة تلاميذه الذين تلقوا عنه وسمعوا منه حتى أن عبارة « سمع من ابن وضاح » ستصبح عبارة معتادة تطالعنا فى فى تراجم كثير من الزهاد الذين أدركوا محمد بن وضاح ، كان منهم — على سبيل المثال — أبو عثمان سعدون بن اسماعيل مولى جذام ، سمع من ابن وضاح ، كان عالما بالفرائض واللغة والشعر ، وكان زاهدا ورعا متنقلا لم ينكح ولا تسرى ولا اشتغل بشىء من الدنيا ،

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢ .
(٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٥٥٤ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٩ .
(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ١٥ . والحميرى : المصدر السابق ص ٩٣ .
الضبى : المصدر السابق ص ١٣٣ . وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٩ .

توفى سنة ٢٩٥ هـ (١) • ومحمد بن عبد الجبار بن محمد ، من أهـل قرطبة ، سمع من ابن وضاح ، رحل حاجا وكان الغالب عليه الحمل والرواية مع الزهد والعبادة وكان عالما بالقراءات ، توفى سنة ٢٩٦ هـ (٢) وأبو يوسف سليمان بن هارون الرعينى من أهل طليطلة ، سمع من ابن وضاح وغيره ، كان زاهدا عابدا توفى سنة ٢٩٧ هـ (٣) ويحى بن زكريا الثقفى المعروف بابن الشامة ، من أهل قرطبة ، سمع من ابن وضاح كثيرا ومن غيره ، رحل للحج سنة ٢٩٠ هـ ، كان عابدا صواما توفى سنة ٢٩٨ هـ (٤) • ويحى بن سهل بن صالح المعروف بابن الرفا من أهل قرطبة ، كان زاهدا فاضلا سمع من ابن وضـاح توفى فيما يبدو بعـد سـنة ٣٠٠ هـ (٥) ومحمد بن عثمان بن عباس المعروف بابن ارفع رأسه ، من أهل طليطلة سمع من ابن وضاح ، كان الغالب عليه الزهد ، توفى سنة ٣٠٢ هـ (٦) •

وقد أكمل تلاميذ ابن وضاح جهود استاذهم لنشر الزهد فى الأندلس اذ أنهم لم يكتفوا بالتلقى عنه وانما علموا الناس وحدثوهم ونشروا فيهم ما تلقوه عن ابن وضاح ، فعلى سبيل المثال كان أبو القاسم أصبغ ابن مالك بن موسى — أصله من قبره وسكن قرطبة — قد صحب ابن وضاح نحو أربعين سنة وسمع منه كثيرا وكان عابدا زاهدا يجتمع اليه أهـل الزهد والفضل فيسمعون منه حتى توفى بناحية بيشتر سنة ٣٠٤ هـ (٧) وكان أبو عثمان سعيد بن عثمان الأعناقى عالما زاهدا سمع من ابن وضاح وصحبه سمع منه الناس وحدث عنه علماء الأندلس ، توفى بفريش سنة ٣٠٥ هـ (٨) وكان ابن الزراد محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سـلام من أهل قرطبة ، روى عن محمد بن وضاح كثيرا وصحبة ، رحل حاجا وسمع يسيرا فى رحلته ، كان الزهد وأمر المحتسبة وأخبار العباد أغلب عليه من العلم وكان كثير الحكاية عن ابن وضاح حافظا لأخباره ، حدث

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٣ •
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٢ •
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٥ •
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٥ •
(٥) نفس : المصدر جـ ٢ ص ١٨٧ •
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢٤ •
(٧) انفس المصدر ، جـ ١ ص ٧٩ •
(٨) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣١٤ •

وسمع الناس عنه كثيرا ، توفى سنة ٣٠٥ هـ (٥) .

لكن ابن وضاح وتلاميذه لم يكونوا وحدهم على ساحة الزهد فى الأندلس بل وجد أيضا زهاد آخرون شاركوا فى اثراء النزعة الزهدية وبثها فى نواحى الأندلس كان منهم — على سبيل المثال — أبو العطاف يعلى بن عبد الله الأموى ، من مواليهم ، كان من أهل سرقسطة فقيها زاهدا فاضلا له رحلة وسماع كثير توفى سنة ٢٨٨ هـ (٢) ونعم الخلف بن أبى الخصيب من أهل تطيلة ، كان زاهدا عابدا محاربا كثير الرباط والغزو ، توفى شهيدا سنة ٢٩٨ (٣) وأبو الفرج الزاهد من أهل استجه ، قيل انه كان مستجاب الدعوة ، توفى بعد الثلثمائة (٤) وعبد الله بن محمد بن عبد الله ابن بدرون من أهل الجزيرة سمع بقرطبة سنة ٢٤٤ ثم رحل سنة ٢٥٠ فلقى أصحاب ابن وهب بمصر ولقى بالقيروان محمد بن سحنون ، كان بليغا بصيرا باللغة والاعراب من أهل الزهد والورع ، توفى سنة ٣٠١ هـ (٥) . وأحمد بن محمد المعروف بابن الحراز من أهل قرطبة ، كان من أهل الزهد والفضل ، توفى سنة ٣٠٣ هـ (٦) وأبو محمد قاسم ابن ثابت بن حزم العوفى من أهل سرقسطة ، كانت له رحلة مع أبيه سمع فيها من أحمد بن شعيب النسائى بمصر ومن ابن الجارود بمكة وعنى بجمع الحديث واللغة وأدخل هو وأبوه علما كثيرا الى الأندلس وكانا أول من أدخل الى الأندلس كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى . كان قاسم عالما فقيها نحويا شاعرا وزاهدا خيرا ورعا ناسكا امتنع عن تولى القضاء بسرقسطة وتوفى سنة ٣٠٢ هـ (٧) .

ولقد تضافرت جهود تلاميذ ابن وضاح مع جهود غيرهم من زهاد الأندلس لتنشر نزعة الزهد فى الأندلس حتى فشت فى الأندلس فى القرن

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٢١٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٥٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٥١ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢١٩ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٠ .
(٧) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤٧ .
وابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٦٠ .

الرابع الهجرى الذى عج بالزهاد حتى ليبدو أكثر القرون امتلاء بالزهاد فى الأندلس على النحو الذى يتضح لنا من كثرة تراجمهم فى هذا القرن .

كان من زهاد القرن الرابع الهجرى فى الأندلس — فضلا عمن ذكرناهم آنفا — أبو عثمان عفان بن محمد من أهل وشقه ، كان زاهدا عابدا كثير التلاوة للقرآن صائما أكثر دهره ، كان صاحب الصلاة بوشقة ثم تولى أحكام الشرطة بها حتى توفى سنة ٣٠٧ هـ (١) ومحمد بن عبد الله بن محمد ابن قاسم من أهل قرطبة سمع من بقى بن مخلد ، كان منسوبا الى الزهد موصوفا بالفضل ، توفى سنة ٣١٢ هـ (٢) . وأحمد بن محمد بن الرومى ، من أهل قرطبة ، سمع من ابن وضاح ، كانت له رحلة لقى فيها ابراهيم ابن الجنيد البغدادى الزاهد وسمع منه بعض تصنيفه فى الزهد ، توفى — فيما يبدو — بعد سنة ٣١٢ هـ (٣) . وأحمد بن شاب بن عيسى الأموى من أهل قرطبة كان مؤدب كتاب سمع من غير واحد وكان زاهدا فاضلا توفى سنة ٣١٧ هـ (٤) وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن مؤذن من أهل وشقة ، عنى بالعلم وشهر به كان موسوما بالفضل والزهد ، توفى سنة ٣١٧ هـ (٥) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الفافقى الالبيرى الزاهد . سمع بالأندلس من كثيرين منهم محمد بن وضاح ورحل الى المشرق سنة ٢٥٧ هـ وتردد هناك فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وغيره وسمع بمكة من جماعة منهم أحمد بن يحى الكوفى المعروف بالصوفى ، وسمع بطرابلس وافريقية ، توفى عن تسعين سنة فى سنة ٣١٩ هـ (٦) .

وكان منهم أبو عبد الحميد اسحاق بن عبد الرحمن ، من أهل سرقسطة، كانت له رحلة وكان فاضلا عابدا وقيل انه مجاب الدعوة ولاه محمد بن لب صاحب سرقسطة على الصلاة فكان يخطب بهم ويصلى حتى توفى قريبا

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٣ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٩ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٧ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٠ ، والمقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٢ .

من سنة ٣٢٠ هـ (١) . وأبو عبد الله محمد بن زكرياء بن محمد بن جعفر اللخمى من أهل قرطبة ، سمع من ابن وضاح وغيره من شيوخ الأندلس ، كانت له رحلة سمع فيها بمكة وبغداد كان ضابطا ثقة وزاهدا ورعا صاحب ليل وعباده وكانت فيه مع ذلك دعابة غزا مع عبد الرحمن الناصر غزاه وخمشة ، وتوفى سنة ٣٢٢ هـ (٢) .

وكان منهم أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الجباب من أهل قرطبة سمع من ابن وضاح وغيره ، كانت له رحلة سمع فيها كثيرا بمكة وصنعاء وغيرهما ثم عاد الى الأندلس فكان امام وقته غير مدافع فى الفقه والحديث والعبادة ، ضابطا ورعا منقبضا متقشفا ، توفى سنة ٣٢٢ هـ (٣) .

وكان منهم شيبان بن سليمان المؤدب الزاهد ، كان له زهد باين وورع صادق ، من أهل قرطبة ، سمع من محمد بن وضاح وغيره (٤) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحى الزهرى المعروف بالاشبيلى الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان معلم كتاب روى عن ابن وضاح وغيره وكان يجتمع اليه أهل الحسبة والمعلمون ويقرأون عليه ، كان طويل الصلاة مسمتا وقورا ، توفى سنة ٣٢٥ هـ (٥) وأبو عمر سيد أبيه بن العاص المرادى الزاهد ، من أهل اشبيلية ، كان الغالب عليه علم القرآن وعبارة الرؤيا وكان أحد العباد المتبتلين منقطع القرين فى وقته وقبل انه مجاب الدعوة ، توفى سنة ٣٢٥ هـ (٦) .

وكان منهم أحمد بن زياد اللخمى أبو القاسم ، من أهل قرطبة ، سمع من ابن وضاح وكان مختصا به وبابراهيم بن محمد بن باز ، حدث كثيرا وكان زاهدا فاضلا توفى سنة ٣٢٦ هـ (٧) وأبو عبد الله محمد بن مهلهل

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٧١ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٤٣ .
(٣) نفس : المصدر ، ج ١ ص ٣١ .
وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٩ .
(٤) الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٤٤ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٣ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٣ .

ابن مسور الزاهد من أهل قرطبة ، كان منقطعا الى الله عز وجل مقبلا على الزهد والعبادة مجتهدا فى ذلك حتى وفاته سنة ٣٢٨ هـ (١) . وأبو عبد الله محمد بن أصبغ بن لبيب من أهل استجه سمع بالأندلس ، كانت له رحلة الى المشرق سمع فيها بمكة الى الأندلس فلزم الزهد والعبادة وكان متفننا فى العلوم بصيرا بالغرض والحساب والنحو والغريب وكان شاعرا يتكلم فى مذاهب العلم الباطنى توفى سنة ٣٢٨ هـ (٢) .

وكان منهم أبو محمد وسيم بن سعدون من أهل طليطله ، سمع بقرطبة من محمد بن وضاح وغيره ورحل مع أحمد بن خالد فسمع بمكة ومصر ، كان موصوفا بالزهد والعبادة ، وكان فقيه طليطلة فى وقته (٣) . وأبو الأصبغ اسماعيل بن عمر الزاهد من أهل قرطبة ، سمع من محمد بن وضاح وغيره ، كان مشاورا فى الأحكام ، توفى سنة ٣٣٢ هـ (٤) وأبو الحسن محمد بن محمد بن عبد السلام الخشنى ، من أهل قرطبة ، روى عن أبيه وكان مشاورا فى الأحكم ، كان موصوفا بالزهد والفضل توفى سنة ٣٣٣ هـ (٥) . وأبو عبد الله محمد بن دليق من أهل وشقة كان من العباد المجتهدين ومن أهل العلم والفصاحة عالما بمعانى القرآن وتفسيره ، ورث عن أبيه مالا عظيما فتخلى عنه وفرقه ، خرج الى الحج وانصرف فلزم السياحة والتبتل نحو عشرين سنة ثم نكح آخرا وجلس للناس يفتيهم ويحدثهم ، توفى سنة ٣٣٥ هـ (٦) .

وكان منهم أبو سعيد عثمان بن سعيد بن كليب من أهل البيرة ، كان حافظا للرأى وولى الصلاة بحاضرة البيرة ، كان موصوفا بالزهد ،

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٨ .
(٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٦٧ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٥ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٥٣ .
(٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

توفى سنة ٣٤٠ هـ (١) أبو عبد الله محمد عبد الله بن عبد البر المعروف بالكشكيتانى ، من أهل قرطبة ، سمع بالأندلس ثم رحل وسمع بالمشرق كانت له فى الأندلس وجاهة عند الخاصة والعامة بالعلم والزهد وسمع منه الناس كثيرا . رحل ثانية فى آخر عمره فحج وتوفى باطرابلس الشام سنة ٣٤١ هـ (٢) وأبو عمر أحمد بن يحيى بن زكريا — المعروف بابن الشامه كان أبوه من الزهاد المعدودين وكان هو نفسه زاهدا منقطعا وناسكا متبتلا ، توفى سنة ٣٤٣ هـ (٣) وأبو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبد ، حج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا وجاهد وحرض على الجهاد وساح بجبل المقطم وتوفى سنة ٣٤٤ هـ (٤) وأبو وهب عبد الرحمن العباسى الزاهد ، قيل أنه من بنى العباس ، قدم الى قرطبة مخفيا لشبه ، كان منقطع القرين فى الزهد والورع وقيل انه مجاب الدعوة ، توفى بقرطبة سنة ٣٤٤ هـ (٥) .

وكان منهم أبو عبد الله أحمد بن بقى بن مخلد ، من أهل قرطبة ، سمع من أبيه ، تولى قضاء قرطبة ، كان زاهد فاضلا توفى سنة ٣٤٤ هـ (٦) وأبو غالب تمام بن غالب من أهل البيرة ، كان زاهدا فاضلا سمع من محمد بن فطيس وغيره ، حدث وسمع عنه ، توفى سنة ٣٤٧ هـ (٧) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن مغيث الأنصارى من أشراف قرطبة ، روى عن جماعة منهم محمد بن أحمد بن أحمد الا شبيلى الزاهد ، كان من أهل المعرفة والنباهة والذكاء والفهم ، أديبا بارعا وشاعرا وكاتبا بليغا مع الدين والفضل والنسك والعبادة والتواضع وزهد فى الدنيا فى آخر عمره وله كتاب التوابين من تأليفه توفى سنة ٣٥٢ هـ (٨) . وأبو عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم الأزدى يعرف

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ص ١٩٢ ، وابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٨ .

(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٣٩ .

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٨ .

(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣ .

(٧) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٨) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٢ .

بابن المشاط ، من أهل قرطبة ، كان زاهدا ورعا ولى الصلاة بقرطبة ، توفى سنة ٣٥٢ هـ (١) . وأبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبى، أصله من طليطلة وسكن قرطبة ، سمع بطليطلة من وسيم بن سعدون وغيره وسمع بقرطبة من جماعة ، كان حافظا للفقه على مذهب مالك متقدما فيه وكان مشاورا فى الأحكام ، حدث وسمع منه جماعة من الناس ، كان وقورا مهيبا خيرا فاضلا ورعا من أهل الزهد والتقشف والبعد عن السلطان لا تأخذه فى الله لومة لائم وكان الحكم المستنصر مغظما له ، توفى بطليطلة سنة ٣٥٢ هـ (٢) .

وكان منهم أبو بكر أحمد بن محمد خلف بن أبى حجيرة ، من أهل قرطبة سمع من أحمد بن خالد وغيره ، كانت له رحله سمع فيها ، كان زاهدا متبتلا وفقيها عالما ، توفى سنة ٣٥٦ هـ (٣) . وأبو مروان عبد الملك ابن هذيل من أهل قرطبة ، يعرف بالخلقى لأنه كان يلبس خلق الثياب ، سمع من أحمد بن خالد وغيره ورحل فسمع بمصر وبمكة وبالقيروان وانصرف الى الأندلس فالتزم العزلة والانقباض والزهد ، توفى سنة ٣٥٩ هـ(٤) .

وكان منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن مدراج ، من أهل طليطلة سمع بطليطلة وبقرطبة ورحل فسمع بمصر وبمكة ، كان ورعا فاضلا زاهدا وكا نيرحل اليه فى الحديث وكتب عنه الناس كثيرا توفى بطليطلة سنة ٣٦٣ هـ (٥) وأبو عبد الله محمد بن وضاح من أهل شذونة ، كان يكتب المصاحف صالحا زاهدا ، توفى سنة ٣٦٣ (٦) وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد الخضرى ، من أهل قرطبة ، كان زاهدا فاضلا حدث وكتب الناس عنه ، توفى سنة ٣٦٤ هـ (٧) . وأبو والوليد هاشم ابن عبد الأعلى يعرف بابن الغليظ ، من أهل قرطبة ، وكان أديبا شاعرا . ناسكا عالما بتفسير الرؤيا ، توفى سنة ٣٦٦ هـ (٨) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٤ .
(٢) إبن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٩٦ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٧٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٣ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٣ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٤ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٧٢ .

وكان منهم أبو يحيى عمروس بن اسماعيل العبدرى ، كان ورعا زاهدا عابدا ، نظير صاحبه أبى بكر يحيى بن مجاهد اللبيرى ، توفى أبو يحيى عمروس بقرطبة سنة ٣٦٦ ودفن بمقبرة متعة (١) ونظيره أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانه اللبيرى الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد ، توفى فى نفس العام الذى توفى فيه صاحبه سنة ٣٦٦ هـ ودفن بمقبرة الربض وصلى عليه محمد بن اسحاق ابن السليم قاضى الجماعة الزاهد (٢) .

وكان منهم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشى المعيطى كان حافظا للفقه على مذهب مالك . ولى الشورى ابن ثلاثين سنة وكان ورعا زاهدا متبتلا توفى سنة ٣٦٧ هـ (٣) وقاضى الجماعة أبو بكر محمد ابن اسحاق بن منذر بن السليم ، كان مع علمه من أهل الزهد والتقشف والبر ، بلغ به التقشف وطلب الحلال أنه كان يصيد السمك بنهر قرطبة (نهر الوادى الكبير) ويبيع صيده فيأخذ من ثمنه ما يقتات به ويتصدق بفضله ، تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ وتوفى سنة ٣٦٧ هـ (٤) وأبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن يحيى الكلابى ، من أهل البيرة يعرف بابن الغريقى ، كان زاهدا فاضلا توفى سنة ٣٦٩ هـ (٥) .

وأحمد بن عبد السلام بن زياد اللخمى من أهل ريه ، كان عالما فاضلا ذا عفاف وزهد وولى الصلاة بموضعه توفى بعد سنة ٣٧٠ هـ (٦) وأبو نصر فتح بن أصبغ من أهل طليطلة يعرف بابن تاكله ، كان عالما زكيا متفننا عابدا مشهور الفضل قيل انه مجاب الدعوة توفى سنة ٣٧١ (٧) وأبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان زاهدا ورعا فاضلا يميل الى الحديث والآثار مشاركا فى الرأى ، توفى سنة ٣٧١ هـ (٨) .

---

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ص ٤٨٠ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٨ .
وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢٥ .
(٤) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١٤ .
(٥) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١٤ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥٢ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٣٦ .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أبى دليم ، من أهل قرطبة ، كان من صغره زاهدا ، كان كثير الصلاة والقيام عابدا متهجدا ورعا عفيفا فقيها عالما ، توفى سنة ٣٧٢ هـ (١) . وابو عمر أحمد ابن محمد بن أحمد من أهل اشبيلية يعرف بابن الخراز ، سمع من جماعة وكان زاهدا فاضلا قيل انه لم يكن باشبيلية بعد سيد أبيه الزاهد مثل أبى عمر بن الخراز ، توفى سنة ٣٧٢ هـ (٢) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن التراس ، من أهل البيرة ، روى عن محمد فطيس وغيره ، كان زاهدا فاضلا متبتلا توفى سنة ٣٧٣ هـ (٣) . وأبو يحى ادريس بن عبد الله بن ادريس ، من أهل قرطبة ، كان حافظا للمسائل فقيها وولى أحكام الشرطة . وكان ورعا متقشفا زاهدا متواضعا لم تغيره الدنيا ،

وكان منهم أبو اسحاق خلصه بن موسى بن عمران الراى الزاهد أصله من ريه وسكن قرطبة ، كان زاهدا فاضلا مشهورا بالفضل بعيد الاسم فى الخير ، توفى سنة ٣٧٦ هـ وصلى عليه القاضى محمد بن يبقى بن زرب واحتفل الناس لجنازته (٤) . وأبو بكر عبد الرحمن عامر بن عبد الرحمن ابن معاوية من أهل قرطبة ، كان منسوبا الى الزهد ، توفى سنة ٣٧٦ هـ (٥).

وكان منهم ذوالة بن زيد العكى من أهل ريه ، كان فاضلا زاهدا انتقل الى مدينة مالقه (٦) وغانم بن منتيل من أهل قريش كان موصوفا بالزهد والعلم معتنيا بالرأى (٧) وأبو عمرو أحمد بن قزلمان المؤدب من أهل قرطبه كان حافظا للفقه على مذهب مالك ، يؤدب بالقرآن ، وكان من العباد المتبتلين ، توفى سنة ٣٧٧ هـ ودفن فى مقبرة الرضافة (٨) .

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨٣ .
وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠٢ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٢ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٨٥ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٤١ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٦٥ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٤٧ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٤٧ .
(٨) نفس المصدر ، ج ١ ص ٥٣ .

وأبو الحكم مخارق المعافرى الاسكافى من أهل قرطبة كان من العباد المجتهدين المتهجدين بالقرآن قيل انه مجاب الدعوة ، خرج مجاهدا فى غزوة قلنبرية الأخيرة فاستشهد فيها سنة ٣٧٧ هـ (١) . وأبو أيوب سليمان بن أيوب بلكاش القوطى من أهل قرطبة سمع من جماعة منهم محمد بن أحمد الشبلى الزاهد ، كان من أهل العلم والنظر بصيرا بالاختلاف حافظا للمذاهب مائلا الى الحجة والدليل ، حدث وسمع الناس منه كثيرا وكان زاهدا متواضعا كثير البكاء ، توفى سنة ٣٧٧ هـ ودفن بمقبرة مومرة (٢) وأحمد بن خلف بن فرتون المديونى فى الزاهد الرواية من أهل مدينة الفرج ، سمع الناس منه كثيرا وكان خيرا فاضلا زاهدا ثقة ، توفى سنة ٣٧٧ هـ (٣) . وكان منهم أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن ابن عبد القاهر بن خير العبسى ، من أهل اشبيلية ، كان من أهل الخير والفضل والتعاون والانقباض له فى الزهد تأليف سماه الاستبصار ، توفى سنة ٣٧٩ هـ (٤) .

وكان منهم أبو أيوب عتاب بن هارون بن عتاب بن بشر الفقية الزاهد من أهل شذونه ، كان حافظا للرأى على مذهب مالك حسن النظر يقال انه مجاب الدعوة ، توفى سنة ٣٨١ هـ (٥) . وأبو محمد عبد الله بن أحمد ابن زكريا المعروف بابن الشامة ، من أهل قرطبه ، كان موصوفا بالفضل والزهد ، توفى سنة ٣٨١ هـ ودفن فى مقبرة أم مسلمة (٦) . وحيان الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان رجلا صالحا زاهدا ورعا خاشعا متبتلا من أصحاب أبى بكر يحى بن مجاهد الزاهد وكان ممن نفع الله به المسلمين ، توفى سنة ٣٨١ هـ ودفن فى مقبرة قريش فى جمع عظيم (٧) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغرى القلعى من أهل قلعة أيوب ، سمع بالأندلس وكانت له رحلة سمع فيها بالبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر وانصرف الى الأندلس

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٨ .
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٧ .
(٥) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٠ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٤٣ .
(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥٢ .

فلزم العبادة والجهاد واستقضاه المستنصر بالله بموضعه ثم استعفاه فأعفاه كان فقيها فاضلا دينا ورعا صليبا فى الحق لا يخاف فى الله لومة لائم ، أحد أعلام الزهاد وكانوا يشبهونه بسفيان الثورى ، توفى سنة ٣٨٣ هـ (١) .

وكان منهم أبو عبد الله مروان بن عبد الملك بن الفراء ، من أهل قرطبة ، رحل حاجا وسمع بمصر ، كان زاهدا فاضلا وعابدا مجتهدا ، توفى سنة ٣٨٣ هـ (٢) .

وكان منهم أبو القاسم سهل بن ابراهيم بن سهل بن نوح بن خمار ، نسبة فى البربر ، مولى لبنى أميه من أهل استجه وكان يعرف بابن العطار كان فاضلا زاهدا عالما عاملا ، لزم الانقباض والعبادة الى أن توفى وسمع منه الناس قديما وحديثا وطال عمره حتى ساوى فيه الصغار الكبار ، توفى سنة ٣٨٧ هـ (٣) .

وكان منهم أبو الفرج عبدوس بن محمد بن عبدوس من أهل طليطلة له رحلتين سمع فيهما بمكة ومصر والشام ، كان يتجول بين طليطلة وطلبيرة وكان زاهدا فاضلا ورعا متقللا سمع منــه الناس كثيرا وتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ هـ (٤) . وأبو عبد الله محمد بن يزيد من أهل بطليوس ، كان رجلا صالحا فاضلا متقللا ، كان يسرد الصوم ولم تكن له امرأة قط ، توفى سنة ٣٩٠ هـ (٥) .

وكان منهم أبو محمد مسلمة بن محمد بن مسلمة بن بترى الأيادى من أهل قرطبة ، كان زاهدا فاضلا متبتلا مجتهدا ورعا كثير الجهاد وتغلب عليه العبادة ، توفى سنة ٣٩١ هـ ودفن فى مقبرة الربض وشهد جنازته خلق عظيم (٦) . وأبو عبد الله محمد بن يحى بن يوسف الضنى المتزهد

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٤ ، الضبى : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ ، وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٥٢ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٩١ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٤٠ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٣٠ .

يعرف بابن الملاح من أهل قرطبة . حدث عنه الصاحبان وغيرهما توفى سنة ٣٩١ هـ (١) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوى المؤدب من أهل قرطبة ، كان شيخا صالحا زاهدا توفى سنة ٣٩٢ هـ (٢) وأبو عبد الله محمد بن سعدون من ساكنى حصن موره يعمل باجه يعرف بابن الزنونى ، كان رجلا صالحا فاضلا زاهدا ورعا ، توفى بحاضرة بطليوس سنة ٣٩٢هـ(٣) .

وكان منهم أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلى يعرف بالخياط كان فقيها عالما بالمسائل حافظا للرأى على مذهب مالك ، ورعا زاهدا فاضلا ، سكن الثغر أعواما كثيرة مجاهدا وكان منسوبا الى البأس ، شهر فى الثغر وعلا ذكره فيه ، قدم قرطبة فتوفى بها سنة ٣٩٣ هـ ودفن بمقبرة الربض (٤) . وخلف بن القاسم بن سهل الدباغ كان حافظا فهما ، حدث بأشياء فى الزهد ، توفى سنة ٣٩٣ هـ (٥) .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن موسى بن مهص الغسانى من أهل البيرة من قرية تسمى قرخشبيط له رحله وبعد عودته أقام فى تطيله للرباط الى أن توفى ، كان فقيها عالما زاهدا ورعا يصوم الدهر تنقل فى سكناه بين تطيله وبلغى . استشهد فى معترك الماشه قرب بلغى سنة ٣٩٣ هـ (٦) .

وكان منهم أبو القاسم أصبغ بن على بن حكيم من أهل قرطبة كان زاهدا فاضلا مجتهدا وله خط من العلم ، سمع بالأندلس ورحل حاجا وجاور بمكة وسمع بها ثم قدم الأندلس فلم يزل مجاهدا حتى توفى بتطيلة حين خرج فى غزاة الصامعة سنة ٣٩٤ هـ (٧) .

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد القيسى المعروف بابن الخلاص ، من أهل بجانه له رحله سمع فيها بمصر والشام ومكة ، وكان زاهدا فاضلا متقبضا حافظا للحديث وسمع منه غير واحد ، توفى

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٧٩ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٤ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، صص ١٠٤ — ١٠٥ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٣ .
(٥) المقرى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣١١ .
(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٦ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٨٢ .

سنة ٣٩٤ هـ (١) وأبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد الانصارى ، من أهل ريه ، له رحلة سمع فيها بمصر وبالقلزم وانصرف الى الأندلس فلزم الانقباض والزهد وولى الصلاة بموضعه الى أن توفى سنة ٣٩٤هـ (٢).

وكان منهم أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمى التاهرتى البزار ، قدم قرطبة صغيرا فى الثامنة من عمره مع أبيه وسكنها ، كان شيخا صالحا زاهدا منقبضا توفى سنة ٣٩٥ هـ (٣) .

وكان منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيرى ، من أهل قرطبة وأصلة من جيان ، كان صالحا زاهدا منقبضا ثقة فيما رواه وسمع الناس منه كثيرا ، توفى سنة ٣٩٦ هـ (٤) .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن محمد بن عبد الله الكلبى ، سكن اشبيلية ، كان صالحا زاهدا واسع الرواية كثير العناية بالعلم وبمعانى الزهد . روى عنه الناس باشبيلية وشهر بالخير ، توفى سنة ٣٩٧ هـ (٥) .

واذا كان الزهد قد تزايد فى الأندلس بفضل محمد بن وضاح بن بزيغ وتلاميذه فعج القرن الثالث الهجرى بالكثير من الزهاد الذين كان للعديد منهم فى الزهد شأوا بعيدا ، فقد شهد الزهد فى نهاية القرن الثالث الهجرى تصاعدا آخر على يد أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زمنين الالبيرى الزاهد . كان فقيها مقدما وزاهدا عابدا متبتلا متقشفا ، أمة فى الخير ، وكان أجل أهل وقته قدرا فى العلم والرواية وحفظ الرأى ، دائم البكاء والصلاة ، واعظا مذكرا بالله ، فاشى الصدقة ، له تواليف متداولة فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين ، وله أشعار كثيرة فى الزهد وله فى الزهد أيضا كتبا منها حياة القلوب » فى الرقائق والزهد وكتاب أنس المريدين فى الزهد

---

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ١٠٨ .
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٤ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٠٥ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢١٤ .

وكتاب المواعظ المنظومة فى الزهد ، توفى سنة ٣٩٩ هـ (١) .

ولعل أثر ابن أبى زمنين فى نشر الزهد بالأندلس لا يقل عن أثر ابن وضاح فى ذلك بل لعله كان أبعد أثرا بتوظيفه الشعر لخدمة النزعة الزهدية اذ لا يخفى ما لموسيقية الشعر وغريب معانية من تأثير فى النفوس وخاصة نفوس أهل الأندلس الذين كانوا يتذوقون الشعر ويرددونه فكان لمنظومات ابن أبى زمنين فى الشعر الزهدى قبولا وتأثيرا فى نفوس أهل الأندلس ، واذا كان بعض زهاد الأندلس قد نظموا أشعارا فى الزهد قبل ابن أبى زمنين فانه كان أعلى من سابقية ومعاصريه كعبا فى هذا المجال وأبعد صيتا وتأثيرا حتى ليمكننا اعتباره أول من أرسى قواعد الاتجاه الزهدى فى الشعر الأندلسى (٢) . وقد فتح ابن أبى زمنين الطريق أمام شعراء الزهد اللاحقين لينظموا فى الزهد أشعارا كثيرة رائعة حفظها الناس وتناقلوها وكان لها فى نفوسهم أبلغ تأثير ، ونعرف بعضا من هؤلاء الشعراء الزهاد منهم — على سبيل المثال — أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى الملقب بالعين جودى لأنه كان يكثر ترديد عبارة « ياعين جودى » فى أشعاره ، وقد انتقل أبو أيوب العين جودى الى البيرة بلدة ابن أبى زمنين وسكنها معاصرا له وتوفى بعده بعام واحد فى سنة ٤٠٠ هـ (٣) . ومنهم أبو عمران موسى بن أصبغ المرادى الذى كان زاهدا شاعرا سكن صقلية ، كان طويل النفس فى الشعر وله قصائد طوال فى الزهد منها ما هو مصنف على حروف المعجم لكل حرف عشرون بيتا من الشعر (٤)

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٧ ، وابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٨٢ ، وابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣٢ .

— من اشعار ابن أبى زمنين فى الزهد قوله :

لا تطمئن الى الدنيا وزخرفها
وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا
اين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقاهم الدهر كأسا غير صافية
فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

(٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (عصر الطوائف والمرابطين) ص ١٣٠ .

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ .

(٤) الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٥٥ .

ومنهم أبو محمد عبد الله بن هارون الأصبحي من أهل لارده ، كان شاعرا متصاونا من أهلم العلم (١) .

وقد توالى بعدهم عدد من الزهاد الشعراء مثل ابن الريوالى الذى نظم أشعارا كثيرة فى الزهد وأحمد الاقليشى الذى كانت له فى الزهد معشرات شعرية كتبها الناس عنه ، وأبو الحسن على بن اسماعيل الفهرى الطليطلى الذى سكن رابطة يناها فى شقبانية بنواحى أشونة عرفت برابطة الطليطلى ونظم أشعارا رائعة فى معانى الزهد حتى شبه فى الأندلس بأبى العتاهية ، وأبى اسحاق ابراهيم بن مسعود التجيبى الغرناطى يعرف بالأليبرى لسكناه البيره بعد أن أخرج عن غرناطة ، كان أبو اسحاق ابراهيم يروى أشعار ابن أبى زمنين ومؤلفاته وكان هو نفسه شاعرا زاهدا نظم أشعارا يحرض فيها أهل غرناطة على اليهود خاصة ابن النغريلة المتسلط على دولة بنى زيرى فأبعد عن غرناطة . وأبو محمد عبد الله العسال الشاعر الزاهد الطليطلى المشهور الذى بكى فى أشعاره سقوط طليطلة فى أيدى نصارى الأسبان (٢) .

والى جانب الشعراء الزهاد كان يوجد زهاد آخرون مثل قاسم ابن حامد الأموى من أهل ريه يكنى أبو محمد ، كان مدار الفتيا فى بلده وكان زاهدا فاضلا ناسكا ورعا مع الفقر والاقلال توفى قبل الفتنة ، قبل سنة ٤٠٠ هـ (٣) وأبو حبيب أحمد بن حبيب كان من صالحى الأمة وعبادها وزهادها ، نبذ التجارة لشىء اطلع عليه من شريك كان له فتبرأ عن جميع ما فى يديه ودخل الأندلس فقيرا مجاهدا فسكن الثغر واشتهر هناك وظل مراطا حتى توفى سنة ٤٠٠ هـ (٤) .

هكذا وصل الزهد فى الأندلس الى ذروته فى نهاية القرن الرابع الهجرى الذى يستحق أن يدعى قرن الزهاد فى الأندلس وقد استمر الزهد كنزعة قائمة على الساحة الروحية الأندلسية فى القرن الخامس الهجرى الا أننا نلاحظ تناقص أعداد الزهاد فى هذا القرن عن القرن الرابع الهجرى على الرغم من تردى الأحوال السياسية وسوئها عن ذى قبل ممثلة فى الفتنة

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٤ .
(٢) احسان عباس : المرجع السابق ، ص‌ص ١٣٢ — ١٣٣ .
(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٦٠ .
(٤) القيروانى : أنموذج الزمان ، ص ١٤١ .

الكبرى السماة بالفتنة البربرية التى افتتحت القرن الخامس الهجرى وممثلة أيضا فى انقسام الأندلس الى ممالك صغيرة أو دويلات تسمى ممالك الطوائف لم تهدأ نار المنازعات بينها يوما مفسحة المجال أمام نصارى الأسبان للاستيلاء على أراضى الأندلس جزء وراء آخر مما يشكل عوامل دافعة نحو الزهد والأعراض عن الدنيا ، لكن أعداد الزهاد تناقصت ولم يكن تناقصها لنزعة مادية فشت فى بلاد الأندلس بقدر ما يرجع هذا التناقض الى نزعة أخرى روحية هى التصوف التى كانت قد انتشرت وقاسمت نزعة الزهد فى أعداد هؤلاء المعرضين عن زخرف الدنيا وعرضها فأصبح المتصوفة يقفون على الساحة الروحية جنبا الى جنب مع الزهاد .

كان من زهاد مطلع القرن الخامس الهجرى فى الأندلس أبو جعفر أحمد بن محمد بن ميمون من أهل طليطلة صاحب أبى اسحاق بن شنظير ونظيره فى الجمع والاكثار والملازمة معا ، سمع بالأندلس من خلق كثير ورحل الى المشرق سنة ٣٨٠ هـ مع صاحبه أبى اسحاق فسمعا بمكة وبالمدينة وبوادى القرى وبمدين وبالقلزم ومصر وبالطرابلس والقيروان ثم انصرف الى طليطلة فاستوطنها ورحل الناس اليه بها والتزم الرباط فى حصن الفهمين . كان من أهل العلم والفهم راوية للحديث حافظا لرأى مالك وأصحابه وكانت له أخلاق كريمة وآداب حسنه بحسن ما يحاوله قولا وعملا محمودا محبوبا مع الفضل والزهد الفائت والورع وكان يأخذ بنفسه مأخذ الأبدال مقبلا على طريق الاخرة منفردا بلا أهل ولا ولد . كانت كتبه وكتب صاحبه ابن شنظير أصح كتب بطليطلة ، توفى فى شعبان سنة ٤٠٠ هـ ودفن بحومة باب شاقره بربض طليطلة (١) .

وأبو محمد خلف بن على السبتى الزاهد قدم الأندلس وكان زاهدا متبتلا سائحا فى الأرض راوية للعلم ، سكن مسجد متعة ، وكان الصلحاء والزهاد يقصدونه هنالك وسمع منه جماعة من علماء قرطبة وغيرها ، توفى فى صدر الفتنة البربرية سنة ٤٠٠ هـ (٢) . وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن اسماعيل الخشنى يعرف بابن المشكيالى من أهل طليطلة ، سمع بقرطبة وبطليطلة ، له رحلة الى المشرق ، حج وسمع بمصر والاسكندرية والقيروان . كان حافظا للمسائل والرأى عينا من أعيان طليطلة . وكان له ورع وزهد

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١ — ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٧٧ .

وتواضع متقللا من الدنيا عاملا بالعلم ثقة لا تأخذه فى الله لومة لائم فى صرعه الحق بالحق ، توفى سنة ٤٠٠ هـ (١) وأبو الربيع سليمان بن ابراهيم ابن هلال القيسى من أهل طليطلة ، كان صالحا زاهدا عالما بأمور دينه تاليا للقرآن مشاركا فى التفسير والحديث ورعا فرق جميع ماله وانقطع لله عز وجل ولزم الثغر ، توفى بحصن عرماج (٢) .

ومن أعلام الزهاد فى الأندلس أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن حسين ابن شنظير الأموى من أهل طليطلة ، كان زاهدا فاضلا ناسكا صواما قواما ورعا كثير التلاوة للقرآن ويغلب عليه علم الحديث واشتهر بطلبه وجمعه . كان سنيا منافرا لأهل البدع والأهواء لا يسلم على أحد منهم ، ما رؤى فى وقته أزهد منه فى الدنيا ولا أوفر منه مجلسا وكان لا يذكر فى مجلسه شيء من أمور الدنيا الا العلم . كانت له ولصاحبه أبى جعفر ابن ميمون حلقه فى المسجد الجامع يقرأ عليهما فيها كتب الزهد والرقائق والكرامات ورحل الناس اليهما ولما توفى صاحبه أبو جعفر أحمد بن محمد ابن ميمون انفرد هو بالمجلس ، توفى ودفن بربض طليطلة سنة ٤٠٢ هـ (٣) .

وكان من زهاد القرن الخامس الهجرى فى الأندلس أبو محمد عبد الله ابن سلام الصنهاجى من أهل قرطبة ، كان رجلا صالحا وتوفى سنة ٤٠٢هـ(٤) وأبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين ، من أهل طليطلة اشتهر بالعلم والعمل والفضل والتقشف والورع وكانت تقرأ عليه كتب الزهد والرقائق وكان يعظ الناس بها ويذكرهم ، وكان الناس يرحلون اليه لسعة روايته وفضله توفى سنة ٤٠٣ هـ (٥).

وكان منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمى ، من أهل قرطبة ، كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد فى العبادات مائلا الى التقشف والزهد ، حسن المذهب متبعا للسن (٦) . وأبو بكر محمد التجيبى الحصار ، من أهل قرطبة ، كان من العلماء الفضلاء الزهاد ،

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ٤٨٦ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٩ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٨٩ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٥٠ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣١٣ .
(٦) المقرى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤١٢ .

خرج من الأندلس لأمور جرت له مع فقهائها ومحدثيها وأقام بسببته بالعدوة المغربية ثم عاد الى الأندلس مستخفيا فورد قرطبة مستترا فعفا عنه المنصور ابن أبى عامر ولزم قرطبة ممسكا لسانه بقية حتى توفى سنة ٤٠٦ هـ (١) .

وكان منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد المعافرى قاضى الجماعة بقرطبة وأصله من باجه ، استقضاه الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر فكان محمود السيرة جميل الطريقة وكان يلح فى الاستعفاء الى أن أعفاه السلطان فانصرف عن العمل محبوبا من الناس شاكرا لله على الاستعفاء وتصدق لذلك بمدى من قمح ودخل بيته فعاود طريقته من الزهد والانقباض حتى توفى سنة ٤٠٧ هـ (٢) .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن عبد الله الكتانى الزاهد ، من أهل قرطبة كان فاضلا صالحا زاهدا ، علم القرآن بمسجد النخيل فى قرطبة توفى سنة ٤٠٧ أو ٤٠٨ هـ (٣) . وأبو عثمان سعيد بن رشيق الزاهد من أهل قرطبة سمع بالأندلس وكانت له رحلة . كانت له رواية كثيرة لكنه اعتزل الناس وأقبل على العبادة لا يحدث الا من قصد اليه منفردا ، توفى سنة ٤١٠ هـ ودفن بمقبرة الربض (٤) . وأبو القاسم أحمد بن عمر ابن عبد الله بن منظور الحضرمى يعرف بابن عصفور كان خطيبا بجامع اشبيلية وكان فاضلا صالحا عاقلا زاهدا فى الدنيا من أهل العلم والأدب والفهم له أشعار فى رثاء قرطبة ، أراد أهل اشبيلية أن يولوه أحكامهم فعزم على الخروج عن بلدهم حتى سكتوا عنه ، توفى سنة ٤١٠ هـ (٥) .

وكان منهم بو المطرف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن القنازعى، من أهل قرطبة ، كان قد سمع بالأندلس من جماعة ثم رحل الى الشرق سنة ٣٦٧ هـ فسمع بالقيروان وبمصر وبمكة وعاد الى الأندلس سنة ٣٧١ هـ بعلى كثير وأقبل على الزهد والانقباض واقراء القرآن وتعليمه ونشر العلم ، كان فقيها زاهدا ورعا متقشفا متقللا من الدنيا كثير الصوم والصلاة والتهجد حسن الاخلاق جميل اللقاء وقيل انه مجاب الدعوة . ندبه على

---

(١) ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٣٤ .
(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١٤ .
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١٤ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢١٥ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣١ .

ابن حمود الحسنى لما تولى الخلافة فى قرطبة الى الشورى فلم يقبل • وتوفى القنازعى سنة ٤١٣ هـ ودفن بمقبرة ابن عباس على مقربة من يحى ابن يحيى وشهد جنازته حفل عظيم (١) •

وكان منهم أبو عمر أحمد بن عيسى الالبيرى من أفراد الزهاد فى وقته ، كانت له مقطوعات وأبيات كثيرة فى الزهد والعظات ، كان حيا يخاطب بعض اخواته فى سنة ٤١٦ هـ (٢) •

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار ، من أهل قرطبة ، روى بالأندلس عن جماعة ورحل الى المشرق فحج وسكن مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وأفتى بها • كان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء ، وكان ناسكا متقشفا عظيم القدر عند السلطان والعامة وقيل انه مجاب الدعوة توفى سنة ٤١٩ هـ وكان الحفل فى جنازته عظيما وقيل ان طيورا تشبه الخطاف حلقت فوق نعشه لم تفارقه حتى وورى ودفن بمدينة بلنسية (٣) •

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان يعرف بابن الحاج ، من أهل قرطبة ، كان حافظا لكتاب الله مجودا له مع حلاوة صوته ، وكان اذا أحيا فى الجامع لا يتمالك كل من سمعه من البكاء كان زاهدا يقول شعرا حسنا وكان له تأليف فى الزهد كبير ، خرج فى رحلة للحج سنة ٤١٩ فلحقته المنية بالقيروان (٤) •

وكان منهم أبو الوليد هشام بن محمد بن سليمان بن اسحاق بن هلال القيسى السائح الزاهد من أهل طليطلة روى عن عدد من الزهاد مثل عبدوس بن محمد وابن ذنين وابن أبى زمنين ، كان زاهدا فاضلا متنسكا متبتلا منقطعا عن الدنيا صواما قواما يصوم رمضان فى الفهمين ويصنع فى عيد الفطر طعاما كثيرا لأهل الحصن ولمن حضره من المرابطين وكان

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٢٢ ، وابن فرحون : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨٥ •

(٢) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ٨٤٧ •

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥١٠ ، والمقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٦ — يجعل المقرى وفاته سنة ٤١٧ هـ •

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٦٣ •

يرابط بنفسه فى الثغور ويلبس الخشن من الثياب ، توفى سنة ٤٢٠ هـ (١).

وكان منهم أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن خزرج ؛ من أهل اشبيلية روى عن غير واحد منهم أبى أيوب سليمان بن ابراهيم الزاهد الغافقى . كان من أهل العلم والعمل والزهد فى الدنيا ، مشاركا فى عدة علوم ، توفى سنة ٤٢١ هـ (٢) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد ابن ذنين الصدفى ، من أهل طليطلة ، سمع ببلدة وبمدينة الفرج وبقرطبة ثم رحل الى المشرق مع أبيه سنة ٣٨١ هـ فحج وسمع بمكة وبمصر وبالقيروان ثم انصرف الى الأندلس فسكن طليطلة وروى بها ورحل الناس اليه من البلدان . كان خيرا فاضلا زاهدا عابدا مجتهدا دينا ورعا متواضعا سنيا عالما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا تأخذه فى الله لومة لائم وكان مهيب محبوبا من جميع الناس لم يختلف اثنان فى فضله ويتبرك الناس بلقائه . كانت جل بضاعته قراءة كتب الزهد وروايتها وشىء من كتب الحديث . توفى سنة ٤٢٤ هـ (٣) .

وكان منهم أبو بكر أحمد بن اسماعيل بن سعيد القيسى يعرف بالسبتى ، أصله من اشبيلية وسكن سبتة فنسب اليها ؛ كانت له رحلة سمع فيها . وكان من أهل الزهد والانقباض والعناية بالعلم . توفى بسبتة سنة ٤٢٩ هـ (٤) .

وكان منهم الامام الزاهد أبو عمر الحصار ، كان شديد الورع كثير الانقباض عظيم الصبر ، توفى سنة ٤٢٩ هـ (٥) وأبو الوليد يونس ابن عبد الله بن محمد بن مغيث قاضى الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها يعرف بابن الصفار . وكان من أهل العلم بالحديث فقيها عالما بالعربية قائلا للشعر النفيس فى معانى الزهد وما شابهه بليغا فى خطبة كثير الخشوع فيها مبتمالك من سمعه عن البكاء وكان خيرا فاضلا زاهدا

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٠٢ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٤ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٥ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٠٤ .

فى الدنيا راضيا منها باليسير ، من تواليفه كتاب فضائل المنقطعين الى الله عز وجل وكتاب التسلى عن الدنيا بتأميل خير الآخرة وكتاب فضـــائل المتهجدين وكتاب الابتهاج بمحبة الله عز وجل وكتاب المستصرخين بالله تعالى عند نزول البلاء وغير ذلك من تواليفه فى معانى الزهد وضروبه ، توفى سنة ٤٢٩ هـ ودفن بمقبرة ابن عباس وشهده خلق عظيم (١) •

وكان منهم أبو محمد حماد بن عمار بن هاشم الزاهد من أهل قرطبة ، رجلا صالحا زاهدا ورعا يتبرأ الناس به وتوفى ســـنة ٤٣١ هـ (٢) • وأبو عمرو معوز بن داود بن دلهاث الأزدي التاكرنى الزاهد من حضرة رندة ، كان فقيها جليلا وعابدا مجتهدا وعالما بكثير من الحديث من أهل الخير والصـــلاح والزهد والورع والتواضع وقيل انه مجاب الدعوة توفى سنة ٤٣١ هـ (٣) •

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن لباج الاموى الشنتجيالى الى والصلاح والصيانة ومن أهل الكتابه والبلاغة والنباهة لكنه تخلى عما كان بسبيله من الكتابة ولزم النسك والعبادة وزهد فى الدنيا الى أن توفى سنة ٤٣٥ هـ (٤) •

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن لباج الأموى السنتجيالى من أهل قرطبة ، رحل وجاور بمكة أربعين عاما واذا أراد أن يغوط خرج من الحرم الى الحل فيقضى حاجته تعظيما للحرم • كان خيرا عاقلا حليما جوادا زاهدا متبتلا منقطعا الى ربه ورعا ولم تكن للدنيا عنده قيمـــة ولا قدر • توفى بقرطبة سنة ٤٣٦ هـ ودفن بمقبرة الربض قبلى قرطبة (٥) •

وكان منهم أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد التجيبى يعرف بابن المشاط من أهل طليطلة أخذ عن أبى عبد الله بن الفخار كان ثقة من أهل الزهد والورع والصلاح وغلبت عليه العبادة ، توفى حوالى سنة ٤٣٩ هـ (٦) •

---

(١) ابن بشكوال المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٨٤ •
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٥٦ • الضبى : المصـــدر الســـابق ص ٢٧٦ •
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢٥ •
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٧١ •
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٧١ •
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥١ •

وكانت منهم أمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسى الزاهدة ، كانت تروى عن أبيها ، وكانت صوامة قوامة وتوفيت بكرا لم تنكح فقط سنة ٤٤٠ هـ (١) •

وكان منهم أبو بكر مزين بن جعفر بن مزين من أهل قرطبة ، كان فاضلا زاهدا منقبضا عن الناس ، توفى سنة ٤٤١ هـ (٢) • وعبد الرحمن ابن ابراهيم بن محمد بن عون الله بن حدير ، من أهل قرطبة رحل الى المشرق فسمع بمصر وبمكة وبالقيروان ثم انصرف الى الأندلس فكان أحد العدول وكان فاضلا ناسكا ورعا زاهدا صدوقا من بيت علم وشرف وقد جربت له دعوات مستجابات وكان اماما بمسجد عبد الله البلنسى وتوفى سنة ٤٤١ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة (٣) •

وكان منهم أبو العاص حكم بن محمد بن حكم بن محمد الجذامى يعرف بابن افرانك ، من أهل قرطبة ، كان رجلا صالحا ثقة ، كان صليبا فى السنة متشددا على أهل البدع عفيفا ورعا صبورا على القل رافضا للدنيا مهينا لأهلها منقبضا عن السلطان لا يأتيهم زائرا ولا شاهدا ، توفى سنة ٤٤٧ هـ ودفن بمقبرة أم سلمه وقيل انه رؤى على نعشه أيضا يوم دفنه طيورا لم تعهد كانت تحلق فوقه وتتبع جنازته (٤) • وأبو عثمان سعيد بن محمد بن جعفر الأموى ، من أهل طليطلة روى عن الصاحبين ابن شنطير وابن ميمون وغيرهما ، وكان فاضلا عفيفا دينا ثقة متقبضا كثير الصلاة والصيام وكان قد نبذ الدنيا وأقبل على العبادة توفى سنة ٤٤٨ هـ (٥) • وأبو عمر أحمد بن محمد بن عمر الصدفى الزاهد يعرف بابن أبى جناده من أهل طليطلة ، كان من أهل العلم والعمل وترك الدنيا صواما قواما منقبضا عن الناس فارا بدينه ملازما لثغور المسلمين ، توفى سنة ٤٥٠ هـ وحضر جنازته المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة وقتذاك (٦) •

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٩٤ •
(٢) الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٧٠ •
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٣٢ •
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥٩ •
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٢٢ •
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٥٩ •

وكان منهم أبو محمد القاسم بن الفتح بن يوسف يعرف بابن الزيولى ، من أهل مدينة الفرج كان شاعرا زاهدا دينا ورعا متقللا من الدنيا له أشعار كثيرة فى الزهد ، توفى سنة ٤٥١ هـ (١).

وكان منهم أبو جعفر بكر بن عيسى بن سعيد بن أحمد بن علاء ابن أشعث الكندى الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان فريدا فى نسكه وزهده وصيانة نفسه وانقباضه عن جميع أهل الدنيا ، كان يتأسى بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين ، توفى سنة سنة ٤٥٤ هـ (٢) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن موسى بن سعيد الأنصارى ، يعرف بالشارقى ، من أهل طليطلة ، سمع بالأندلس وله رحلة ، كان من خيار المسلمين وممن انقطع الى الله عز وجل ورفض الدنيا وتجرد لأعمال الآخرة مجتهدا فى ذلك بلا أهل ولاولد ، لم يباشر محرما الى أن مات على أقوم طريقة . كان حسن الخلق متواضعا قليل المال راضيا باليسير من المطعم والملبس ، توفى سنة ٤٥٦ هـ (٣) .

وكن منهم أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان التجيبى يعرف بابن الباليه ، من أهل طليطلة ، سمع بالأندلس وله رحلة الى المشرق ، كان زاهدا فاضلا من أهل الصيام والتلاوة والورع والانقباض عن الوجاهة والرياسة امتنع عن تولى الاحباس توفى فيما يبدو بعد سنة ٤٩٢ هـ (٤) .
وكان منهم عمروس بن اسماعيل بن الحصار الزاهد صاحب الاليبرى ، توفى سنة ٣٦٦ هـ (٥) .

وأبو بكر جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجرى ، من أهل طليطلة ، كان فقيها مالكيا عالما بالفتوى وعقد الشروط مشاورا فى الأحكام

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٧٠ .
— من شعره فى الزهد :

يا معجبا بعلائه وغنائه ومطولا فى الدهر حبل رجائه
كم ضاحك اكفانه منشورة ومؤمل والموت من تلفائه

(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٥ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٧٨ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٠ .
(٥) الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

وله مجلس يعظ الناس فى آخره وتقرأ عليه كتب الزهد والرقائق وكانت العامة تعظمه ، توفى سنة ٤٦٦ هـ (٢) .

وكان منهم أبو محمد عبد الله بن نعوز بن أحمد المعافرى من أهل شاطبة ، كان من أهل العلم والفهم والصلاح والورع والزهد مشهورا بذلك كله ، توفى سنة ٤٧٥ هـ (٢) . وأبو الربيع سليمان بن ربيع القيسى من أهل غرناطة كان من أهل الانقباض والصلاح والعفاف والزهد فى الدنيا ، ولى الفتيا ببلده فزهد فيها لاشتغاله بما يعنيه (٣) .

وكان منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن فرج الأنصارى يعرف بابن رميله ، من أهل قرطبة ، كان معتنيا بالعلم وصحبة الشيوخ وله شعر حسن فى الزهد ، كان من أهل العلم والورع والفضل والدين استشهد بالزلاقة مقبلا غير مدبر سنة ٤٧٩ هـ (٤) .

وكان منهم عبد الله بن حيان الآروسى نزيل بلنسية فقيه محدث عارف توفى سنة ٤٨٧ (٥) وأبو عبيد الله عبيد بن محمد الزاهد ، من أهل قرطبة ، كان يسكن بالمبلطة ، وكان رجلا صالحا يضرب به المثل فى الزهد (٦) .

وكان منهم أبو عمر أحمد بن مروان بن قيصر الاموى يعرف بابن اليمنالش ، من أهل ألمرية ، فاق فى الزهد والورع أهل وقته وكان العمل أملك به ، توفى سنة ٤٩٦ هـ (٧) . وأبو داود سليمان بن نجاح المقرىء مولى المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر كان زاهدا سكن بلنسبة وتوفى بها سنة ٤٩٦ هـ (٨) .

وكان منهم أبو الحسن على بن خلف بن ذى النون بن هذيل العبسى المقرىء من أهل قرطبة لكن أصله من اشبيلية . له رحلة سمع فيها ببيت المقدس وبمصر . كان من جلة المقرئين وخيارهم ، علم الناس القراءة بجامع

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٢ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٧٤ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠٣ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٨ .
(٥) الضبى : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٤٠٠ .
(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٢ .
(٨) ابن الأبار : المعجم فى اصحاب القاضى ابى على الصدفى ص ٤٦٦
الضبى : المصدر السابق ص ٣٠٣ .

قرطبة وأسمعهم الحديث . اشتهر بالخير والصلاح والتواضع والزهد فى الدنيا والرضا منها باليسير واشتهر باجابة الدعوة ، توفى سنة ٤٩٨ هـ ودفن بمقبرة الربض فى جنازة مشهودة (١) .

وبوفاة أبى القاسم خلف بن محمد الأنصرى المعروف بالسراج فى سنة ٥٠٠ هـ تختتم وفيات زهاد القرن الخامس الهجرى (٢) لكن الساحة الاندلسية لم تخل بعد ذلك من الزهاد بل ظل لهم وجودهم وشأنهم على الرغم من تزايد اعداد المتصوفة على حسابهم . ويمكننا أن نشير الى بعض زهاد مطلع القرن السادس الذين لحقتهم منيتهم فى مطلع هذا القرن لكنهم ينتمون حقيقة الى القرن الخامس الهجرى .

كان من هؤلاء أبو محمد عبد الله بن سعيد بن حكم المقتلى الزاهد من أهل قرطبة ، قرأ القرآن على أبى محمد مكى بن أبى طالب المقرىء وكان آخر من بقى ممن قرأ عليه . كان المقتلى أحد الزهاد العباد الفضلاء الصلحاء الذين يتبرك برؤيتهم ودعاءهم توفى سنة ٥٠٢ هـ (٣) . وخلف ابن سليمان بن فتحون الأوريوالى ، فقيه فاضل عارف تولى قضاء شاطبة ودانية ثم استعفى ولزم الانقباض وكان يسرد الصوم ، توفى سنة ٥٠٥ هـ (٤) وأبو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى يعرف بابن الفاسى من أهل ستيه ودخل الاندلس كان من أهل العلم والفضل والتقشف ، توفى بسبته سنة ٥١٣ هـ (٥) . ومحمد بن يحيى الفراء قاضى ألمرية ، من أهل الفقه والفضل والزهد والورع ، كان — فيما يقال — مجاب الدعـوة متقللا من الدنيا ، توفى سنة ٥١٤ هـ (٦) .

وأشهر زهاد مطلع القرن السادس الهجرى الذين ينتمون الى القرن الخامس أبو على الصدفى بن محمد بن فياره بن حيان القاضى المعروف

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٧٥ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٩٠ .
(٤) الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .
(٥) عياض : الغنية ، ص ١١٩ .
وابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠١ .
(٦) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

بأبن سكره ، كان من أهل سرقطة وسكن ألمرية وبلنسية . كان إماما محدثا زاهدا هو الذى صنف ابن الآبار معجما فى أصحابه ؛ توفى سنة ٥١٤ هـ (١) وكان لأبى على الصدفى أصحاب - أو تلاميذ - كثيرون من الزهاد منهم من توفى قبله كأبى مروان عبد الملك بن مسرة بن خلف بن الفرج من أهل شنتمرية الشرق ، سكن قرطبة وتولى قضاء الجماعة بها وكان من أهل الزهد والورع والتواضع والتقلل من الدنيا على تمكنه منها توفى سنة ٥١٢ هـ (٢) ومنهم من توفى بعده مثل ابن الخياط محمد بن حسين ابن أبى بكر الحضرمى من أهل دانية ، كان فقيها مشاورا معروفا بالفضل والزهد (٣) وقد كان لأبى على الصدفى وأصحابه أثر فى استمرارية الزهد على الساحة الأندلسية رغم ظهور النزعة الصوفية وتفشيها فى الأندلس .

---

(١) ابن الابار : المصدر السابق ، مقدمة .
الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .
(٢) ابن الابار : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

التصوف فى الأندلس

تصاعد الزهد فى الأندلس مؤديا الى التصوف على نحو ما حدث فى بلاد المغرب الاسلامى • وكما أنه كان من الصعوبة بمكان تحديد بداية قاطعة للتصوف فى بلاد المغرب فقد كان الأمر كذلك بالنسبة للأندلس ، لكنه اذا صعب علينا تحديد بداية قاطعة للتصوف فى الأندلس فليس من العسير آن نتعرف على أسباب ظهور نزعة التصوف فى هذا المصر الاسلامى •

لقد ظهر التصوف فى الأندلس نتيجة التصاعد الذى ألم بالعوامل المسببة للزهد على نحو ما أشرنا سابقا ، فقد كثرت رحلات الأندلسيين — من زهاد وغير متزهدين — الى المشرق ، والتقى بعضهم بمتصوفة المشرق فتأثروا بهم ونحوا نحوهم فى الاغراق والمغالاة فى الزهد وصولا به الى التصوف فكم من أندلسى رحل الى المشرق ثم قفل الى الأندلس وقد نزع الى التصوف بعد أن تأثر بمن لقيه من المتصوفة • فعلى سبيل المثال كان أبو عثمان سعيد بن عمران بن مشرف من أهل قرطبة ، أصاب بعض التفصير فى حداثته ثم أنعم الله عليه فأقلع عما كان فيه وتصدق بأكثر ماله وخرج حاجا ودخل العراق فسمع من بندار محمد بن بشار وغيره وتعبد حتى صار منقطع القرين وتوفى فى صدر أيام الأمير عبد الله الذى تولى سنة ٢٧٥ هـ (١) • وأبو محمد عبد الله بن مسرة بن نجيح ، من أهل قرطبة ، رحل به آخوه ابراهيم بن مسرة — وكان تاجرا — الى المشرق وهو صغير فسمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار وغيره وعاد الى الأندلس فردد فيه ما سمعه بالمشرق حتى اتهم بالقدر مع أنه كان فاضلا دينا طويل الصلاة ورحل ثانية الى المشرق فى آخر عمره وتوفى بمكة سنة ٢٨٦ هـ (٢) • وكان عبد الملك بن عبد السلام المعروف بابن قلمون من أهل قرطبة قد سمع من محمد بن وضاح بن بزيغ وغيره وزهد فى الدنيا منقطعا الى الله عز وجل ثم رحل الى المشرق فالتقى بعباده وأخذ عنهم وجاور بمكة متصوفا فلم يزل على منهج الأبدال حتى توفى بمـكة وورد نعيه الى الأندلس ٣٠٢ هـ (٣) •

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦١ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢١٧ •
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٠ .

على هذا النحو كان الأندلسيون يلقون فى رحلاتهم صوفية المشرق ويأخذون عنهم ويسيرون على طريقهم فى النزوع الى التصوف . ومن ناحية أخرى ، وفد الى الأندلس عدد من صوفية المشرق يدعون الى نزعتهم وينشرونها بين الأندلسيين ، من هؤلاء — على سبيل المثال — أبو العباس طاهر بن محمد بن عبد الله بن موسى بن ابراهيم المعروف بابن المهند . كان من أهل بغداد ، وصل الأندلس فى جمادى الأولى سنة ٣٤٠ هـ . كان شاعرا مفلقا له رسائل عجيبة ومقالات فى معانى الزهد على مذاهب الصوفية ، توفى بقرطبة سنة ٣٩٠ هـ (١) . وأبو اسحاق ابراهيم بن على ابن محمد بن أحمد الديلمى الصوفى من أهل خراسان ، دخل الأندلس سنة ٣٥٨ وكان قد لقى بالمشرق قبل دخوله الأندلس عددا من الصوفية مثل أبى عبد الله خفيف بفارس وجعفر بن نصر الخلدى ببغداد وأبى عبد الله الروذبارى يصور وأبى بكر الرقى بدمشق وأبى الخير الأقطع التينياتى بالتينيات (٢) . ودخل الاندلس سنة ٣٧٢ أبو بكر أحمد بن محمد ابن صالح بن النضر الأنطاكى الصوفى ، كان مذهبه التصوف والسياحة جوالا فى البلاد (٣) وقدم الى الأندلس أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفى ، كان رجلا صالحا مشهورا على طريقة قدماء الصوفية المحققين وذوى السياحة المتجولين ، أقام فى الاندلس حتى توفى بعد سنة ٤٣٠ بقليل (٤) .

وكان من المتصوفة الوافد بن الى الأندلس أبو الحسن على بن حمزة الصقلى دخل الأندلس قبل سنة ٤٤٠ هـ ، كان يتكلم فى فنون ويشارك فى علوم ويتصوف (٥) وأبو عبد الله الحسين بن الحسن بن الفتح الدمياطى الواعظ ، كان يحدث بحديث الصوفية عن أبى الحسن سهل بن محمد ابن الحسين الصوفى عن أبى عبد الرحمن السلمى ، حدث بطليطلة وبطليوس سنة ٤٧٣ هـ (٦) .

---

(١) ابن القرضى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٢ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٦٢ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢٠ .
(٤) الحميدى ، المصدر السابق ص ٦١ الضبى : المصدر السابق ، ص ٨١ . وابن بشكوال : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٩٥ .
(٥) الحميدى : المصدر السابق ص ٤٣٣ الضبى : المصدر السابق ص ٤٢١ .
(٦) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

ومن العوامل الهامة الدافعة الى نزوع أهل الأندلس الى التصوف سوء الأحوال السياسية واضطراب الأندلس لفترات طويلة من تاريخه الاسلامى ، فلقد كان النصف الثانى كله من القرن الثالث الهجرى فترة فتن وثورات وقلاقل واضطرابات عانى منها الأندلسيون ولم تنته هذه الفتن والقلاقل الا على يد عبد الرحمن الثالث بن محمد الذى تلقب بالناصر لدين الله الذى تمكن فى صدر القرن الرابع الهجرى من اعادة الاستقرار الى الأندلس لكن الفتن والثورات لم تلبث أن أطلت برأسها من جديد فى مطلع القرن الخامس الهجرى فى شكل فتنة مبيرة جامحة زلزلت أركان الأندلس وخلفته متفرقا الى دويلات صغيرة متناحرة هى التى عرفت باسم ممالك الطوائف وقد تنافس حكام هذه الدويلات فى البذخ من ناحية وتنازعوا على السلطان من ناحية أخرى وتقاعسوا عن التصدى لنصارى الأسبان مما كان له أوخم العواقب على الوجود الاسلامى فى الأندلس وكان لذلك رد فعل عنيف فى نفوس الأندلسيين وأصيب بعضهم بالقنوط واليأس وجنح منهم من ضح الى الانقباض والتصوف .

وكان مما ساعد على ميل الأندلسيين الى التصوف حركة المتصوفة فى المجتمع الأندلسى ، فقد كان كثير من المتصوفة يعملون على نشر طريقهم وبث نزعتهم فى نفوس الأندلسيين ، بل ان محمد بن مسرة الجبلى نظم دعوة منسقة هدفها استمالة الناس الى مذهبه . وكان لتولى بعض المتصوفة خطة القضاء وحسن سيرتهم فيها أثره فى استمالة بعض الأندلسيين الى التصوف ، فقد ولى عبد الرحمن الأوسط بن الحكم على القضاء أبا عبد الله معاذ بن عثمان الشعبانى ، وكان الشعبانى هذا من أوائل متصوفة الأندلسيين ، قيل انه كان من الأبدال عابدا مجاب الدعوة توفى سنة ٢٣٤ هـ (١) .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٢٠٤ ، وابن سعيد : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٠ - يقدم ابن حيان عن الفترة التى تولى فيها معاذ بن عثمان الشعبانى القضاء معلومات مضطربة ، فيذكر أولا أنه تولى القضاء بقرطبة بضعة اشهر ثم عزله عبد الرحمن الاوسط بدعوى تعجله فى الحكم حتى انه فصل فى سبعين قضية فى مدة تولية القصيرة ثم يذكر لاحقا انه تقلد القضاء ما سنة ٣٣٢ هـ ومات وهو يليه سنة ٢٣٤ هـ فعمل عليه ثلاثة أعوام . وأغلب الظن انه قد حدث خلط بين معاذ بن عثمان واخيه يخامر بن عثمان الذى يذكر ابن حيان نفسه انه كان قد تولى قضاء قرطبة سنة ٢٢٠ هـ وعزل آخرها فمدة ولايته أقرب الى أن تكون الشهور السبعة المشار اليها آنفا .

وكان من المتصوفة من شارك فى الجهاد والرباط بثغور الاندلس ، من هؤلاء — على سبيل المثال — أبو عثمان سعيد بن محمد بن سيد أبيه ابن مسعود الأموى البلدى من ناحية بلدة من عمل ريه ، وصف بأنه كان رجلا صالحا متقشفا يلبس الصوف ، وكان كثير الرباط والجهاد فى الثغور (١) .

وفضلا عن ذلك فقد كان من الطبيعى أن يظهر التصوف فى بلاد الأندلس امتدادا لظهوره فى بلاد المغرب من ناحية وانعكاسا لانتشاره فى المشرق الاسلامى من ناحية أخرى ، اذ كان للتيارات المشرقية — كما أشرنا آنفا — صداها فى كل من بلاد المغرب الاسلامى والاندلس على حد سواء .

تصاعد التصوف فى الأندلس :

على الرغم من صعوبة تحديد بداية قاطعة للتصوف فى بلاد الأندلس — كما سبق أن أشرنا — فانه من الممكن أن نعتبر تصوف أبى عبد الله معاذ ابن عثمان الشعبانى المتوفى سنة ٢٣٤ هـ ارهاصة بظهور نزعة التصوف فى بلاد الأندلس ، وقد توالى بعد ذلك ظهور عدد من المتصوفة الأندلسيين منذ أواخر القرن الثالث الهجرى لكن تصوفهم هذا المبكر لم يكن يعدو كونه سلوكا فرديا لم يبلغ بعد أن يكون تيارا عاما اذ كانت نزعة الزهد لا تزال الأكثر قبولا وانتشارا على الساحة الأندلسية ومن ثم لم يكن للتصوف بعد رصيد كبير بين أهل الأندلس فظل مجرد نزعة فردية ينزع اليها نفر قليل من الأندلسيين . وفضلا عن هذا فقد كان هذا التصوف الفردى المبكر فى أغلبه مرحلة انتقالية بين الزهد والتصوف فكان كثير من رجاله يجمعون بين صفات الزهاد والمتصوفة بل كان منهم من يعرف بالزاهد لكنه ينحى فى سلوكه منحى المتصوفة .

كان من متصوفة هذه المرحلة المبكرة للتصوف فى الأندلس ، أبو عبد الله محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفى من أهل تطيله ، كان قد رحل الى المشرق وسمع بالقيروان مع محمد بن وضاح بن بزيغ الزاهد وشاركه فى كثير من رجاله ثم سمع من محمد بن وضاح نفسه بقرطبة لكن ابن سلمة الصدفى نزع الى التصوف فقد وصف بأنه أحد

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١١ .

على تضائها حتى امارة عبد الله بن محمد انتقل الى قلعة أيوب زمن الفتنة ثم عاد الى تطلية مرة أخرى (١) . وكان منهم أبو محمد عبد الله بن مسرة ، من أهل قرطبة ، رحل به أخوة ابراهيم بن مسرة وهو صغير الى المشرق وصحب في رحلته محمد بن عبد السلام الخشنى الزاهد ، سمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار وغيره وتردد بالبصرة ثم انصرف الى الأندلس فروى عنه جماعة من الاندلسيين ، ومع أنه كان فاضلا دينا طويل الصلاة فقد اتهمه البعض بأنه يكتم القول بالقدر لاسيما وأن أحد القدرية كان صديقا له وقد دفع ذلك بعض الدارسين المحدثين الى القول بأن أبا محمد عبد الله بن مسرة كان من المعتزلة (٢) لكنه كان فيما يبدو من المتصوفة اذ أنه ترك كسبه بيده ورحل ثانية بعد أن كبر ابنه محمد الى المشرق فسكن مكة وأصبح له فيها جاه عريض حتى توفى بها سنة ٢٨٦ هـ (٣) .

وكان من أوائل المتصوفة فى الأندلس أبو عثمان سعدون بن اسماعيل، من أهل ريه ، سمع من محمد بن وضاح ومن غيره كان عالما بالفرائض واللغة والشعر ، ورعا زاهدا متبتلا عددناه — سابقا — بين الزهاد لكنه يدخل فى عداد المتصوفة من باب أنه لم ينكح ولا تسرى ، كانت وفاته سنة ٢٩٥ هـ (٤) .

وكان منهم أبو أيوب سليمان بن حامد من أهل قرطبة ، يلقب بالزاهد لكنه وصف بأنه أعبد أهل زمانه وأحد الأبدال وكان يقال انه مجاب الدعوة ، كانت وفاته سنة ٣١١ هـ (٥) .

هكذا كان التصوف الفردى المبكر فى الأندلس خليط بين الزهد والتصوف ومن ثم كان محدود الأثر بين الأندلسيين لم يلفت أنظارهم ولاشد انتباههم اذ لم ير الأندلسيون فيه فرق كبير عن الزهد اذ لم يختلف الأبدال ، بعيد الصوت فى الخير جليلا ، وكان يخاطب الأمراء فلا يسود واحدا منهم فى كتابه استقضاه الأمير محمد بن عبد الرحمن بتطيله وظل

---

(١) ابن الفرضى : المصد السابق ، جـ ٢ ص ١٢ .
(٢) محمد الوزاد ، الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس عدد ٦ (٨٢ — ١٩٨٣) ص ص ٣٣ — ٦٤ .
(٣) ابن الفرضى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١٧ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٣ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٦ .

طريق أصحابه كثيرا عن سلوك الزهاد ولم يقولوا أقوالا تختلف كثيرا عن أقوال الزهاد أو تتعارض مع آراء مالكية الأندلس فأقصى مالوحظ فى هذا الصدد مجرد اشتباه فى أن أبا محمد عبد الله بن مسرة يكتم فى نفسه قولا بالقدر ولا يجهر به ومن ثم فقد كان هؤلاء المتصوفة الأوائل ينعتون أحيانا بالزهاد كأبى أيوب سليمان بن حامد الذى لقب بالزاهد ووصف بأنه أحد الأبدال •

وبينما شهدت أواخر القرن الثالث الهجرى فى الأندلس ذلك التصوف الفردى المبكر الذى لم يلحظه أكثرية آهل الأندلس لاختلاطه بالزهد ، فقد شهدت بداية القرن الرابع الهجرى طفرة حقيقية على طريق التصوف أحدثها محمد بن عبد الله بن مسرة الذى طلع على أهل الاندلس بنزعة تصوفية — أو دعوة — لم يعهدوا لها مثيلا من قبل فى بلادهم وأطلقوا عليها اسم المسرية (١) •

كان بلاد الاندلس قد تهيأت — نسبيا — لمثل هذه الطفرة الصوفية التى عرفت بالمسرية اذ كانت الأحوال السياسية فى الأندلس قد بلغت درجة كبيرة من السوء فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى بسبب التمرد على الحكومة المركزية والثورات التى اجتاحت الأندلس حينذاك لتشمله فتنة مبيرة هى المعروفة تاريخيا باسم الفتنة الأندلسية الثانية فى آخر عصر الامارة والتى لم تنته الا على يد عبد الرحمن الثالث بل انها أنهت معها عصر الامارة نفسه ليقوم بدلا منه عصر آندلسى جديد هو عصر الخلافة الذى بدأه عبد الرحمن الثالث سنة ٣١٦ هـ حينما أعلن الخلافة فى الأندلس ونصب نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله • ولا شك أن أهل الأندلس قد عانوا من ويلات تلك الفتنة التى أنهت عصر الامارة ونالهم من شرها الكثير فزاد نزوع الكثير منهم الى الحياة الروحية ولم يعد الزهد نزعة روحية كافية لكثير من الذين يعرضون عن الدنيا ومباهجها وانما تطلعوا الى نزعة أكبر عمقا وتوغلا فى الناحية الروحية فتصاعدوا بالزهد نحو التصوف •

---

(١) يرى بروكلمان (تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣٠٠) أن تلك الطفرة تمثل الصورة النهائية للتصوف والتى سادت المشرق بعد ذلك •

وبينما كانت بلاد الأندلس تعانى شرور الفتنة الأندلسية الثانية وويلاتها كانت تيارات فكرية متنوعة قد وجدت سبيلها الى الأندلس فلم يعد الاتجاه المالكى منفردا وحده بالساحة الأندلسية وانما أخذت تيارات فكرية أخرى طريقها الى الأندلس ، كما أن نزعة الزهد كانت تزداد انتشارا وعمقا وتصاعدا • ومن الدارسين ن يرى أن المالكية الأندلسية كانت وقتذاك تعانى أزمة حادة من جراء استفحال الصراعات الشخصية بين فقهاء المالكية وتنافسهم على الحظوة عند الأمراء من ناحية ومن ناحية أخرى ما أصاب الفكر المالكى الأندلسى من جمود حينذاك بسبب التقليد العقيم الذى تشبث به فقهاء المالكية الأندلسية فأفقدهم القدرة على الاجتهاد وأصابهم بالجهل حتى أنهم كانوا يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لا يعلمونها مع أن ما تبقى من مؤلفاته لايبرر مثل هذا الحسد اذ أن كتابه فى التاريخ ملىء بالأساطير المنقولة عن علماء المشرق دون أن يعنى بتمحيصها وتدقيقها بالروايات الصحيحة التى كانت متوفرة فى الأندلس ، كما أنه لم يكن — على حد قول ابن الفرضى — يعرف الحديث صحيحة من سقيمه ، وكان يتساهل ويحمل على سبيل الاجازة أكثر روايته (١) •

ويبدو أن المالكية الأندلسية كانت تعانى فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى من تقلص فى نفوذها السياسى بعد أن فشل شيوخها فى الايقاع ببقى بن مخلد ، فمن الملاحظ أن نفوذهم فى فترة الفتنة الأندلسية الثانية — التى أشرنا اليها — كان ضئيلا ولم يوجد بينهم من كانت له مكانة كمكانة يحيى بن يحيى الليثى وأقرانه مثل عبد الملك بن حبيب وطالوت بن عبد الجبار وعيسى بن دينار وقاسم بن هلال وسعيد بن حسان وكان تقلص هذا النفوذ السياسى للمالكية الأندلسية من العوامل الموائية لظهور الطفرة المسرية اذ لم يجد ابن مسرة من يتصدى لدعوته فى أولها ويقضى عليها قبل استفحالها •

ولد محمد بن عبد الله بن مسرة سنة ٢٦٩ هـ فى بداية فترة عانى فيها الأندلس من الاضطراب السياسى والثقافى — على نحو ما أشرنا آنفا — ، ومع أننا لا نعرف الكثير عن نشأته الا أنه نشأ فى بيئة زهدية وأسرة

---

(١) محمد الوزاد : الاتجاهات الفكرية فى الاندلس خلال القرن الثالث الهجرى . مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس عدد ٤ — ٥ (٨٠ — ١٩٨١) ص ص ١٤٨ — ١٧٨ •

زاهدة اذ كان أبوه عبد الله بن مسرة زاهدا نزع الى التصوف فى أخريات حياته حتى أنه ترك كسبه بيده ، وكان أخوه ابراهيم زاهدا أيضا . وقد تتلمذ محمد بن عبد الله بن مسرة على والده الذى ترك له كتبه عند رحيله الأخير الى مكة وكان محمد قد كبر حينذاك . وتتلمذ محمد بن عبد الله بن مسرة أيضا على محمد بن وضاح وعلى محمد بن عبد السلام الخشنى المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وكان الخشنى قد أحضر معه حين عودته من المشرق الى الأندلس كتاب المعارف لابن قتيبة وهو كتاب ملىء بأخبار الخلافات الدينية فى المشرق فكان يلقيه على تلاميذه ومنهم محمد بن عبد الله ابن مسرة . وهكذا نشأ ابن مسرة فى بيئة زهدية ملما بأخبار الخلافات الدينية فى المشرق ؛ ويبدو وأنه اهتم حينذاك بالفلسفة الأمبذوقلية اذ يؤكد ابن صاعد الأندلسى على اهتمامه بها (١) وا نكان بروكلمان يرى أنه من المتعذر معرفة كيفية وصول آراء أمبيذوقليس الى علم ابن مسرة(٢) .

وعلى الرغم من قلة ما ورد فى المصادر التى وصلت الينا عن تفاصيل حياة محمد بن عبد الله بن مسرة فان بعض الدارسين المحدثين يشيرون الى وقائع من حياته غير مؤكدة فيرى آسين بلاثيوس أن محمد بن عبد الله ابن مسرة أسس قبل رحيله الى المشرق جماعة سرية اتخذ لها مقرا بجبل العروس قرب قرطبة وقد جعل جماعته سرية لخطورة تعاليمه وتجنبا لمعارضة الفقهاء المالكية المتشددين وخشية من تأليبهم للسلطة عليه فى وقت مضطرب يبعث على الأخذ بالشبهة والشك فى الولاء (٣) .

ويذهب بالنثيا الى ما هو قريب من ذلك اذ يذكر أن الأمير عبد الله سكت عن ابن مسرة وأتباعه خوفا مما قد يؤدى اليه تعقبه وأنصاره من فتنة تقتضى الحكمة تلافيها فى وقت اجتاحت فيه الفتن الاندلس كله (٤) أى أنه كانت له جماعة قبل فراره الى المشرق فى أواخر أيام الأمير عبد الله .

لكننا اذا اطلعنا على ماكتبه كل من ابن حيان وابن الفرضى عن ابن مسرة لا نجد عندهما ما يذهب اليه بلا ثيوس عن تكوينه لجماعة سرية قبل

(١) طبقات الامم ، ص ص ٣٢ — ٣٣ .
(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣٠٠ .
(٣) Asin Palacios; Ibn Massara y su Escula. Madrid 1914; pp. 42-44.
(٤) تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٢٧ .

رحيله الى المشرق بل يذكر ابن حيان أنه « كان رحل الى المشرق فلقى هناك من درسه مذهبه » (١) . ومع أن ابن الفرضى يذكر أنه قيل له ان محمد بن مسرة اتهم بالزندقة فخرج فارا الى المشرق الا أننا نفهم مما كتبه ابن الفرضى أن محمد بن عبد الله بن مسرة لم يكن له مذهب ينسب اليه الا بعد عودته من المشرق الى الأندلس ، يقول ابن الفرضى « ورحل الى المشرق آخر أيام الأمير عبد الله ، قال لى الخطاب بن مسلمة اتهم بالزندقة فخرج فارا وتردد مدة واشتغل بملاقاة المتكلمين وأصحاب المقالات وأهل الجدل من المعتزلة وغيرهم فحذق أقوالهم ثم انصرف الى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واعتزالا للناس فاغتروا بظاهره واختلفوا اليه وسمعوا منه » (٢) .

واذا كان محمد بن عبد الله بن مسرة قد رحل فى أواخر أيام الأمير عبد الله على قول ابن الفرضى فأغلب الظن أنه رحل فى العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى خاصة وأن أحدا ممن أرخوا له لم يشر الى عزمه على لقاء أبيه فى المشرق لأن أباه كان قد توفى بمكة سنة ٢٨٦ هـ ولابد أن نعيه قد وصل ابنه قبل عزمه على الرحيل الى المشرق وهذا يستغرق بطبيعة الحال وقتا مما يرجح ما ذهبنا اليه من تحديد العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى وقتا لرحيل ابن مسرة الى المشرق . وقد قيل انه قد اصطحب فى رحلته نفرا ممن صاروا أتباعا له فيما بعد هم محمد بن حزم التنوخى المعروف بالمدنى وأيوب بن فتح وأحمد بن غانم القرطبى ومحمد بن وهب المعروف بابن الصيقل (٣) . وقد مر ابن مسرة فى طريقه الى المشرق بالقيروان وحضر مجلس علم لأحمد بن نصر بن زياد الفقيه المالكى المتوفى سنة ٣١٧ هـ (٤) كما أنه التقى بمكة الشيخ المتصوف أبا سعيد الاعرابى المتوفى سنة ٣٤١ هـ ، ويحتمل أنه التقى أيضا أبا يعقوب النهرجورى المتصوف الذى جاور فى الحرم المكى حتى توفى سنة ٣٣٠ هـ (٥) .

---

(١) المقتبس ، نشرت شالميتا ، جـ ٥ ص ٢٠ .

(٢) تاريخ علماء الاندلس ، جـ ٢ ص ٣٩ .

(٣) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، ص وبالنثيا : المرجع السابق ص ٣٢٧ .

(٤) الخشنى : قضايا افريقية ، ص

(٥) Asin Palasios; op. cit.,, p. 47.

تردد ابن مسرة بالمشرق مدة ، ويبدو أنه بذل جهدا كبيرا لتكوين شخصيته الفكرية ، فقد اهتم بلقاء أهل الجدل والمتكلمين من معتزلة وغيرهم ولعل فلسفة أمبذوقليس قد وصلت اليه آنذاك فقد عنى فى هذه الفترة بتحصيل علوم متنوعة وخرج من هذا التحصيل كثير العلم بالأخبار واسع الرواية للآثار وشاعرا مقلقا وخطيبا بارعا مصعقا حاذقا فى علوم اللسان العربى فامتلك القدرة على التأثير فى مستمعيه أو على حد قول ابن حيان « أوتى من عذوبة الكلام ومتانة الحجاج والغوص على دقيق المعانى والافتنان فى ضروب العلوم ما يستلب به القلوب ولا يعيه عنه صواب » (١) .

عاد محمد بن عبد الله بن مسرة الى الأندلس فى صدر دولة عبد الرحمن الثالث بن محمد الذى تلقب بعد اعلانه الخلافة سنة ٣١٦ هـ بالناصر لدين الله . ويبرر آسين بلاثيوس هذه العودة باتنهاج الناصر سياسة التسامح وحب العلم وهدوء البلاد بعد توليه (٢) غير أن الواقع التاريخى لصدر دولة عبد الرحمن الثالث — فترة عودة ابن مسرة الى الأندلس — يظهر أن الأندلس وقتذاك كان لا يزال يضطرم بنار الفتنة التى لم تخمد أوارها الا بعد وفاة ابن مسرة نفسه سنة ٣١٩ هـ (٣) ومن ثم فان ابن مسرة لم يعد الى الأندلس لتسامح الناصر وهدوء البلاد بعد توليه على نحو ما يرى بلا ثيوس وانما عاد ابن مسرة ليستفيد من انشغال عبد الرحمن الثالث فى الفتنة أو على حد قول ابن حيان « أيام شغله بحروب أهل الخلاف المتصلة » (٤) .

كان محمد بن عبد الله بن مسرة حين عودته الى الأندلس قد توصل الى مذهب خاص به مزج فيه بين أقوال بعض الصوفية مثل ذى النون الاخميمى المصرى وأبى يعقوب النهرجورى من ناحية وكلام المعتزلة وآراء الفلاسفة من ناحية أخرى فقال بالاستطاعة وبالوعد والوعيد وضعف أحاديث الشفاعة والتأويل وتصحيح الأعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة

---

(١) المقتبس ، نشرشالميتا ، جـ ٥ ص ٢١ .

(٢) Asin Palacios; op. cit. cit. p. 47.

(٣) المقتبس ، نشر شالمتيا ، جـ ٥ ص ٢٠ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٠ .

الصدق (١) ومن ثم اختلفت فيه آراء الدارسين فمنهم من يراه مذهبا زهديا صوفيا ومنهم أيضا من يراه مذهبا كلاميا اعتزاليا (٢) لكنه كان من الغالب مذهب من مذاهب التصوف الفلسفى •

وكان محمد بن عبد الله بن مسرة أول عودته الى الأندلس حذرا يخفى معتقدة يدعو له فى سرية انتظارا لاظهاره فى الوقت المناسب ، ويبدو أنه استفاد فى ذلك من دراسته للحركات السرية التى شهدها المشرق الاسلامى (٣) وعلى ذلك فقد أعد ابن مسرة خطة محكمة لنشر مذهبه يبدو أنها كانت على النحو التالى :

١ — أظهر محمد بن عبد الله بن مسرة أول عودته من المشرق ورعا وزهدا على النهج المألوف فى الأندلس ، يقبله الأندلسيون ولا يثير حفيظتهم أو على حد قول ابن حيان « توارى فى شعب الزهاد » (٤) فاستهوى بهذا الزهد والورع قلوب جماعة من أهل الأندلس ترددوا عليه واستمعوا له •

٢ — أمعن محمد بن عبد الله بن مسرة فى كتم أهدافه واخفاء مراميه مظهرا علما عميقا بفقه المالكية فكان — كما يقول ابن حيان « يسرد مسائل المالكية عمدة السنة سرد القيران ويشققها بالاجتلاب بأوضح برهان حتى يخرج فيها أجزاء مختصرة حسنة لم يزل الاجماع من مخالفيه الى اليوم واقعا على أنها أفضل وأوجز وأبسط من كل مختصرة صيغت فيها ، فبرسوخة فى بسط العلم وتأنيه فى الاستدراج للخصم كان يستهوى العقول ويصيد الأفئدة » (٥) •

٣ — انتبذ ابن مسرة مكانا قصيا عن قرطبة فسكن ضيعة له باحدى قراها — بجبل العروس قرب قرطبة — « فظل دعاته وأصحابه ينتابونه بمكانه ويتكزرون عليه ويأخذون عنه فيمكنه توحده بهم من الاذاعة فيهم بما فى نفسه مما لا يمكنه اذاعته بالمصر » (أى قرطبة) (٥) •

---

(١) محمد الوزاد : الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية يقاس عدد ٦ (٨٢ — ١٩٨٣) ص ص ٣٣ — ٦٤ •

(٢) Asin Palacios, op. cit., p. 48.

(٣) المقتبس ، نشرشالميتا ، ج ٥ ص ٢٠ •

(٤) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢١ •

(٥) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢٠ •

وابن الفرضى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٩ •

٤ — كان أسلوب ابن مسرة فى الدعوة « أن يلقى أول من يأتيه مقتبسا من أهل السلامة بالمساهلة الى أن يختله عن رأيه بالمفاضلة ، فاذا أصغى الى عذوبه منطقة وعلق فى شرك حجاجه فلا يبعد أن يلفته عن رأيه ويشككه فى اعتقاده فيقلبه الى اختياره ويحصله فى أتباعه » (١) .

٥ — نظم ابن مسرة دعوته تنظيما دقيقا ، ففضلا عن ستار السرية والكتمان الذى أحاطها به فقد نظم جهازا للدعوة من مريدية « واتخذ من راسخيهم فى مذهبه دعاة وأئمة ... دخل فى عرضهم رجال من ذوى الفهم والوجاهة وصموا بأتباعه ... ولم يزل يستظهر عليهم بالمواثيق فى الكتمان الا من الثقاب الوثاق العقدة فاكتتم بذلك شأنه الى أن نما » (٢) .

بهذا التخطيط المحكم نجح محمد بن عبد الله بن مسرة فى استمالة أعداد غفيرة من أهل الأندلس الى مذهبه قبل أن توافيه منيته سنة ٣١٩ هـ حتى أن أهل الأندلس انقسموا بشأنه الى فرقتين فرقة تبلغ به مبلغ الامامة فى العلم والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه فى الوعد والوعيد وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم » (٣) .

توفى محمد بن عبد الله بن مسرة سنة ٣١٩ هـ (٤) فى الوقت الذى أوشك فيه الناصر لدين الله أن يعيد الى الأندلس استقراره وهدوءه وأن يقضى على آخر جيوب التمرد على الحكومة المركزية فى الأندلس وأن يوطد أركان خلافته التى كان قد أعلنها فى الأندلس قبل وفاة ابن مسرة بثلاث سنوات . وعلى الرغم من فراغ الخلافة الأندلسية من مشاكلها السياسية تدريجيا وتفرغها لمشاكل أخرى من قبيل الدعوة المسرية فقد ظلت هذه الدعوة المسرية تنتشر فى حياة ابن مسرة وبعد وفاته دون مقاومة تذكر من جانب الدولة أو من مشيخه الأندلس وقد ساعد على ذلك سرية الدعوة وعدم اظهار تعاليمها ولم تفت وفاة ابن مسرة فى عضد

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٣ وابن الفرضى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٠ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٩ .

الدعوة المسرية فلم « يلبث دعاته مع انتشارهم فى البلاد أن تلبثوا بعده بما أوعزهم من مكنون علمه وأخذ عليهم من بثه ... وضفت اليهم أفئدة جماعة من الناس من خاصة وعامة اذاعوه سرا وأفشوا مذهبه وغبطوا من فاء اليه واعتقده فانتشر فى قرطبة وطرأ الى بلاد سواها » (١) .

يبدو أن مذهب ابن مسرة كان قد وجد أتباعا فى كافة أنحاء الأندلس ، فمن الملاحظ أن الخليفة الناصر لما تصدى للدعوة المسرية أرسل الكتب الى آفاق دولته لينفر من الدعوة المسرية ودعاتها (٢) .

واذا كان المدى المكانى للدعوة المسرية قد اتسع على النحو السابق فقد اتسع أيضا مداها الزمنى لنحو أربعة عقود منذ عودة ابن مسرة من المشرق فى صدر دولة عبد الرحمن الثالث وحتى سنة ٣٤٠ التى بدأت فيها المعارضة الرسمية للدعوة المسرية التى لم تلق قبل تلك السنة سوى معارضة واهنة لاتكاد تذكر ولم يكن لها أدنى أثر فى أن تمضى الدعوة المسرية قدما ، يدل على ذلك أن آبا عاصم عبد الوهاب بن منذر من أهل قرطبة ، كان ناسكا عفيفا منقبضا عن الناس كثير الصلاة مذكرا بالله تعالى وكان قد نظر فى شيء من الكلام فاتهم بالاعتزال ونسب الى مذهب ابن مسرة وانحرف عن الفقهاء المالكيين فتكلموا فيه وكان يؤم بمسجد بدر داخل المدينة وتوفى فى سنة ٤٣٦ هـ (٣) وهكذا لم يتعد موقف المالكية من أبى عاصم أكثر من أنهم تكلموا فيه وظل يؤم الناس فى مسجد بدر داخل المدينة حتى وفاته .

يبدو أن غياب المعارضة للمسرية — أو وهنها — قبل بدء المعارضة الرسمية سنة ٣٤٠ هـ لا يرجع فقط اى انشغال الدولة فى اخماد الفتنة والثورات فى نواحى الأندلس فقد أنجزت الدولة معظم هذه المهمة قبل اعلان الخلافة سنة ٣١٦ هـ وقضت على ما تبقى من جيوب التمرد فى غضون أعوام قلائل بعد اعلان الخلافة ، وانما يرجع غياب المعارضة — أو ضعفها — أيضا الى تقلص نفوذ الفقهاء المشاورين — أو شيوخ العصر كما يدعوهم مؤنس — ابان اندلاع الفتنة من ناحية وانتشـــار الدعوة

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٥ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ص ٣٨٠ .

المسرية من ناحية أخرى ، فلم تلق الدعوة المسرية معارضة قوية من فقهاء المالكية حتى أن المشارقة كانوا أنشط من مشيخة الأندلس فى معارضة المسرية على نحو ما يفهم من ابن حيان اذ يقول : « وقد رد عليه — على ابن مسرة — جماعة من أهل المشرق منهم أحمد بن محمد بن زياد الأعرابى وأحمد بن محمد بن سالم التسترى ، ولأحمد بن خالد الأندلسى المحدث فى الرد عليه صحيفة أتى بها عنه أبو محمد الباجى المحدث » (١) .

لم يكن أحمد بن خالد محدثا فقط ولكنه كان أيضا من زهاد الأندلس ومن ثم يبدو أن الزهاد أرادوا أن يوضحوا عدم موافقتهم على آراء المسرية وتعاليمها ومع ذلك لم تلق الدعوة المسرية قبل سنة ٣٤٠ هـ معارضة قوية سواء فى حياة ابن مسرة أو بعد مماته وذلك نتيجة انشغال الدولة — كما أشرنا سابقا — من ناحية وتقلص نفوذ مالكية الأندلس حينئذ من ناحية أخرى ، ولعله مما ساعد على عدم ظهور معارضة قوية أن محمد بن مسرة لم يفصح عن تعاليمه ولم يعلنها وانما كتم دعوته وجعلها سرية بينما أظهر تعمقه فى الفقه المالكى وألف فيه المختصرات ولم يبث دعوته الا فيمن وثق فيه من مريدية . لكن انشغال الدولة عن الدعوة المسرية لم يطل خاصة بعد استعادة الأندلس لاستقراره وبسط حكومة الخلافة هيمنتها على سائر أرجاء الاندلس فالتفت الخليفة الناصر الى الفقهاء المشاورين شيوخ العصر ليرصع بمشورتهم سلطانه وينال بتأييدهم رضا العامة فعاودوا نفوذهم فى وقت كان قد شاع فيه مذهب ابن مسرة وأصبحت امامة دعائه والتفاف الناس حولهم تهدد نفوذ شيوخ العصر ، ففزع كبار الفقهاء الى الخليفة الناصر ينبهونه الى خطورة الدعوة المسرية ويصورونها له على أنها فتنة مذهبية وسياسية يجب التصدى لها والقضاء عليها (٢) .

استجاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لتحريض الفقهاء خاصة وأنه بعد الجهد المضنى الذى بذله لتوطيد أركان دولته لم يكن على استعداد لتقبل فكرة وجود أئمة للمسرية يشاركونه فى ولاء الرعية أو يشاركونه فى سلطانه على أهل الأندلس ، فبرز الخليفة الناصر للتصدى للدعوة المسرية وتتبع دعاتها وأئمتها وأوكل هذه المهمة الى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر « وأمره بالتنقير عنهم والقصد لآثارهم وطلب الدلائل

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٣٣ .
(٢) حسين مؤنس : شيوخ العصر ، ص ٩٧ .

عليهم والايقاع بمن صح لديه أنه منهم أو متول لهم فتجرد ابن بدر لهم فشد تخويفهم وأغلظ لمن عز عليهم منهم فجرت لهم فى ذلك خطوب » (١) .
وقرىء على الناس بالمسجدين الجامعين بقرطبة والزهراء فى يوم الجمعة لتسع خلون من ذى الحجة سنة ٣٤٠ هـ كتاب أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر وأنفذ الى آفاق ملكه وبلدان كوره والى سائر قواده وجميع عماله كتابا طويلا للتنفير من المسرية وضروره ملاحقتهم والقضاء عليهم وكان هذا الكتاب من انشاء الوزير الكاتب عبد الله الزجالى نسب فيه الى المسرية القول بخلق القرآن والتأويل وتكذيب التوبة وبطلان الشفاعة ، فتمادى الطلب للمسرية والاخافة لهم وتخويف الناس من فتنتهم بقية أيام الناصر لدين الله (٢) .

لم تكن خطورة الدعوة المسرية فى آرائها فقط وانما كان أخطر ما فيها دعوة منظمة تنظيما يجعل منها ارهاصة مبكرة بالطريقة الاخوانية الصوفية التى يلتف فيها المريدون حول شيخ أو امام يدينون له وحده بالولاء ويلتزمون بأقواله وتعاليمه ، ويبدو أن الفقهاء الذين أفزعهم تهديد المسرية لنفوذهم قد جعلوا من المسرية مشكلة سياسية وصوروها للناصر على أنها بدعة تهدد كيان دولته فى الأندلس مثلما تهددت الدولة العباسية فى المشرق من جراء تهاونها فى التصدى للبدع وأهل الزيغ والضلالات (٣) .

وعلى أى حال تتبع رجال الخليفة الناصر دعاة المسرية وأتباعهم وضيقوا عليهم لكن الدعوة المسرية لم تنته تماما من الأندلس وانما ظلت موجودة على الساحة الأندلسية ، ساعد على ذلك جو التسامح الذى أضفاه الحكم المستنصر على الحياة الفكرية فى الأندلس (٤) وظل تلاميذ ابن مسرة يتمسكون بتعاليم استاذهم ولا يكتمون مذهبهم مثل طريف الروطى ومحمد بن مفرج المعافرى وابن أخت عبدون أحمد بن وليد بن عوسجة الأنصارى ورشيد بن فتح الدجاج وأبان بن عثمان بن سعيد بن المبشر ومحمد بن عمر بن خير القيسى وعبد العزيز بن حكم بن أحمد (٥) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمدون الخولانى الذى كان مشهورا

---

(١) ابن حيان ، المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ٢٩ — ٣٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٢ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٥) بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

باعتقاد مذهب ابن مسرة لا يتستر بذلك حتى توفى سنة ٣٨٠ هـ ودفن بمقبرة متعة (١) .

لكن الدعوة المسرية مالبثت أن تعرضت لهجمة قاسية نتيجة جنوح السلطة السياسية التى التزمت فى أواخر أيام الحكم المستنصر وفى عهد المنصور بن أبى عامر من ناحية ، ومن ناحية أخرى نشاط خصوم المسرية من الفقهاء واعتلاء أحدهم — وهو محمد بن يبقى بن زرب — منصة القضاء (٢) فقد نشط محمد بن يبقى فى تتبع المسرية واستتاب بعضا من أتباعها مثل أبى عمر أحمد بن وليد بن عوسجة الأنصارى المعروف بابن أخت عبدون ، كان من أهل بجانه ، وتوفى سنة ٣٧٦ هـ (٣) .

ولمازادت الحملة على اتباع ابن مسرة اضطر بعضهم الى كتمان مذهبهم آخذين بالتقية مثل أبى عبد الله محمد بن خير القيسى الذى كان لا يظهر مذهبه الا للثقات حتى وفاته سنة ٣٨٢ هـ (٤) واضطر بعضهم الآخر الى الهجرة مثل عبد الرحمن المهندس الذى كان يلقب باقليدس الأندلس (٥) وأبو القاسم رشيد بن فتح الدجاج الذى رحل الى المشرق بعضا من الوقت ليخفى مذهبه لكن محمد بن يبقى صلى عليه حين وفاته سنة ٣٧٦ هـ (٦) .

وعلى الرغم من تعقب الدولة والفقهاء المالكية لأتباع المسرية فان الدعوة المسرية لم تقتلع من الأندلس وانما ظلت قائمة ولها أتباع كان على رأسهم فى أيام ابن حزم اسماعيل بن عبد الله الرعينى من أهل بجانه وكان أهل بيته كلهم مسرين ومن بينهم ابنة له لقبها الناس بالمتكلمة (٧) . ولعله مما يدل على بقاء الدعوة المسرية أن أبا محمد عبد الله بن نصر ابن أبيض الذى كان طليطليا وسكن قرطبة ، عنى بجمع كتاب فى الرد على محمد بن عبد الله بن مسرة أكثر فيه من الحديث والشواهد ، وقد توفى

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٩٣ .
(٢) بالنثيا : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٣ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٣ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٩٦ .
(٥) بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٣٣١ .
(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٧ .
(٧) بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

ابن أبيض هذا سنة ٣٩٩ هـ بعد وفاة ابن مسرة بأكثر من ثمانين عاما ، بل انه كان طفلا لا يتعدى عمره احدى عشر عاما (١) حين بدأت المعارضة الرسمية للدعوة المسرية فى عهد الخليفة الناصر سنة ٣٤٠ هـ (٢) .

وكان منهم أبو رجاء عثمان بن سعيد بن هشام بن عبد السلام ابن عبد الرءوف من أهل البيرة ، كان يكاتب محمد بن مسرة ، وكان عظيم الجاه فى موضعه ، حدث وتوفى سنة ٣٢٥ هـ أو ٣٢٦ هـ (٣) وكان أيضا منهم أبو عمر أحمد بن فرج بن منتيل بن قيس من أهل قرطبة ، رحل الى المشرق وسمع من الشعرانى وغيره بمصر . كان ينسب الى اعتقاد مذهب ابن مسرة وتوفى سنة ٣٤٤ هـ (٤) .

كانت الدعوة المسرية خطوة بعيده فى طريق التصوف الاسلامى حتى ليمكننا القول ان مذهب ابن مسرة تحتل مكانة الأساس فى التصوف الأندلسى ، فمنه اقتبس فيما بعد التصوف الفلسفى الذى أرسى دعائمه أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى المعروف بابن العريف والمتوفى سنة ٥٣٦ هـ ومنه أيضا اقتبس فيما بعد تصوف الطرق الجماعية الاخوانية التى ستصبح سمة التصوف الاسلامى منذ القرن السابع الهجرى .

ومهما كان مصير الدعوة المسرية فانها لم تكن وحدها على ساحة التصوف الأندلسى اذ كان المتصوفة الأفراد الذين يسلكون طريق التصوف الفردى تواجدهم جنبا الى جنب مع النزعة المسرية الباطنية .

كان من هؤلاء المتصوفة الأفراد عبد الله بن نصر الصوفى من أهل قرطبة ، كان مؤدبا فى مسجد أبى علاقة ، كان ممن يسرد الصوم والصلاة ،

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ص ٢٤٩ .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ص ٣٥٠ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٥ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٠ .

توفى سنة ٣١٥ هـ (١) • ويمكن أن نعد منهم أبا عبد الله محمد بن أصبغ ابن لبيب من أهل استنجه أدخلناه فى الزهاد سابقا لالتزامه الزهد والعبادة الا أنه يدخل فى المتصوفة من باب تكلمه فى مذاهب العلم الباطنى وهو بذلك يمثل ملامح التصوف الفردى وقتذاك والذى كان خليط من الزهد والتصوف ، توفى أبو عبد الله محمد بن أصبغ سنة ٣٢٧ هـ (٢) •

وكان منهم أبو القاسم قاسم بن نصير بن رقاص بن عيشون من أهل شذونه ، كان فقيها حافظا للرأى ونحويا لغويا شاعرا ، وكان صاحب الصلاة والخطبة فى ملشانه • تخلى عن الدنيا آخر عمره وصار فى هيئة الأبدال وأكثر شعره فى الزهد وذم الدنيا وشواهد الحكم والتذكير والوعظ ، توفى سنة ٣٣٨ هـ (٣) •

واذا كان هؤلاء المتصوفة قد عاجلتهم المنية قبل بدء المعارضة الرسمية للدعوة المسرية فقد عاصر متصوفة آخرون من أهل التصوف الفردى محنة المسرية وشدة الاعتراض عليها دون أن يتعرض أحد منهم لشىء من الانتقاد أو الاعتراض ومعنى هذا أن المعارضة الرسمية التى بدأها الخليفة الناصر سنة ٣٤٠ هـ لم تكن موجهة الى التصوف كنزعة روحية وانما كانت موجهة أساسا الى المسرية كدعوة •

كان من المتصوفة الأفراد الذين عاصروا محنة المسرية أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصارى قاضى الجماعة بقرطبة المعروف بابن الصفار الذى تربى فى بيئة روحية اذ كان أبوه أبو محمد عبد الله ناسكا عابدا زاهدا ذكرناه ضمن الزهاد ، وقد ورث أبو الوليد عن أبيه نزعته الروحية لكنه تصاعد بها الى التصوف اذ وصف بأنه من أعيان أهل العلم زاهدا فاضلا يميل الى التحقيق فى التصوف وله فيه مصنفات ، ومن كتبه كتاب المنقطعين الى الله عز وجل وكتاب المتهجدين وكتاب النسيب والقريب وله أشعار فى المعنى وفى الرقائق والزهد (٤) •

(١) ابن الفرضى المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٢٣ •
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٤٨ •
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٦٤ •
(٤) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣٨٤ وابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢ •

وكان منهم أبو عبد الله محمد بن أبى الحسام طاهر العيشى التدميرى المعروف بالشهيد ، كان زاهدا ورعا فاضلا خيرا ناسكا متبتلا رحل الى المشرق فى الثلاثين من عمره فسكن الحرمين أعواما ثمانية وتردد على بيت المقدس والعراق واستكثر من لقاء العلماء والفقهاء وصحب الأخيار والنساك وتألفهم واقتدى بهم فدخل طريق التصوف ولبس الصوف وتورع جدا وأعرض عن شهوات الدنيا ونسبت اليه اجابة الدعوة والكرامات ثم انصرف الى الأندلس مجيبا دعوة والده بالعودة فقدم تدمير سنة ٣٠٦ هـ ونزل بالقرية المنسوبة الى بنى طاهر من نواحى مرسيه قاعدة تدمير وابتنى لنفسه بيتا سقفه بحطب الشعير ، وكانت له ضيعة صغيرة أخذ يعمرها بيده ويقتات على ما تخرجه من بقل وتمر وكان لا يدع الجهاد فشهد مع محمد بن أبى عامر فتح سمورة وفتح قلمرية ثم ترك سكنى قريته ورابط بالثغر فكانت له شدة وبأس وشجاعة ومازال مرابطا حتى استشهد بطلبيرة فى سنة ٣٨٩ هـ (١) .

وكان منهم أبو عثمان سعيد بن خلف الصوفى من أهل قرطبة وصف بأنه من أهل السنة بمعنى أن مذهبه لم يكن موضع انتقاد أو اعتراض . توفى سنة ٣٨٧ هـ (٢) وأبو عثمان سعيد بن محمد بن سيد أبيه البلدى من ناحية تلبدة من عمل ريه ، كان صالحا متبتلا متقشفا يلبس الصوف كثير الرباط والجهاد فى الثغور ، توفى سنة ٣٩٧ هـ (٣) .

وأبو بكر أحمد بن سعيد بن سليمان الصوفى ، قرطبى ، حدث عنه الصاحبان الزاهدان ابن شنظير وابن ميمون وقالا انه قدم عليهما طليطلة مجاهدا وتوفى سنة ٣٩٧ هـ (٤) .

وأبو أيوب سليمان بن عبد الغافر بن بنج مال الأمـوى القريشى الزاهد ، سكن قرطبة ، كان من أهل الزهد والتقلل من الدنيا وخاتمة الزهاد والصلحاء وأهل الاجتهاد والورع ، كان يلبس الصوف ويمشى حافيا ولا يقبل من آحد شيئا ، وكان معروفا باجابة الدعوة ، وبكى من خشية الله حتى كف بصره ، كثير التذكر للموت وكثيرا ما يقول اذا سئل

---

(١) الصينى : المصدر السابق ص ٨٣ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٤ .
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٢١ .
(٤) نفس المصدر : جـ ١ ص ١٩ .

عن حالته : كيف تكون حالة من الدنيا داره وابليس جاره ومن تكتب اعماله وأخباره وكان يحمل هذا الكلام عن بعض من لقيه من الصالحين توفى سنة ٤٠٠ هـ عن ٩٨ سنة ودفن بمقبرة الربض وشهد جنازته حفل عظيم لم ير مثله وشهده الخليفة محمد بن هشام المهدى فى جميع رجال مملكته وهو الذى صلى عليه وقتل المهدى بعد بتسعة عشر يوما (١) .

وفضلا عن هذا فقد وفد على الأندلس فى تلك الفترة عـدد من متصوفة المشرق ابان محنة المسرية وبعدها فما تعرض أحد منهم لأذى أو قدح ، فقد وصل الأندلس سنة ٣٤٠ هـ أبو العباس طاهر بن محمد ابن عبد الله المعروف بابن المهند ، بغدادى ، كان ناسكا شاعرا له أشعار ومقالات فى معانى الزهد على مذاهب الصوفية (٢) كما وفد الى الأندلس أيضا فى سنة ٣٥٨ هـ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن محمد بن أحمـد الديلمى الصـوفى الخراسانى ، أقام بقرطبة يسيرا ثم خرج منصرفا الى المشرق (٣) . ودخل الأندلس أيضا أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح الأنطاكى الصوفى فى سنة ٣٧٢ هـ وكان مذهبه التصوف والسياحة جوالا فى البلاد (٤) .

وصف ابن بشكوال أبا أيوب سليمان بن بنج مال المتوفى سنة ٤٠٠ هـ بأنه خاتمة الصلحاء والزهاد وأنه آخر العباد بقرطبة وأغلب الظن أن ابن بشكوال لا يقصد بعبارته أن ابن بنج مال هو الأخير الذى لم يأت أحد بعده وانما يقصد التعبير عن علو قدره ومكانته فى الزهد والصلاح والعبادة وأن أحدا من اللاحقين لم يبلغ قدره ولا ارتقى الى مكانته ، اذ أن ابن بشكوال نفسه يمدنا بتراجم أخرى لمتصوفة لاحقين من أهل القرن الخامس الهجرى مما يؤكد أنه كان يقصد تقريظ ابن بنج مال وبيان علو قدره .

وعلى الرغم من ذلك فانه من الملاحظ أن تراجم المتصوفة — وأيضا الزهاد — قد تناقصت فى الفترة التالية ، فهل يعنى ذلك قلة الزهاد والمتصوفة

---

(١) نفس المصدر : جـ ١ ص ١٩٦ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٠٧ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٠ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٦٢ .

فى الأندلس حقيقة أم أن الكتاب قد انشغلوا بالأحداث السياسية المتلاحقة من مطلع القرن الخامس الهجرى عن الترجمة للعباد من زهاد ومتصوفة .

على أى حال ، فقد وصلت الينا تراجم بعض الصوفية — على قلتها — مما يدل على أن النزعة الصوفية فى الأندلس لم تتوقف بل لعلها قد ازدادت نشاطا نتيجة سوء الأحوال السياسية فى مطلع القرن الخامس الهجرى .

كان من المتصوفة الأندلسيين الذين ينتمون الى القرن الخامس الهجرى أبو محمد عطية بن سعيد بن عبد الله أندلسى حافظ ، سمع بالأندلس ورحل قبل الأربعمائة ، طاف بلاد المغرب سياحة وانتظمها سماعا وبلغ الى ما وراء النهر كان يتقلد مذهب الصوفية والتوكل ويقول بالايثار ولا يمسك شيئا مقتصرا على لبس فوطة ومرقعة ويؤثر بما سوى ذلك ، كان لا يضع جنبيه على الأرض وانما ينام محتبيا وكان له حظ وقبول من الناس ، أقبل عليه أصحاب أبى عبد الرحمن السلمى فضاق بهم صدره وكانت وفاته بمكة سنة ٤٠٧ هـ (١) .

وكان منهم أبو اسحاق ابراهيم بن شاكر ، كان فاضلا دنيا وان كان أحد فى عصره من الأبدال فيوشك أن يكون هو منهم ؛ طلب العلم الى أن مات (٢) .

وكان منهم ذو النون الرجل الصالح من أهل تاكرنا ، كان ناسكا فاضلا زاهدا ، لقى معوذ بن داود وجرى على طريقته وسننه توفى بعد سنة ٤٥٠ هـ (٣) . وأبو محمد تمام بن عفيف بن تمام الصدفى الواعظ الزاهد ، من أهل طليطلة ، أخذ عن زهاد طليطلة تعبدوس بن محمد والصاحبين ابن ميمون وابن شنطير ، شهد بالزهد والورع والصلاح والعفاف ، يفط الناس ويخصهم على الخير ويندبهم اليه ويدلهم عليه وكان متقللا من الدنيا راضيا فى قوته باليسير . كان يلبس الصوف ويجتهد فى أعمال البر كلها ويعلم الناس أمر دينهم وما يلزمهم ، توفى

---

(١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣١٩ والضبى : المصدر السابق ، ص ٤٣٣ وابن بشكوال : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٤٧ .

(٢) الحميدى : المصدر السابق ص ١٥٥ والضبى : المصدر السابق ص ٢١٨ وابن بشكوال : المصدر السابق جـ ١ ص ٨٩ .

(٣) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٤ .

سنة ٤٥١ هـ (١) . وأبو الربيع سليمان بن حارث بن هارون الفهمى ، من أهل سرقطة ، رحل الى المشرق وحج ، حدث عنه القاضى أبو على الصدفى وقال انه رجل صالح من الأبدال ، كانت وفاته بالاسكندرية سنة ٤٨١ هـ (٢) .

ودخل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى عديد من المتصوفة المشارقة ، كان منهم أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفى ، كان رجلا صالحا مشهورا على طريقة قدماء الصوفية المحققين وذوى السياحة المتجولين « أقام بالأندلس الى أن توفى قريبا من سنة ٤٣٠ هـ (٣) وأبو الحسن على بن حمزه الصقلى ، دخل الأندلس قبل سنة ٤٤٠ هـ ، كان يشارك فى علوم ويتكلم فى فنون ويتصوف (٤) .

وهكذا استمر التصوف فرديا فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، لكنه كان آخذا فى التصاعد نحو شكل من أشكال التصوف الفلسفى سوف تظهر بوادره عند كل من أبى بكر الطرطوشى وأبى بكر بن العربى ثم ترسى دعائمه عند ابن العريف ثم يبلغ التصوف الفلسفى ذروته فى الأندلس عند محيى الدين بن عربى .

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٦١ ، ابن بشكوال ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٩٥ .

(٤) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .
والضبى ، المصدر السابق ص ٤٢١ .
وابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٣١ .

مصـــادر البحث ومراجعه

(ا) القرآن الكريم

(ب) الحـــديث النبوى الشريف

(ج) مخطوطات :

١ ـ **السهروردى** : الشـــيخ العارف الامام ضـــياء الدين أبى النجيب ابن عبد الله بن محمد البكرى (ت ٥٦٣/١١٦٨ م)

ـ **آداب المريدين** :

خطية مصورة بجامعة الملك عبد العزيز رقم ١٢٧١ . عن خطية مكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقم ١٨٦٦ .

ـ مجموع من كلام السهروردى : خطية مصورة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز برقم ١٢٢٥ عن الأصل الموجود بألمانيا .

٢ ـ **السيوطى** : جلال الدأن ابو الفضـــل عبد الرحمـــن بن أبى بكـــر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ـ الجزء الأخير من كتاب النقاية .

محظوط رقم ٦/٧٣٩ ضمن مجموعة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز .

٣ ـ **ابن فضل الله العمرى** : شهاب الدين أحمد بن يحى :

مسـالك الأبصـــار فى ممالك الأمصار طبـــع تصويرى عن خطية رقم ٤/٢٧٩٧ ، أحمد الثالث ، طوبقـــا بوسراى اســـتانبول بعناية فؤاد سزكين ، فرانكفورت / ١٩٨٨ م .

٤ ـ **مجهول** : لعله من تلاميذ عبد القادر الجيلانى :

رسالة بدون عنوان موضـــوعها آداب الصوفية وأحوالهم وأحـــكام طريقتهم ـ مخطوط بجامعة الملك عبد العزيز برقم ٧٦٥ . (صنفت فى الفهارس تحت عنوان آداب الصوفية ونسبت خطأ الى أبى عبد الرحمن السلمى لكن يتضح من نصها أن كاتبها من تلاميذ عبد القادر الجيلانى وانه كتبها بعد وفاة شيخة الذى توفى فى ٥٦١ هـ .

(د) مصـــادر مطبوعة :

١ ـ **ابن الآبار** : محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى .

ت ٦٥٨ هـ / ١٢٩٠ م

ـ التكملة لكتاب الصلة

ـ المعجم فى أصحاب القاضى ابى على الصدفى ـ القاهرة / ١٩٦٧

٢ — **ابن ابى زرع :**
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس تحقيق محمد الهاشمى الفيلالى . الرباط / ١٩٣٦
٣ — **ابن بشكوال :** ابو القاسم بن خلف
الصلة فى تاريخ ائمة الأندلس القاهرة / ١٩٦٦
٤ — **البكرى :** أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (من المسالك والممالك)
نشره دى سلان الجزائر / ١٨٥٧ م
٥ — **ابن تيمية :** شيخ الاسلام أحمد : (ت ٧٢٨)
— مجموع فتاوى مجلد ١١ الرباط / بدون . ت
— رسالة الصوفية والفقراء جدة / بدون . ت
٦ — **الجاحظ :** ابو عمرو بحر بن عثمان
البيان والتبسيين تحقيق عبد السلام هارون بيروت / — ت
٧ — **الجامى :** عبد الرحمن
نفحات الأنفس
٨ — **ابن الجوزى :** جمال الدين ابى الفرج عبد الرحمن البغدادى
(ت ٥٩٧ هـ)
تلبيس ابليس بيروت / ١٣٦٨ هـ
٩ — **الجوهرى :** اسماعيل بن حماد
مختار الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عكار بيروت / ١٩٧٩
١٠ — **الحميدى :**
جذوة القتبس فى تاريخ علماء الأندلس
١١ — **ابن حيان :** ابو مروان حيان بن خلف القرطبى :
— المقتبس ، نشر محمود على مكى القاهرة / ١٩٧١
— المقتبس ، نشر شالميتا وكورنيطى وصبح مدريد / ١٩٧٩
١٢ — **ابن حوقل :** ابو القاسم النصيبى :
صورة الأرض بيروت / ١٩٧٩
١٣ — **ابن خلدون :**
— مقدمة ابن خلدون الجزائر / ١٩٨٤
— شفاء السائل لتهذيب المسائل نشر أغناطيوس عبده البسوعى
بيروت / ١٩٥٩

١٤ ــ الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى الاسيدى :
معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ج ١ ، ج ٢ القاهرة / ١٩٦٨ ــ ١٩٧٢ .

١٥ ــ السراج الطوسى : أبو نصر عبد الله بن على :
اللمع فى التصوف تحقيق رينولد . ا ــ نيكلسون ليدن / ١٩١٤

١٦ ــ ابن سعيد الأندلسى : على بن موسى :
ــ المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف القاهرة / ١٩٦٤
ــ رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان القاضى القاهرة/١٩٧٣

١٧ ــ السلمى : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدى (ت ٤١٢ هـ)
ــ طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة القاهرة / ١٩٥٣
ــ المقدمة فى التصوف ، تحقيق حسين أمين بغداد / ١٩٨٤

١٨ ــ السهروردى :
عوارف المعارف
بهامش كتاب احياء علوم الدين للغزالى .

١٩ ــ الضبى : أحمد بن يحى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ)
بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس القاهرة / ١٩٦٧

٢٠ ــ العباس بن ابراهيم :
الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام :
ج ١ تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط / ١٩٧٤

٢١ ــ ابن عذارى المراكشى :
البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب .

٢٢ ــ أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم القيروانى :
طبقات علماء افريقية وتونس
تحقيق على الشابى ونعيم اليافى تونس / ١٩٦٨

٢٣ ــ عياض : القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى ت ٥٤٤ هـ .
ــ ترتيب المدارك وتقريب المالك لمعرفة أعيان مذهب الامام مالك .
ــ الغنية ، فهرست شيوخ القاضى عياض تحقيق / ماهر جرار ، بيروت / ١٩٨٢ .

٢٤ ــ الغبرينى : أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ)
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة بجاية تحقيق / عادل نويهض بيروت / ١٩٦٩

٢٥ ـ **الغزالى :** الامام أبو حامد محمد بن محمد الطوسى . (ت ٥٠٥ هـ)
أحياء علوم الدين القاهرة / ١٩٦٨
٢٦ ـ **ابن فرحون :** برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد المدنى المالكى أ (ت ٧٩٩ هـ)
الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق / محمد الأحمدى أبو النور القاهرة / ١٩٧٤ م .
٢٧ ـ **ابن الفرخى :**
تاريخ علماء الأندلس .
٢٨ ـ **ابن قتيبة الدينورى :** أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
عيون الأخبار ، مجلد ٢ ، كتاب الزهد ، بيروت عن ط القاهرة/١٩٢٥م
٢٩ ـ **ابن قدامة المقدسى :** أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢ هـ)
مختصر منهاج القاصدين دمشق / ١٣٨٩ هـ .
٣٠ ـ **القشيرى :** أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيابورى : (ت ٤٦٥ هـ)
ـ الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود وزميله .
ـ اربع رسائل فى التصوف ، تحقيق قاسم السامرائى ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٧ ـ ١٨/١٩٦٩ .
٣١ ـ **القيروانى :**
انموذج الزمان .
٣٢ ـ **ابن قيم الجوزية :**
مدارج السالكين .
٣٣ ـ **الكتبى :** محمد بن شاكر :
فوات الوفيات ، تحقيق / احسان عباس ، بيروت/١٩٧٣
٣٤ ـ **الكندى :**
الولاة والقضاة .
٣٥ ـ **الكلاباذى :** تاج الاسلام أبو بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)
التعرف لمذهب أهل التصوف
تحقيق / عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور القاهرة/١٩٦٠
٣٦ ـ **المالكى :**
رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم
ـ ج ١ تحقيق / حسين مؤنس القاهرة / ١٩٥١
ـ ط ثانية تحقيق / بشير البكوش بيروت / ١٩٨٣

٣٧ ــ **المراكشي** : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصــارى :
الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة
السفر الخامس رقم ٢ ــ تحقيق / احسان عباس بيروت / ١٩٦٥

٢٨ ــ **مجهول** : كاتب مراكشي من القرن السادس الهجرى / ١٢ م :
كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار
تحقيق / سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية / ١٩٥٨

٣٩ ــ **المقرى** : أحمد بن محمد التلمسانى :
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تحقيق/محمد محيي الدين عبدالحميد بيروت عن ط. القاهرة/١٩٤٩م

٤٠ ــ **ابن منظور** :
لسان العرب .

٤١ ــ **ابو نعيم الأصبهانى** : الحافظ أحمد بن عبد الله : ت ٤٣٠ هـ
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت / ١٩٦٧

٣٢ ــ **التياهى** :
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا .

٤٣ ــ **النورى** : **شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب** : ت ٧٣٢ هـ
نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ ٥ القاهرة / ب . ت

٤٤ ــ **الهجويري** : على بن عثمان الجلابى :
كشف المحجوب
تحقيق / اسعاد عبد الهادى قنديل القاهرة /١٩٧٤

٤٥ ــ **الهروى** : شيخ الاسلام عبد الله الانصارى : ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٩م
كتاب منازل السائرين .
تحقيق / الأب س ــ دى لوجيه دى بوركى الدومنكى القاهرة/١٩٦٢

هـ ــ مراجع عربية ومعربة :

١ ــ **ابراهيم بسيونى** :
نشأة التصوف الاسلامى ، القاهرة / ١٩٦٩

٢ ــ **ابولبابة حسين** :
موقف متصوفة افريقية وزهادها من الاحتلال العبيدى الرياض ١٩٧٩

٣ ــ **أحمد الشرباصى** :
ــ الغزالى والتصوف الاسلامى .
ــ التصوف عند المستشرقين ، سلسلة الثقافى الاسلامية عدد ٢٧/١٩٦٥

٤ ــ **احسان الهى ظهير :**

التصوف ، المنشأ والمصدر — لاهور / ١٩٨٦

٥ ــ **احسان عباس :**

تاريخ الأدب الأندلسى ــ عصر الطوائف والمرابطين — بيروت / ١٩٦٢ .

٦ ــ **اولدى : دى لاسى :**

الفكر العربى ومركزه فى التاريخ
ترجمة / اسماعيل البيطار — بيروت / ١٩٧٢

٧ ــ **بالنثيا : آنخل خبثالث :**

تاريخ الفكر الأندلسى .
ترجمة / حسين مؤنس — القاهرة / ١٩٥٥

٨ ــ **بروكلمان : كارل :**

تاريخ الشعوب الاسلامية .
ترجمة / بنيه فارس ومنير البعلبكى — بيروت / ١٩٦٥

٩ ــ **بل ، الفرد :**

الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى من الفتح العربى حتى اليوم
ترجمة / عبد الرحمن بدوى — بيروت / ١٩٨١

١٠ ــ **حسن حسنى عبد الوهاب :**

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ــ جـ ٢ ــ
تونس / ١٩٨١

١١ ــ **حسين مؤنس :**

ــ شيوخ العصر فى الأندلس — القاهرة / ١٩٦٥
ــ مقدمة كتاب رياض النفوس ــ ط — القاهرة / ١٩٥١

١٢ ــ **جولد تسهير ، اجناس :**

العقيدة والشريعة فى الاسلام .
ترجمة / محمد يوسف موسى وآخران — القاهرة / ١٩٤٦

١٣ ــ **زكى مبارك :**

التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق — بيروت / ب . ت

١٤ ــ **زينب محمد رجاء الله البلادى الحربى :**

الزهد والتصوف بين المؤيدين والمعارضين .
رسالة دكتوراه بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة — ١٠٤٩ هـ

١٥ ـ **سميح عاطف الزين :**
الصوفية فى نظر الاسلام بيروت /ب.ت
١٦ ـ **عبد الرحمن بدوى :**
تاريخ التصوف الاسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى الهجرى
الكويت / ١٩٧٥
١٧ ـ **عبد الرحمن الوكيل :**
هذه هى الصوفية الرياض / ١٩٨٣
١٨ ـ **عبد الكريم الخطيب :**
نشأة التصوف .
سلسلة الثقافة الاسلامية عدد ٢٢/ أكتوبر ١٩٦٠
١٩ ـ **عبد العزيز عتيق :**
الأدب العربى فى الأندلس بيروت / ١٩٧٦
٢٠ ـ **عرفان عبد الحميد فتاح :**
نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها بيروت / ١٩٧٤
٢١ ـ **عصام سالم سيسالم :**
(التاريخ الاسلامى لجزر البليار ٨٩ ـ ٦٨٥ هـ / ٧٠٨ ـ ١٢٨٧ م)
بيروت / ١٩٨٤
٢٢ ـ **على صافى حسين :**
الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى القاهرة / ١٩٦٤
٢٣ ـ **على بن محمد الدخيل الله :**
التجـانية الرياض / ١٤٠١ هـ
٢٤ ـ **عبد اللطيف الشاذلى :**
الحركة العياشية الرباط /١٩٨٢
٢٥ ـ **كامل الشيبى :**
الصلة بين التصوف والتشيع .
٢٦ ـ **كوربان ، هنرى :**
تاريخ الفلسفة الاسلامية .
ترجمة / نصير مروه وحسن قبيسى بيروت / ١٩٦٦
٢٧ ـ **قاسم غنى :**
تاريخ التصوف فى الاسلام .
ترجمة / صادق نشأت القاهرة / ١٩٧٢
٢٨ ـ **محمد جواد مغنية :**
معالم الفلسفة الاسلامية .

(و) دوريات :

١ - **أبو الوفا الغنيمي التفتازاني :**
« الطرق الصوفية في مصر » ، **مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة** ، مجلد ٢٥/١٩٦٣ ، جـ ٢ ص ص ٥٥ -

٢ - **جاسم صلبان علي :**
« النصرانية ونشأة التصوف الاسلامي » ، **مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة** ، البصرة / ١٩٧٧ ، ص ص ١٦٣ - ١٧٧ .

٣ - **حبيب القيسي :**
« أبو بكر بن العربي وموقعه من المذاهب الفكرية في عصره » **مجلة جامعة البصرة** جـ ٣ - ١٩٦٨/٤ ص ص ٨٢ - ١١٨ .

٤ - **توفيق بن عامر :**
« الصوفية والعقيدة الجبرية » ، **حوليات الجامعة التونسية** ، عدد ١٩٨٠/١٨ ص ص ٧٥ - ٨٨ .

٥ - **قاسم السامرائي :**
« اربع رسائل في التصوف لابي القاسم القشيري » ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** مجلد ١٩٦٩/١٧ ص ص ٢٥٩ - ٢٨٤ مجلد ١٩٦٩/١٨ ص ص ٢٤٢ - ٢٨٦ .

٦ - **محمد كامل حسين :**
« بين لتشيع وأدب الصوفية بمصر في عصر الايوبين والمماليك » ، **مجلة كلية الآداب جامعة - القاهرة** ، مجلد ١٩٥٤/١٦ جـ ٢ ص ص ٤٥ - ٧٢ .

٧ - **محمد الوزاد :**
« الاتجاهات الفكرية في الاندلس خلال القرن الثالث الهجري » ، **مجلة كلية الأدب والعلوم الانسانية بفاس** ، عدد ٤ - ٥ (٨٠ - ١٩٨١) ص ص ١٤٨ - ١٧٨ .

٨ - **محمد الوزاد :**
« الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه » ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية** ، بفاس عدد ١٩٨٢/٦ ، ص ص ٣٣ - ٦٤ .

٩ - **المهدي البوعبدلي :**
« الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى » ، **مجلة الاصالة - الجزائر** - عدد ١٩٣٣/١٣ - ص ص ١٩ - ٣٨ .

(ى) دوائر المعارف :

١ - دائرة المعارف الاسلامية .

- ج . رسكا : مادة زاوية .
- كارادى فو : مادة درويش .
- ج . مارسيبه : مادة رباط .
- ماسنييون : مادة تصوف - مادة طريقة .
- مصطفى عبد الرازق : مادة تصوف .

مراجع اجنبية :

1. — **Arbery;**
Sufism London, 1950.

2. — **Asin Palacios;**
Ibn Masarray su Escula Madrid, 1914.

3. — **Margoliouth, DS;**
The Devils Delusion by Ibn Al-Jayzi, IC, IX (Jan 1935) pp. 1-21.

4. — **Nicholson, R.A.**
article Sufies Ency clopoedia of Religious and Ethics, 6 th Impression (1967).

5. — **Trimingham. J.S.;**
The Sufi Orders in Islam Oxford, 1971.

محتـويات الكتـــاب

تم الطبع بمطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى

المدير العام
البرنس حمودة حسين
١٩٩٣/٨/٢٦

رقم الايداع ١٩٩٣/٧١٣٢

الترقيم الدولى 977-00-5470-4

(مطبعة جامعة القاهرة والكتـــاب الجامعى ١٩٩٢/١٧٨٨/٥٠٠)